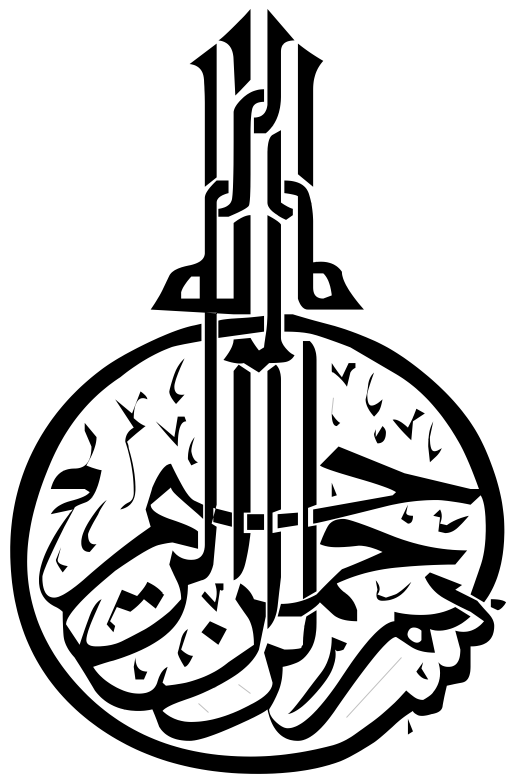

ستون خطبة

في قضايا الأسرة والمجتمع

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

موقعنا على الإنترنت

www.naasan.net

Email: ahmad@naasan.net

التنضيد الضوئي والإخراج الطباعي

مركز الخير ـ حلب ـ هـ ٣٢٣٠٠٥٠ ـ ٠٩٣٣ ٩٣٩٥٣٩

يطلب من مركز الصدِّيق

حلب ـ الباب ـ جانب جامع أبي بكر الصديق هـ ٧٨٤٤٠٦٢

ستون خطبة
في قضايا الأسرة والمجتمع

أحمد شريف النعسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه ولو كره الكافرون، فجعله شاهداً ومبشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وجعله الله تعالى أسوةً حسنةً لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخر، وذكر الله كثيراً.

الحمد لله الذي جعل لنا تشريعاً أغنانا به عن تشريعات البشر، وقال فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال فيه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦]، وقال فيه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وجزى الله تعالى عنَّا سيدَنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خير ما جزى نبياً عن أمَّته، حيث ترجم لنا رسالة الله تعالى ترجمة سلوكيَّة في حياته الشريفة، كما تقول أمُّنا السيدةُ عائشةُ، الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، المطهَّرةُ من فوق سبع سماوات: (كان خُلُقُه القرآن) [أخرجه الإمام

أحمد]، لذلك خاطبنا ربُّنا عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأسأل اللهَ تعالى أن يكرمنا بالاقتداء به قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً، حتى نلقاه على الحوض الشريف، ونكونَ في شفاعته يوم القيامة. آمين.

أما بعد:

فعندما كانت الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع، وكان صلاحُها صلاحَ المجتمع، وفسادُها فسادَ المجتمع، وهي المدرسة التي يفتح الطفل عينيه عليها، ويتأثَّر بها تأثُّراً بالغاً، اعتنى الإسلام بها عنايةً خاصة، فوضع لها آداباً، وفقهاً متكاملاً شاملاً لجميع جوانبها النفسيَّة والسلوكيَّة، وأرسى لها الأسسَ والقواعد التي يعتلي عليها البناء الشامخ الذي لا يهتزُّ أمام رياح المشاكل وعواصف الأزمات.

فمَنْ كان حريصاً أن يترك ذِكراً صالحاً لنفسه من خلال ذرِّيَّته، فلا يسعه إلا الانضباط بما شرع الله تعالى لنظام الأسرة، من لحظة الخطوبة، إلى عقد الزواج، إلى ساعة البناء، إلى العلاقة بينه وبين زوجته وأولاده.

وعندما عرفنا بأنَّ أعداء هذا الدِّين وجَّهوا سهامهم لخليَّة الأسرة، التي هي نواة المجتمع، بقصد إفسادها، رأينا من الواجب علينا أن نبلِّغ عن سيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم القائل في الحديث الصحيح: «بلِّغوا عني ولو آية» [أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن سيِّدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما]، وخاصة فيما يتعلَّق بالأسرة.

وقد أكرمني الله عزَّ وجلَّ بأن جعلت من منبر الجمعة منطلقاً للحديث

عن الأسرة، التي هي محضن رئيسي من محاضن التربية في الإسلام، وذكَّرت من خلال خطب الجمعة نفسي وإخواني كيف تكون الأسرة المسلمة التي قال الله عزَّ وجلَّ فيها: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ثمَّ رأيت بعد ذلك أن أجعل هذه الخطب في كتاب، رجوت اللهَ تعالى أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وفي ميزان أصولي وفروعي وزوجتيَّ، وفي ميزان مَنْ أحسن إليَّ، إنه خير مَنْ يُسأل، وخير مَنْ يتفضَّل.

وصلى الله على سيدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. آمين.

حلب ـ الباب
السبت ٢ / جمادى الأولى / ١٤٣٣هـ
الموافق: ٢٤ / آذار / ٢٠١٢م

أحمد شريف النعسان
مفتي منطقة الباب

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وأنكحوا الأيامى منكم[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

شاب من شبابنا أرسل إليَّ رسالة يشكو أمره إلى الله عزَّ وجلَّ في مسألة إعفاف نفسه، هذا الشاب جاهد نفسه كثيراً في مسألة غضِّ البصر، وحفظ الفرج، وكان يتوسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ في أن يهيِّئ له ربُّنا جلَّ وعلا امرأةً صالحة، وهيأ الله عزَّ وجلَّ له المرأة الصالحة، ولكن الذي فوجئ به أبوه، الذي رفض أشدَّ الرفض هذا الزواج، حتى يؤمِّن الولد مستقبله، وحتى يكون صاحبَ مال كثير كبقيَّة أقرانه، وعند ذلك يزوِّجه، وقال في رسالته: إن أمثاله كثير في هذا المجتمع، وطلب مني أن تكون خطبة الجمعة حول هذا الموضوع. وإنني والله على ثقة بأن أمثاله كثير في هذا المجتمع، لأن الكثير من الآباء صار اعتمادهم على المادة أكثر من اعتمادهم على الله عزَّ وجلَّ.

قوا أنفسكم وأهليكم ناراً:

أيها الإخوة: ربُّنا جلَّ وعلا بأيِّ شيء أمرنا نحو أبنائنا؟ لا شك أن تربية الأبناء وإطعامهم وكسوتهم وإيواءهم وتدريسهم واجبٌ على الآباء، ولكن الأهمَّ من ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢٤/٤/١٤٢٨هـ، ١١/٥/٢٠٠٧م.

وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ومن الأسباب التي تورد العبد نار جهنم ارتكاب الزنى والفاحشة، حيث يقول مولانا جلَّ في علاه: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

أيها الآباء: يا من يجعل العراقيل في زواج ولده وابنته، الله عزَّ وجلَّ يأمرك أن تقي الولد والبنت من نار جهنم، فلماذا لا تزوِّج ولدك؟ ولماذا لا تزوِّج ابنتك؟ وأنت المسؤول عن ذلك يوم القيامة بين يدي الله سبحانه وتعالى.

وأنكحوا الأيامى منكم:

اسمعوا أيها الآباء، اسمعوا يا أولياء الأمور، اسمعوا أيها المسؤولون، اسمعوا أيها الأغنياء، اسمعوا جميعاً، ماذا يقول مولانا جلَّ وعلا في كتابه العظيم؟ يقول لنا ببيان واضح لا يحتاج إلى تأويل ولا إلى إعمال عقل لفهم كلام الله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ والأيامى جمع أيِّم، والأيِّم من لا زوج له من الرجال والنساء ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ ولعلك أن تتنبَّه ماذا سيقول مولانا بعد ذلك ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]. هل سمعت بالأمر؟ وهل تنبَّهت لوعد الله أيها الإنسان المؤمن؟ أمرك الله بأن تزوِّج من لا زوج له، ووعدك الله بالغنى، وهل وعدُ الله يخلف؟ حاشا لله جلَّ وعلا، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الترمذي: «ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف» من أراد أن يعفَّ نفسه فحقٌّ على الله معونته، فلماذا تجعل العراقيل في حياة هؤلاء الشباب والفتيات؟

مشكلتنا أيها الإخوة أننا نعيش في وهم، ولا نعيش في واقع، من الوهم الذي قام في أذهاننا أنه لا يزوِّج ولده ولا يزوِّج ابنته إلا بعد إتمام الدراسة، ولا يزوِّج ولده إلا بعد إنهاء الخدمة الإلزاميَّة.

أيها الولي! كن عارفاً بمجتمعك:

يا ولي الشاب ويا ولي الفتاة! قبل أن تُصدر أحكامك وقبل أن تجزم في أمورك كنْ عاقلاً، وانظر إلى وضع المجتمع، وبعد معرفتك بأحوال المجتمع أصدر الأحكام واتخذ المواقف ولا حرج عليك.

يا من اتَّخذ هذا الموقف، أن لا يزوِّج ولده إلا بعد انتهاء دراسته، وبعد قضاء خدمته الإلزامية، كيف يكون حال هذا الشاب في مجتمع تتأجَّج فيه نيران الشهوات؟ وأعداء هذه الأمة فتحوا الأبواب والنوافذ من خلال الوسائل كلِّها على أبنائنا وشبابنا وبناتنا، من أجل اقتراف الفاحشة، من خلال القنوات الفضائية، ومن خلال المواقع الإباحيَّة على الإنترنت، ومن خلال الدعايات في الشوارع، ومن خلال دعوة النساء إلى التبرُّج، ويا حبذا لو كان كتبرُّج الجاهلية الأولى، والله العظيم إنَّ التبرُّج اليوم أشدُّ من التبرُّج في أيام الجاهلية الأولى، إضافة إلى ذلك التركيز في أجهزة الإعلام على مسألة حجاب الوجه، والكلُّ إلا من رحم ربك يركِّز على أن الوجه ليس بعورة، ولا يجب على المرأة أن تستر وجهها، كونوا عقلاء يا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كونوا عقلاء، ماذا يُراد بشبابنا؟ ماذا يُراد ببناتنا؟ لأن الشباب إذا فسقوا، والنساء إذا طغين، ماذا تتوقَّعون من مجتمعنا؟ ضياع الأنساب، وحياة الشقاء والضَّنْك في مجتمعنا.

ربُّنا عزَّ وجلَّ عندما يقول لنا جميعاً، اسمع يا ولي الأمر، اسمع أيها المسؤول، اسمع أيها الغني، أيها التاجر، يا من يكدِّس أمواله في البنوك

الربوية، ويسمع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]. زوِّج الشباب من المال الذي آتاك الله، أيُّها المسؤول زوِّج الشباب من المال الذي جعلك الله مستأمَناً عليه، أمِّنوا لهم البيوت، أمِّنوا لهم السكن، يسِّروا عليهم الأسباب، فإذا اعتذر المسؤولون، فأين أنت أيها الغني؟ وإن اعتذر الأغنياء، فأين أنت أيها المسلم، أيها المؤمن، من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]؟ أين أنت من كلام سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان يقول: «التمسوا الغنى في النكاح»، لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [رواه ابن جرير]. ما قال عن طريق الربا، ولا عن طريق الرشوة، ولا عن طريق الاختلاس؟ ولكن في النكاح، لأن الله جلَّ وعلا هو الذي يقول: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ والله عزَّ وجلَّ لا يخلف الميعاد. ويقول لنا الصديق سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: (أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى) [رواه ابن أبي حاتم].

لا تضع العراقيل في طريق الزواج:

أيها الولي: هذه العراقيل التي تجعلها في طريق الزواج، من الخدمة الإلزامية، أو نهاية الدراسة، هل أنت ضامن لولدك خلال هذه الفترة؟ والمجتمع كما تعلم، ونيران الشهوات كما تعلم، هل تضمن ألَّا ينحرف ولدك؟ هل تضمن أن يحفظ ولدُك فرجَه؟ لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ [المعارج: ٢٩]. هل تضمن ولدك ألَّا يرتكب كبيرة من الكبائر، أو جريمة من الجرائم، إذا قلت: أنا لا أضمن، ألا تكون عوناً لولدك؟ ألا يكون صدرك واسعاً أن تتحمَّل مسؤولية زواجه، وأن تتحمَّل

مسؤولية زوجته وأولاده؟ وأن تتمثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ألا تريد أن تكون عوناً له في إعفاف نفسه؟ أنت وزوجك كونوا عوناً لهذا الشاب، كونوا عوناً لهذه الفتاة، تحمَّلوا أعباء المسؤولية من أجل سلامة أعراضنا، ومن أجل سلامة أبنائنا.

لا تكن حريصاً على ما يفنى لولدك، ومهما كنت حريصاً على ما يفنى لولدك فاعلم بأن النعمة لا تدوم لولدك، وإن دامت فلن يدوم لها، وسيخرج من الدنيا إلى قبره بعمله، فإن كنت أنت متسبِّباً ـ لا قدَّر الله ـ في انحرافه فأنت الذي ستتحمَّل المسؤولية يوم القيامة مع ولدك.

مثل أعلى في القرآن:

لذلك أيها الإخوة: ربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾. عندما قال مولانا جلَّ وعلا: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]. أعطاك الله مثلاً، ألا تريد أن تتأسَّى وتقتدي؟ انظر إلى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، عندما سقى لبنات سيدنا شعيب عليه السلام، ألا تحفظ ماذا قال عندما أوى إلى الظلِّ؟ ألا تحفظ قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤]؟ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء، ودخل سيدنا موسى على سيدنا شعيب عليهما السلام، ماذا يحمل من المال؟ لا يحمل شيئاً، جائع لا يحمل إلا ثيابه، وما كان يطمع سيدنا موسى أن يزوِّجه سيدنا شعيب الغني، صاحب الماشية، لأنه قبل قليل قال: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير.

فجاء الميسور إلى هذا الفقير، وقال له بوضوح تام بدون تردُّد، والعرض من الغني على الفقير، من القوي على الضعيف، قال له بكلِّ صراحة: ﴿إِنِّيٓ

﴿أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ [القصص: ٢٧]. أليس بوسعك أن تبحث عن شاب فقير، وأنت الميسور، أن تزوِّجه وتعينه وتوظِّفه وتعطيه رأس المال؟ بوسعك هذا، بوسعنا وربِّ الكعبة إن أردنا الالتزام، والدليل على أن هذا بوسعنا أن الله كلَّفنا فقال: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾ [النور: ٣٢]، ثم قال لنا في موطن آخر: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فلو كان يعلم ربنا جلَّ وعلا أن هذا ليس بوسعنا لما كلَّفنا، وطالما أنه كلَّف، فمعنى ذلك أن هذا بوسعنا.

زوِّج على الدين والخلُق:

كن حريصاً يا أخي على أبنائك وفتياتك، زوِّج على الدين والخلُق، أناشدكم الله أيها الإخوة، حوِّلوا وغيِّروا تلك العادات، اجعلوها تحت الأقدام وخلف الأظهر، لا تُحمِّلوا الشباب فوق طاقتهم، من مسألة ذهب ولباس، ومن تكاليف هم عاجزون عن تحقيقها، يسِّروا عليهم يسَّر الله عزَّ وجلَّ عليكم، وإلا فالطامَّة علينا ـ لا قدَّر الله ـ، يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلُقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» [رواه الترمذي].

أتريد سلامة عرضك؟ نعم. زوِّج على الدين والخلق وتوكَّل على الله، لا تجعل الدراسة ولا الخدمة الإلزامية سبباً لعزوفه عن الزواج، لأنه ربما بانتهائه من الدراسة مع الخدمة الإلزامية، قد وقع ـ لا قدر الله ـ في الفاحشة، فانتهى من الخدمة الإلزامية وبعدها انتهى أجله، وذهب إلى الله وهو مقترف للفاحشة. ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة؟ يا رب كنت أعتذر إليه حتى يتمِّم دراسته، حتى يؤدي خدمته الإلزامية، سيقال لك: كذبت يا عبدي، لأن

هذا الشاب لو أنه بعدما أن تزوَّج وضاقت عليه الأسباب، قال لك: يا أبت، وقال الزوج لعمِّه أبي الزوجة: إني أريد أن أغادر الوطن لمدة أعوام عدة، خمسة أعوام أو أكثر أو أقل، من أجل تأمين المستقبل، يتهلَّل وجه الوالد والعم، ويرحِّبون بالفكرة، توكَّل على الله واترك الزوجة والأولاد نحن في خدمتهم، المهم أن تأتينا بالمال الكثير. وإذا أراد أن يذهب إلى الخدمة الإلزامية وأن يتمِّم دراسته لا يكون أحدنا عوناً لهذا الشاب على الزواج، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢-٩٣].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: زوِّجوا شبابكم وفتياتكم، والله إنها لنصيحة من خلال كلام الله عزَّ وجلَّ، بل أمر من كلام الله عزَّ وجلَّ من أجل سلامة أعراضنا، ومن أجل سلامة أبنائنا، ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

اللهم ردَّنا إلى ديننا رداً جميلاً. آمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

هذا فصل الصيف قد أقبل علينا، والزواج فيه شعار من شعارات الصيف، الكثير من الناس يتزوَّجون في هذا الفصل، ولا شكَّ أن كلَّ متزوِّج يبحث عن السعادة، وعن السكينة التي أشار الله عزَّ وجلَّ إليها في القرآن العظيم بقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ولكن العجيب، لو سألنا طلبة العلم والعلماء عن الأسئلة التي تُعرض عليهم: ما هي نسبة الطلاق في الأسئلة من سائر ما يعرض عليكم؟ لو سألت طلاب العلم ـ وهذا أمر طبيعي في دوائر الإفتاء أن يُعرض في اليوم الواحد مئة سؤال ـ لو سألت عن نسبة الأسئلة التي تتعلق بالطلاق، لجاءك الجواب: أكثر الأسئلة، وربما أن تزيد عن سبعين بالمئة، عن الطلاق، ولو سألت عن الطلاق بالثلاث من خلال هذه النسبة المئوية، لزاد على النصف.

لماذا انقلبت الحياة الزوجيَّة إلى شقاء؟

لا أدري لماذا انقلب زواجنا الذي ينبغي أن نحقِّق من خلاله السعادة،

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢/٥/١٤٢٨هـ، ١٨/٥/٢٠٠٧م.

إلى جحيم؟ لماذا انقلب إلى حياة شقاء وضنك حتى أراد كلٌّ من الزوجين أن يتخلص من صاحبه؟ إما أن يطلِّق الزوج ابتداء، وإما أن تطلب المرأة الطلاق من زوجها. هل يا ترى تغيرت سنة الله عزَّ وجلَّ في خلقه؟ وهل تخلف وعد الله عزَّ وجلَّ في يوم من الأيام أو في لحظة من اللحظات؟ معاذ الله. سنة الله عزَّ وجلَّ لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، ووعد الله مستحيل وألف مستحيل أن يتخلَّف. ومن وعود الله عزَّ وجلَّ التي لا تُخلَف: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

أين الحياة الطيبة في زواجنا؟ أين يكمن الخلل؟ الخلل صوره كثيرة، ولعلي من هذه الخطبة والتي بعدها وما بعدها أن أتحدَّث عن الخلل في أسرنا، وفي زواجنا، الذي جعل حياتنا شقاء وضنكاً.

أيها الإخوة: خلال يومين أو ثلاثة لا أدري كم مرة سئلت عن الزواج في ليلة النصف من شعبان أو ما قبلها أو ما بعدها بقليل، فأسأل: لم هذا السؤال؟ يريدون حجز صالات الأفراح من الآن. من أجل الزواج بعد أربعة أشهر، الوهم الذي نعيشه مزَّق أفئدتنا، من الآن نبحث ونحجز صالات الأفراح، قبل الزواج بأشهر عدة، يبدأ التنافس على حجز الصالات، أيُّ صالة أفخم؟ وأيُّها أعظم وأجمع للناس؟ وأيُّها ترضي أهل الزوجة أو أهل الزوج؟ من الآن نفكر في حجز الصالات، وكنت أسأل هؤلاء: هل فكَّرتم قبل الزواج بأربعة أشهر أن تجعلوا دورة تدريبية تعليمية لكلٍّ من الزوجين ماذا يترتَّب على الزوج؟ وماذا يترتَّب على الزوجة؟ أتدرون ما هو الجواب؟ الجواب: سوف نسمع من مشايخنا وعلمائنا كلمة طيبة في ليلة الزواج يوجِّه فيها العالمُ الزوجَ، ويوجِّه الزوجة من خلال شريط مسجَّل!

ولعلنا أن نضحك ضحك سخرية من هذا الكلام الممجوج، لأننا نعلم جميعاً بأن علماءنا ومشايخنا وطلبة العلم إذا أرادوا أن يتحدَّثوا ليلة الزفاف في حفل الزفاف، فإن أرواحهم تكاد أن تخرج من أجسادهم لتسكيت الناس، رجاء رجاء رجاء اسمعوا أيها الإخوة، كلمة لمدة عشرة دقائق، ما عندهم استعداد، ما عندنا استعداد لنتعلَّم، ما عندنا استعداد لأن نعرف الواجب الذي علينا قبل أن نعرف الحق الذي لنا. لذلك حرصنا على الوهم الذي نعيشه، لأننا ظننا أن سعادة بنتنا وابننا، إنما هو في ليلة الزفاف، في أي صالة، وكيف تكون الدعوة؟ وقلت لبعضهم: هل بوسعك أن تمنع شرب الأراكيل والدخان في ليلة الزفاف؟ قال: والله هذا ليس بوسعي، لأنني لا أستطيع أن أكسر خاطر الضيف الذي يأتيني، وأما إذا سخط الله عزَّ وجلَّ فلا مشكلة! إذا وقعنا في المعاصي والمنكرات فلا مشكلة! إذا لم تعظَّم حرمات الله لا مشكلة! في حفلات الزواج في الموالد كنا نتضايق من كثرة الكلام أثناء المديح والنشيد، ولكننا اليوم رضينا بالكلام والضجة والأصوات المرتفعة، وكأنَّ كلًّا من المنشد والمستمع يتحدَّى الآخر أيُّهما يكون صوته أعلى من الآخر، المنشد يرفع المذياع، والمتكلِّمون يرفعون الأصوات، إضافة إلى ذلك ضرب الطبول والدفوف، والصياح والرقص، هذا هو همُّنا في ليلة الزواج، ونفكِّر له قبل أربعة أشهر، أما أن نفكِّر كيف نربِّي أبناءنا حتى لا يقعوا في مشكلة الطلاق؟! لأنه وبكلِّ أسف وجد من بعض طلبة العلم مَنْ يفرِّغون كلمة الطلاق من مضمونها، كم وكم يأتي الطلاق بلفظ صريح، فيسمع المستفتي: عليك كفارة يمين ولا حرج عليك، وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول: «ثلاث جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وهزلهنَّ جِدٌّ: الطلاق والنكاح والرجعة» [رواه أبو داود والترمذي].

أسباب الحدِّ من الطلاق:

أيها الإخوة: من الذي يستطيع أن يفرغ كلمة الطلاق من مضمونها؟ وبالتالي رأيت الحياة حياة شقاء وضنك، لا نحقق فيها سعادة، ما السرُّ في هذا؟ الأسباب كثيرة، وأنا على يقين بأنكم تعلمون جميعاً السبب الأول الذي يحقِّق لك السعادة، ويبعدك عن الشقاء، ما أقوله لك وأنت تعرفه، ولكن الذكرى تنفع المؤمنين.

السبب الأول: اختيار كلٍّ من الزوجين شريكَ حياته:

اسمعوا يا شباب، ولتسمع الأخوات اللواتي يردن النكاح، لنسمع ماذا يأمرنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ السبب الأول لنحدَّ من مسألة الطلاق: اختيارُ كلٍّ من الزوجين شريكَ حياته، ولا شكَّ أنكم تعلمون أن الاختيار ينبغي أن يكون مبنيّاً على أساس من الدين، وعلى أساس من الخلق.

أيها الشاب: إذا كنت تشكُّ في نصحي لك، فأنا على ثقة بأنك لا تشكُّ في نصح سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لك، وأنا على ثقة بك أيها الشاب الذي يريد الزواج أنك تعلم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]. فاسمع ماذا يقول لك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، الذي هو أولى بك من نفسك. لا تترك اختيارك لاختيار أبيك، ولا تترك اختيارك لاختيار أمك، مع أننا نترك اختيارنا لاختيار آبائنا وأمهاتنا، وهذا لون من ألوان البر والطاعة وهو مبارك فيه، ولكنَّ الأولى والأجدر أن تترك اختيارك لاختيار سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لك.

يروي الإمام مسلم عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأةُ الصالحة» لعلك أن تحفظ وتسمع يا من تريد السعادة،

من هي المرأة الصالحة؟ المرأة الصالحة التي تراقب الله عزَّ وجلَّ في سرِّها وجهرها، المرأة الصالحة التي يقول فيها مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، يا ولي الشاب، ويا أم الشاب! ابحثي لولدك، وأنت ابحث لنفسك عن المرأة الصالحة، من هي المرأة الصالحة؟ هل هي التي إذا جاءت إليك تبدأ بالصلاة؟ التي إن تزوجتها تحجَّبت؟ التي إن جاءت إليك تترك المواجهة مع أبناء عمِّها وعمَّتها؟

المرأة الصالحة هي التي تربَّت في البيت الصالح، في البيت الوقَّاف عند حدود الله عزَّ وجلَّ، كما أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الحديث الذي يرويه الإمام الترمذي: «تُنكَح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك».

من هي صاحبة الدين؟ ليست صاحبة الدين من تحجَّبت فقط، وليست من سترت وجهها فقط، صاحبة الدين المتحجِّبة التي لا يرى ظفرها أحد من الرجال الذي يجوز لهم أن يتزوَّجوا منها، صاحبة الدين التي تحفظ الغيب، وتخشى الله عزَّ وجلَّ في الغيب، صاحبة الدين التي تراقب الله عزَّ وجلَّ وإن غاب عنها الجميع.

فتاة تراقب الله جلَّ وعلا:

انظروا إلى سيدنا عمر رضي الله عنه الفاروق، الذي كان همُّه ودأبه الرعية، سواء كانت على المستوى الضيِّق ألا وهي الأسرة، أو على المستوى الواسع لسائر المسلمين. سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه كان يعسُّ ليلاً ويتفقَّد الرعية، وهو يمشي في الطريق، فإذا به يسمع امرأة تقول لابنها: أي بنية، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، أي امزجيه بالماء. والمقصود باللبن الحليب.

قالت لها: يا أماه، وسيدنا عمر يسمع؛ لنبحث عن مثل هذه البنت إذا

أردنا السعادة، وإلا والله فإن الشقاء حليفنا، وانظروا في واقعنا، سلوا في دوائر الفتوى، وسلوا المحاكم الشرعية، كم وكم هي الخيانات الزوجية، لأن همَّنا ودأبنا، وهمَّ الآباء والأمهات أن يزوِّجوا ولدَهم الحسناءَ الجميلةَ، ثم بعد ذلك الحسناءُ الجميلةُ تتعلم دينها في ذاك البيت الذي لا يعرف دين الله عزَّ وجلَّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سيدنا عمر يسمع الحديث: قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء.

فقالت البنت: أوما سمعت عزيمة أمير المؤمنين عمر؟

قالت لها: وما عزيمته؟ ما الأمر الذي فرضه علينا.

قالت: لقد أرسل منادياً ينادي ألَّا يمذق اللبن بالماء.

فنظرت الأم إلى ابنتها وقالت لها: أي بُنيَّة، أين الآن عمر؟ وأين منادي عمر؟ قومي فامذقي اللبن بالماء.

فقالت تلك البنت الصالحة: يا أماه، إن كان عمر ومنادي عمر لا يرانا، **ألا يرانا الله؟**

هذه البنت الوقَّافة عند حدود الله عزَّ وجلَّ اظفر بها، وإن قلت لي: أين هي؟ أقول لك: والله هي موجودة في المجتمع «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» [رواه البخاري ومسلم]، ولكنك قد تُبتلى أيها الرجل وتُختبَر، فتجد المرأةَ صاحبةَ الدين والخلق ولكن ربما حسنُها لا يعجبك، ولكن ربما أسرتها فقيرة لا تعجبك، وربما مدخل بيتها لا يعجبك، كما حدثني بعضهم، سألني عن بنت صالحة، فدللته على بيت، فذهبت الأم لتخطب تلك الفتاة لابنها، فعادت من مدخل البناية ولم تدخل إلى البيت، فسألها الولد: هل أعجبتك الفتاة؟ قالت له: والله يا بني ما أعجبني مدخل البناية، فعدت ولم أر الفتاة!

هكذا وصلنا أيها الإخوة، لا تستغربوا، والله هذا واقعنا، هذا هو الواقع المرير الذي نعيشه، نبحث عن الجمال والمال والمكانة، وفي آخر المطاف إن خطر في بالنا أن نبحث عن الدين سألنا، فإن وافقت هوانا في جمالها ومالها وحسبها ونسبها نُرغِّب ولدنا بأنها وإن كانت قليلة دين فسوف نربيها على الدين، وهيهات هيهات. لذلك كن عاقلاً يا أيها الشاب، وخذ بوصية سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، إذا أردت أن تحقِّق السعادة، أن تظفر بصاحبة الدين وبصاحبة الخُلُق.

وأما أنت يا ولي الفتاة، وأنت الذي عندك بنت صاحبة دين، وصاحبة خلق، والله نصيحة لك وشرف لك أن تتأسَّى بسيدنا شعيب عليه السلام، وأن تتأسى بسيدنا عمر رضي الله عنه، لتمتثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]. انظر أيها الرجل الذي تختار لابنتك، انظر إلى سيدنا عمر عندما سمع تلك الفتاة تقول تلك الكلمة، فأين الله؟ جعل إشارة على الباب، وفي اليوم التالي أمر ولده عاصم أن يخطب لنفسه تلك الفتاة، فتزوَّج عاصم من هذه الفتاة، فأنجبت له بنتاً، فتزوَّجت تلك البنت من عبد العزيز بن مروان، فأنجبت تلك البنت رجلاً عظيماً، أتدرون من هو هذا الرجل؟ هو الخليفة الراشد الخامس سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. الشجرة الطيبة تؤتي أُكُلها بإذن الله.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: ابحثوا لبناتكم عن صاحب الدين والخلق، وأنتم أيها الشباب ابحثوا عن صاحبة الدين والخلق، فصاحب الدين ينزِّه لسانه عن كلمة الطلاق والحرام، وصاحبة الدين لا تحوِج زوجها إلى يمين الطلاق ولا إلى يمين الحرام.

لا تفكِّر في صالات الأفراح، لا تفكِّر بالحفلات، لا تفكِّر بالأعراس، ووالله إني لك ناصح، إذا لم تستطع أن تجعل ليلة عرسك منضبطة بضوابط الشريعة، أنصحك لوجه الله ألا تجعل عرساً، لأن مشاكل الصيف ستبدأ بحفلات الأعراس، إن كانت موالد وإن كانت غناء، حيث الإزعاج للمسلمين عامة في البلد، بسبب الأصوات المرتفعة، فبناءٌ يُبنى على إيذاء المسلمين، أيُّ خيرٍ سيكمن في ذاك البيت؟!

على كلٍّ: الأساس الأول لتحقيق سعادتنا وللابتعاد عن مسألة الطلاق اختيارُ كلٍّ من الزوجين صاحبَه على الدين والخلق. اللهم أكرم شبابنا بذلك، وأكرم فتياتنا بذلك، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن الحياة الزوجية والأسريَّة في كثير من الأسر حياة فاشلة وممزَّقة، الطلاق يزداد يوماً بعد يوم، وحياة الشقاء والضنك حليفة لأسرنا إلا من رحم ربي. وإنَّ سبب هذا الفشل وحياة الشقاء إنما هو سوء الاختيار لكلٍّ من الزوجين. لنسمع إلى توجيه سيدنا محمد عليه وآله الصلاة والسلام في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة».

السعيد من استجاب لله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

ركَّز النبي عليه وآله الصلاة والسلام على المرأة الصالحة؛ لأن هذه المرأة سوف تكون لك سبباً من أسباب السعادة بإذن الله عزَّ وجلَّ، في الحياة الدنيا، وفي عالم البرزخ، وفي العالم الآخر في عالم يوم القيامة، ألا يستحقُّ هذا الأمر أن نتوقَّف عند الاختيار؟ أنت لا تشتري سلعة ما حتى تغمض عينك وتشتري كيفما شئت، أنت ترتبط مع امرأة، وهذه المرأة سوف تنجب لك أبناء وبنات، الزوجة مع أبنائها وبناتها سيكون لهم الأثر في حياتك الدنيوية،

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٩/٥/١٤٢٨هـ، ٢٥/٥/٢٠٠٧م.

وفي حياتك البرزخية، وفي حياتك الأخروية، ألا يستحقُّ هذا الأمر أن تقف وقفة الإنسان الذي استجاب لأمر الله، ولأمر سيدنا رسول الله الذي فيه حياتنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]. فالأمر بيدك أيها الشاب، ويا ولي الشاب، ويا ولي الفتاة. فهل نختار كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام صاحبَ الدين والخلق لبناتنا؟ وهل نختار صاحبةَ الدين والخلق لأبنائنا كما أمر النبي عليه الصلاة والسلام؟ رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «واعمل ما شئت» [رواه الحاكم والطبراني والبيهقي]، فاختر ما شئت كذلك، ولكن عليك أن تعلم ما هي النتائج بعد اختيارك؟ إن كان اختيارك صحيحاً فالنتائج سليمة بإذن الله تعالى في حياتك الدنيوية والبرزخية ويوم القيامة؛ وأما إذا كان اختيارك فاشلاً فأنت الذي ستتحمل النتائج في عالم الدنيا وفي عالم البرزخ وفي عالم يوم القيامة.

اسمع يا من يريد الاختيار:

أيها الإخوة الكرام: اسمعوا ماذا يقول نبينا عليه الصلاة والسلام، اسمع يا من يريد الاختيار، إما أن تختار لجمال، وإما لمال، وإما لحسب، وإما أن تختار لدين، والصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي ما خرج من لسانه الشريف إلا الحقُّ، يروي الإمام الطبراني أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «من تزوَّج امرأة لعزِّها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوَّجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوَّجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوَّج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضَّ بصره ويحصِّن فرجه ويصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه».

تنبَّه يا من يختار لولده، تنبَّه أيها الشاب الذي يريد الزواج، اعرف كيف تختار شريكة الحياة، «ومن تزوجها لمالها...» أنت تختار صاحبة المال، أو

صاحبة المهنة، أو صاحبة الوظيفة، أو صاحبة المورد المادي، أنت تختار من أجل المال، اسمع ماذا يقول لك الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ومن تزوَّجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوَّجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة» هي حسيبة ونسيبة ولكن بدون دين، هي حسناء ولكن بدون دين، وهي صاحبة مال ولكن بدون دين، ما هي النتيجة؟ النتيجة هي الشقاء في عوالمك الثلاثة.

هل أنت تختار صاحبة الدين والخلق التي تعينك على طاعة الله؟ هل أنت تختار صاحبة الدين والخلق التي تعينك على برِّ الوالدين، والتي تقرِّبك من الله عزَّ وجلَّ؟ هل تختار المرأة من أجل أن تغضَّ بصرك وتحفظ فرجك، ومن أراد أن يغضَّ بصره ويحفظ فرجه فليختر لنفسه صاحبة الدين والخلق، فصاحبة الدين والخلق إن تزوَّجتها لهذا الغرض كان لك العونُ من الله عزَّ وجلَّ على تحقيق ما تريد، وتتحقق لك السعادة. أما إن اخترت صاحبة المال أو الجمال أو الحسب بدون دين، فأنت الذي ينبغي أن تتحمَّل النتائج من وراء هذا الاختيار.

واقعنا مرير أيها الإخوة، وائذنوا لي أن أقول بكلِّ صراحة: والله الذي لا إله غيره، جُلُّ الآباءِ والأمهاتِ والشبابِ يختارون صاحبة المال والجمال والحسب، وفي مسألة الدين لا يفكِّرون إلا في نهاية الأمر، إن أعجبه حسنها ومالها وحسبها أغمض الطرف ثم تزوَّج، وبعد ذلك جاءت النتائج الوخيمة.

اختيار الزوجة له أثر في حياتك:

أيها الإخوة: هذا الزواج الذي له أثر في حياتنا، في عالمنا الدنيوي، وفي عالمنا البرزخي، وفي عالمنا الأخروي، ألا يستحقُّ منا أن نحسن الاختيار؟ الزوجة ستنجب لك أولاداً، فإن كانت الزوجة صاحبة دين وخلق،

فكيف تربي أبناءها؟ سوف تربي أبناءها على بر وطاعة الوالدين، ألا يستحقُّ هذا الأمر عندك أن تنتقي المرأة التي لها صلة مع الله عزَّ وجلَّ؟ أن تنتقي المرأة التي تحضُّك أولاً على برِّ والديك، ثم تربي أبناءك على برِّك والإحسان إليك، وأن يرعاك ولدُكَ وابنتُكَ عندما تكون في سنِّ الشيخوخة؟ ألا تفكِّر في أيام الشيخوخة؟ ألا ترى الواقع المرير عندما نسمع في بلد إسلامي هناك دار الرحمة، دار العجزة، من أجل رعاية المسنين، يُكتب عليها اسم: دار الرحمة، وأنا أقول: ليكتبوا عليها دار عقوق الآباء والأمهات، في بلد مسلم تكون تلك الدار، وربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]! ألا تفكِّر يا أخي في شيخوختك؟ ألا تفكِّر في ضعفك الثاني، لأن الله خلقنا من ضعف أولاً، ثم جعل من بعد الضعف قوة، ثم جعل من بعد القوة ضعفاً وشيبة.

فأنت في أيام قوتك هل عرفت كيف تختار زوجة تنجب لك أبناء تربيهم على كتاب الله؟ ألم يقولوا لنا:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددْتَها أعدَدْتَ شعباً طيِّبَ الأعراق

اختر المربية الصالحة:

أيها الإخوة: من أراد البرَّ من أبنائه فعليه أن يُحسن الاختيار في زواجه، لأن الأم هي التي تربي الولد على طاعة الوالدين، أو تربي الولد على العقوق والعياذ بالله تبارك وتعالى، ألا يستحقُّ هذا الأمر أن تقف وقفة الإنسان المختار، لتختار أماً لتربي لك أبناء حفظة لكتاب الله عزَّ وجلَّ، لتربي لك أبناء دعاة إلى الله عزَّ وجلَّ، لتربي لك أبناء يحملون لك سمعة حسنة طيبة مباركة في حياتك الدنيوية والبرزخية، عندما ساء اختيارنا

انظروا إلى عقوق أبنائنا، وانظروا إلى أبنائنا، هل يا ترى أبناؤنا من أهل الصلاح والإصلاح؟ أم أبناء المسلمين اليوم إلا من رحم ربي من أهل الفساد والإفساد؟ الفساد في المجتمع من أين ينتشر؟ من أبنائنا وبناتنا، من أين جاء هذا الفساد؟ من سوء اختيارنا يا عباد الله، ألا يستحقُّ هذا الأمر أن تقف وقفة الإنسان الذي ينبغي عليه أن يحسن الاختيار من أجل مستقبله أولاً، ومن أجل سمعته ثانياً، من أجل أن يكون ولده داعياً إلى الله عزَّ وجلَّ، لا أن يكون داعية من دعاة الفساد.

أنت عندما ترى شاباً صالحاً تقياً، مباشرةً إذا أردت أن تدعو الله عزَّ وجلَّ له تترحَّم وتترضَّى على والديه اللذَين كانا سبباً في تنشئة هذا الولد تنشئة صالحة، وأما إذا رأيت ولداً فاسداً فأول ما تفكِّر به أن تصبَّ اللعنة على والديه والعياذ بالله تعالى.

وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول في الحديث الذي يرويه الإمام البخاري رحمه الله: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، من أكبر الكبائر أن يكون الولد سبباً لصبِّ اللعنة على والديه، نعوذ بالله من ذلك، كيف يكون هذا الولد سبباً لصبِّ اللعنة على والديه؟ بسوء اختيار الأم، لذلك كان أبو الأسود الدؤلي يقول لأبنائه: أي أبنائي، أحسنت إليكم صغاراً، وأحسنت إليكم كباراً، وأحسنت إليكم قبل أن تولدوا. قالوا: أحسنت لنا صغاراً وكباراً عرفنا هذا، ولكن كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: لقد انتقيت لكم من الأمهات من لا تُسبُّون بها.

انظر يا أخي إلى ولدك وإلى سلوكه، أيجرُّ لك اللعنة لا قدر الله؟ أم يجرُّ لك الرحمة؟ بأن تُذكَر برحمة، أو يُذكر العبد باللعنة من خلال سلوك هذا الولد. ألا يستحقُّ هذا الأمر عندك حسن الاختيار؟!

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: زواجنا لا تظنُّوا أنه نكاح وقضاء شهوة فحسب، إنَّ زواجنا له أثر في حياتنا الدنيوية، وأثره مستمرٌّ إلى عالم البرزخ، وإلى عالم يوم القيامة، فلتختر لنفسك ما تشاء، ولكن قبل الاختيار فكِّر في النتائج، فكِّر ما هي النتائج إن تزوَّجت امرأة حسناء، أو صاحبة مال، أو صاحبة حَسَب ونسب، ولكن بدون دين، فكِّر في النتائج قبل الزواج، وفكر في النتائج إن تزوَّجت صاحبة الدين والخلق ولو كانت سوداء، لأن الذي يفكِّر في النتائج في عالم الدنيا والبرزخ والقيامة، لا يكون حريصاً فقط على ما يفنى، إنما يكون حريصاً على ما يبقى.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ولدك استمرار لك، فأحسن اختيار أمه[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ينبغي على كل إنسان أن يحسن الاختيار في الزواج، أن ينتقي كلٌّ من الزوجين صاحبه على أساس من الدين والخلق، لأنَّ حسن الاختيار سبب من أسباب ديمومة الحياة الزوجية، وسبب من أسباب تحقيق السعادة في الدنيا وفي عالم البرزخ وفي عالم يوم القيامة، كما أن سوء الاختيار سبب لعدم الديمومة، وسبب للطلاق، وسبب للشقاق، وسبب للاختلاف، وسبب من أسباب العذاب في حياتك الدنيا، وفي حياتك البرزخية، وفي حياتك الأخروية.

اختيار الزوجة له أثر في حياتك:

أيها الإخوة: ينبغي أن نفكِّر بأن الزواج له أثر في حياتنا الدنيا، لأن تلك الزوجة ستكون أماً لأبنائك، فعليك أن تختارها من أجل مصلحتك، ومن أجل أن تربي أبناءها على قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢٣/٥/١٤٢٨هـ، ٨/٦/٢٠٠٧م.

ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

صاحبة الدين والخلُق تربي أبناءها على ذلك، فاختر أيها الزوج المرأة الصالحة، واختاري أيتها الزوجة الرجل الصالح، من أجل أن تتعاونا على تربية الأبناء من أجل الشيخوخة في المستقبل، لأن أمامك ـ إن كان لك عمر ـ مرحلة العجز والشيخوخة والضعف، وأنت بحاجة إلى رعاية، فمن الذي يرعاك؟ إذا لم يكن ولدك الذي ربَّيته والذي أنفقت عليه هو الذي يرعاك، أدُور الرحمة ترعاك؟ يا رعاك الله، تنبَّه فإن الأمر جدُّ خطير، عليك أن تتنبَّه لحسن الاختيار من أجل مصلحتك، عليك أن تختار صاحبة الدين والخلق، من أجل برزخك، من أجل عالم القبر الذي أنت سائر إليه لا محالة، عش ما شئت فإنك ميت. لعلَّك أن تفكِّر في برزخك، وفي هذا القبر، هل هذا القبر الذي سيضمُّك في يوم من الأيام، سيأتي ولدك من بعدك فيرفدك بالعمل الصالح وأنت في قبرك؟ هلَّا فكَّرت بالأم لأبنائك قبل الزواج، لتربي لك أبناء ليكونوا لك ذخراً بعد موتك، عندما تكون في قبرك!

أو ولد صالح يدعو له:

أيها الإخوة: أما سمعنا حديث سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي يرويه الإمام مسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به». ألست حريصاً على أن تبقى أعمالك مستمرة بعد موتك؟ تقول: نعم أنا حريص على ذلك، كيف يكون هذا وأنت الذي ستموت؟ يكون هذا بتربية الولد تربية صالحة، الولد الصالح هو الذي يعرف حقَّ أبويه عليه بعد موتهما، لا في حال الحياة فقط، إنما بعد الموت، من هذا الولد الذي يعرف حقَّ الوالد بعد موته؟

إنه الولد الصالح، والولد كيف يكون صالحاً إذا لم يكن اختيار الأبوين لبعضهما البعض على أساس من الدين والخلق؟

يروي ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده». هلَّا فكرت في ولدك أن يكون ولداً صالحاً ليدعو الله عزَّ وجلَّ لك بعد موتك صباحاً ومساء، وهو يقول: رب ارحمهما، على أيِّ أساس؟ كما خلفاني؟ لا أيها الإخوة، ربِّ ارحمهما كما ربَّياني صغيراً. كيف نربي أبناءنا؟ الأم إذا لم تكن صالحة تعرف دين الله، وتعرف شرع الله عزَّ وجلَّ، وتعرف الحلال من الحرام، وتعرف ما ينبغي عليها نحو أبنائها، فكيف ستربِّي؛ لأنَّ الزواج مسؤولية كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» [رواه البخاري ومسلم] إذا لم تختر والله ستندم، وربما لا ينفعك الندم.

النبي عليه الصلاة والسلام لنا ناصح أمين، أولى بنا من أنفسنا، هو الذي قال لنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» [رواه البخاري ومسلم]، وهو الذي قال لنا: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه» [رواه الترمذي].

أحسن اختيار الأم المربِّية لأبنائك:

أيها الإخوة: الأمر يستحقُّ منا أن نفكِّر به بجدٍّ من بعد موتنا، أنت ماذا ستخلِّف لولدك من بعدك؟ ما هو الإرث الذي ستجعله لأبنائك من بعدك؟ والله إن تركت لهم المال، فربما المال يطغيهم، وسيئاتهم في صحائف

أعمالك، والوزر عليك، تركت لهم المال فعصوا الله فيه، ولم تحسن التربية، فوزرهم في صحيفتك يوم القيامة. ماذا تخلف لأبنائك من إرث؟ لا تكن حريصاً على إرثك من بعدك ألَّا يوزَّع توزيعاً شرعياً، بل كن حريصاً على نفسك ألَّا تتعدَّى حداً من حدود الله، فتأتي إلى مالك الذي ما صار بعدُ إرثاً، تأتي إلى هذا المال وتقول: أنا أريد أن أقسم مالي على قيد الحياة، لماذا؟ لأني أخاف على أبنائي وبناتي من بعدي حتى لا يقتتلوا مع بعضهم البعض، أين تربيتك لهم؟ وأين تربية الأم لهؤلاء الأبناء الذين لا يُستأمنون على بعض الدريهمات من بعدك؟ فيقتتلون من بعدك على الدينار والدرهم لسوء التربية، وما كان سوء التربية إلا من سوء الاختيار.

تعالوا أيها الإخوة وانظروا إلى سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام، عندما يحدِّثنا ربُّنا عزَّ وجلَّ عنه في القرآن العظيم: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي﴾ [مريم: ١-٦] هل كان يخاف سيدنا زكريا على المال ويقول: هب لي من لدنك ولياً يرثني؟ ماذا يرث منك يا سيدي يا زكريا عليك وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم؟ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورَّثوا العلم، الدين، الخلُق، وهو الذي يضمن لك المال، والعرض، ويضمن لك سلامة الأسرة من بعدك أن تكون متماسكة لا أن تكون متفكِّكة متمزِّقة، أسرنا اليوم ـ ونحن على قيد الحياة، الآباء والأمهات على قيد الحياة ـ متمزِّقة متدابرة متحاسدة متخاصمة، لماذا؟ من سوء الاختيار أيها الإخوة.

انظر إلى سيدنا زكريا عليه الصلاة والسلام وهو يدعو ربه: ﴿فَهَبۡ لِي مِن

لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥-٦]. أن يكون مرضياً عندك، ومن كان مرضياً عند الله كان حريصاً على أبويه، بدون أن يحرِّضه الأبوان على برِّهما، لأنه ينظر إلى الله جلَّ وعلا، عندما دعا سيدنا زكريا هذا الدعاء، كان حريصاً على ديمومة العلم من بعده، كما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم]. كان حريصاً على أن يورث أبناءه من بعده العلمَ لينتفع هو إن خرج من الدنيا، ما هي النتيجة؟ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ [مريم: ٧]. ما هي نتيجة هذا الغلام يا رب؟ نتيجته بشهادة الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٢-١٥].

انتبهوا أيها الإخوة: وآتيناه الحكم صبياً، لأن الأب كان حريصاً على ولده وهو على قيد الحياة في حسن الاختيار. أهذا ولد لهذا الأب، وأبناؤنا أبناء لنا؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الزوج: حسن الاختيار من أجل سعادتك في الدنيا، وفي عالم البرزخ، ومن أجل سعادتك يوم القيامة، ألست أنت الحريص على سعادتك في عوالمك الثلاثة؟ نعم أنت حريص. فاختر المرأة الصالحة التي تحقِّق لك سعادةً في الدنيا، وتحقِّق لك سعادةً في عالم البرزخ وفي حياتك الأخروية.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊❊ ❊❊ ❊❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كيف ينظر الإسلام إلى عقد الزواج؟ وكيف يفهمه شبابنا؟[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد فتشت عن حقيقة أسباب الخلافات الزوجية، وخاصة في شبابنا وشاباتنا اليوم، فوجدت من جملة هذه الأسباب، وربما أن يكون هو السبب الوحيد في هذه الخلافات، ألا وهو سوء فهم حقيقة عقد الزواج.

كيف فهم شبابنا عقدَ الزواج؟

أيها الإخوة: أكثر شبابنا اليوم ينظرون إلى عقد الزواج على أنه عقد مصارعة بينه وبين زوجته، أيُّهما يثبت وجوده، الزوج أم الزوجة؟ ينظرون إليه على أنه عقد لإظهار الأقوى منهما هل الزوج أم الزوجة؟ ينظرون إليه على أنه عقد اختطاف، هل الزوج يستطيع أن يخطف الزوجة من أهلها، أم هي تخطف الزوج من أهله؟ ينظرون إليه على أنه عقد استرقاق وتأميم، بحيث لم يبق للمرأة وجود أمام زوجها، لا رأي لها في شخصها، ولا رأي لها في مالها، ولا رأي لها في حُليِّها، ولا رأي لها في ميراثها من أهلها، ولا رأي لها في مرتَّبها ودَخْلِها، لا رأي لها في شيء من ذلك، الرأي أولاً وآخراً للزوج،

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٠/١٠/٢٧هـ، ٢٠٠٩/١٠/١٦م.

وينزلها بمنزلة الأمة الرقيقة. هكذا ينظر أكثر شبابنا اليوم إلى عقد الزواج، وبكلِّ أسف ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من أين جاء هذا الفهم لعقد الزواج؟

أيها الإخوة الكرام: من أين جاء هذا الفهم لعقد الزواج في نفوس أبنائنا؟

الجواب على هذا: إن هذا التصوُّر لعقد الزواج في أذهان شبابنا اليوم جاء من خلال ما شاهده الأبناء من حياة آبائهم وأمهاتهم، حيث شاهدوا تعامل آبائهم مع أمهاتهم، فانتقلت الصورة إلى أذهانهم أنَّ التعامل مع الزوجة هكذا يجب أن يكون، شدة، وقسوة، وظلم، ومحو الأنا، والتبعية المطلقة، ما هي إلا أمة مملوكة عند الزوج، هي وما تملك ملك للزوج.

ويأتي أحدنا ليوجِّه الأبناء أنَّ هذا التعامل خطأ، ولا يجوز شرعاً، وهو حرام، فيأتي الجواب بكلِّ سهولة وبساطة: هكذا كان آباؤنا وأجدادنا، ولو قلت لهم: إنهم كانوا على خطأ، وأنت مسؤول عن ذلك يوم القيامة، وبيَّنتَ لهم الأحكام الشرعية والحقوق والواجبات التي لهم وعليهم، لقالوا لك: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣].

وهذا ما ينبغي أن نتنبَّه إليه أيها الإخوة؛ لأن التعليم بالتقليد يصعب إزالته وتغييره، لأن العبد يتعلَّم بالتقليد في زمن أقلَّ بكثير مما يتعلَّمه بالموعظة والإرشاد والنصح.

لذلك أقول: أيها الإخوة، كونوا أسوة صالحة لأبنائكم في تعاملكم مع نسائكم، واجعلوا شرع الله رائداً لكم في جميع أقوالكم وأفعالكم مع أهلكم، لأنكم قدوة للناشئة، قدوة للشباب والشابات من أبنائكم، فاحذروا أن تكونوا قدوة غير صالحة.

من المنتصر من الزوجين؟

أيها الإخوة: إذا كان شبابنا ينظرون إلى عقد الزواج على أنه عقد إثبات شخصية ووجود وانتصار في معركة، فأنا أقول لهم مطمئناً: اعلموا بأن النصر لكم، والغلبة لكم، والوجود لكم، وسوف يصفِّق لكم الغافلون عن الله عزَّ وجلَّ، لأنكم حقَّقتم النصر على المرأة، وسوف يصفِّق لكم كلُّ أبٍ غافل عن الله، وكلُّ أمٍّ غافلة عن الله، وكلُّ أخٍ غافل عن الله، وكلُّ أخت غافلة عن الله، وكلُّ صديق غافل عن الله، وربما أن تأخذك نشوة النصر أنت أيها الزوج.

نعم سيتحقَّق لك النصر على الزوجة، لأنَّ العصمة في يدك، سيتحقَّق لك النصر لأنَّ القوامة لك، سيتحقَّق لك النصر لأنَّ المرأة هي الضعيفة، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤]. ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً. ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقُّكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم مَنْ تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإنَّ حقهنَّ عليكم أن تُحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ولكن اسمع يا أخي الشاب المتزوِّج: لقد أعطاك الإسلام درجة القوامة، وأعطاك حقَّ التأديب، وجعل العصمة في يدك، وجعل الزوجة بمنزلة الأسيرة

عندك، ولكن هل تعلم بأن الذي أعطاك هذا الحق هو القائل لك: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال لك في كتابه العظيم وهو يقسم بقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢-٩٣].

فإياك أن تستعمل حقك استعمالاً تعسُّفياً خارجاً عن حدود طاعة الله عزَّ وجلَّ، فإن فعلت ذلك فاعلم قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، اعلم بأنك إذا كنت منتصراً اليوم في الحياة الدنيا، إما بظلم الزوجة ومحقها، وإما بطلاقها طلاقاً تعسُّفياً، فأنت الخاسر في الآخرة، حيث توضع موازين القسط ليوم القيامة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، فيوم القيامة هو يوم الفصل بين الظالم والمظلوم، بين الزوج وزوجته، بين الوالد وولده، بين الجميع.

من استعمل حقَّ القوامة وحقَّ التأديب وحقَّ العصمة استعمالاً تعسُّفياً فإنه سيفرُّ يوم القيامة من أمام زوجته، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

فهل يرضيك أيها الشاب الزوج أن تكون منتصراً على زوجتك في الدنيا بسبب ظلمك وتجاوزك الحد، ثم تكون من الخاسرين يوم القيامة؟

نظرة الإسلام إلى عقد الزواج:

أيها الإخوة الكرام: ما هي نظرة الإسلام إلى عقد الزواج؟ هل هو عقد منافسة بين ذكر وأنثى، أم عقد تكامل بينهما؟

إن نظرة الإسلام إلى عقد الزواج أنَّه عقد تكامل بين الزوجين، الرجل يكمِّل المرأة، والمرأة تكمِّل الرجل، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

عقد تعاون على طاعة الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

عقد إعفاف لكلٍّ من الزوجين، ولكلٍّ وظيفتُه، لا تعارض ولا تضادَّ، إنما تكامل كتكامل الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١-٤].

عقد مسؤولية ورعاية، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ألا كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم.

وهذا العقد عقد مقدَّس في ديننا، قال تعالى فيه: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [النساء: ٢٠-٢١]، فالمرأة أخذت على الرجل ميثاقاً غليظاً، أي قوياً وعظيماً بأن لا يظلمها إن كرهها، وأن يعاشرها بالمعروف، وأن يكرمها، لأن إكرام المرأة من وصف الكرام، كما أن الإساءة لها من وصف اللئام، كما جاء في الحديث: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح، وزاد ابن عساكر: «ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهنَّ إلا لئيم».

عقد الزواج ميثاق غليظ قطعه الرجل على نفسه أن لا يعامل زوجته إلا وفق ما يُرضي الله عزَّ وجلَّ، ويرضي رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم، لذلك قال لولي الزوجة: قبلت زواجها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

عقد الزواج ميثاق غليظ قطعه الرجل على نفسه حيث قرأ قول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

عقد الزواج ميثاق غليظ قطعه الرجل على نفسه حيث سمع حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يقول: «واستوصوا بالنساء خيراً، فإنَّهنَّ خُلِقْنَ من ضِلَع، وإنَّ أعوجَ شيء في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمُهُ كسرتَهُ، وإنْ تركتَهُ لم يزلْ أعوجَ، فاستوصوا بالنساءِ خيراً» رواه البخاري ومسلم.

الميثاق الغليظ ذُكِر في القرآن مرتين:

أيها الإخوة: لو تدبَّرنا القرآن العظيم فإننا نجده قد تحدَّث عن العقود بشكل عام، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ولكن عندما تحدَّث عن عقد الزواج وصفه بقوله: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

وذكر الميثاق مرة ثانية بأنه غليظ أي قوي وعظيم عند أخذ العهد والميثاق على الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

فالميثاق بين الله ورسله وُصِف بأنه ميثاق غليظ، وكذلك الميثاق والعهد بين الرجل والمرأة وُصِف بأنه ميثاق غليظ.

فهل شبابنا حفظوا هذا الميثاق أم ضيَّعوه في حياتهم الزوجية؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: عقد الزواج عقد محبة ووئام بين الرجل والمرأة، وعقد تكافل وتكامل وتعاون، وليس عقد مصارعة وملاكمة، وليس عقد إثبات للوجود، من هو الأقوى؟

أيها الإخوة الشباب: احذروا أن تقولوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣]، اجعلوا قدوتكم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في زواجكم، وانظروا كيف كان يتعامل صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مع نسائه اللاتي أجرى عليهنَّ العقد الذي وصفه ربنا عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

أسأل الله تعالى أن يُخَلِّقَنا بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وأن نخرج من هذه الدنيا بسلامة، وأن نستوصي بنسائنا خيراً، امتثالاً لأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حيث قال: «استوصوا بالنساء خيراً» رواه البخاري ومسلم، سمعاً وطاعةً يا سيدي يا رسول الله.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المفهوم الإسلامي لمهر الزوجة[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ومن جملة هذه العقود التي يجب علينا أن نفي بها عقد الزواج.

وكلُّ عقد يترتب عليه واجبات كما يترتب له حقوق، وكل طالب عقد يجب عليه أولاً أن يقدِّم الواجب الذي عليه، ثم بعد ذلك يطالب بالحق الذي له.

وإن عقد الزواج يطلبه الرجل قبل المرأة، ولذلك يسمى مريد الزواج، وهو يبحث عن الزوجة خاطباً، والزوجة التي يريدها الزوج تسمى مخطوبة، فالرجل خاطب، والمرأة مخطوبة، والرجل طالب، والمرأة مطلوبة، لذلك وجب على الرجل أن يقوم بالواجب الذي عليه أولاً.

إذاً علينا أيها الإخوة عندما نسمع قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾، ونحن نريد عقد الزواج، أن نعلم ما هو الواجب الذي علينا أولاً، حتى نفي هذا العقد حقه.

عقد الزواج ليس عقداً مدنياً:

أيها الإخوة: إن عقد الزواج عندنا عقد شرعي، وليس عقداً مدنياً كما هو

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٠/١١/١٢هـ، ٢٠٠٩/١٠/٣٠م.

الحال في الغرب، عقد الزواج عندنا عقد شرعي مقدَّس، شرعه الله عزَّ وجلَّ لنا بنصِّ القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، وبقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري.

عقد الزواج عقد شرعي يترتَّب عليه الجزاء، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرٌّ، فإن وفيت به كما شرع الله لك أُجرتَ، وإن ضيَّعته لا قدر الله حملتَ الوزر يوم القيامة.

الزواج عبادة يتقرَّب بها الأزواج إلى الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «وفي بُضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» رواه مسلم.

ماذا يترتَّب على الرجل من واجبات في عقد الزواج؟

أيها الإخوة: لذلك وجب علينا أن نعلم ماذا يترتَّب على الرجل من واجبات في عقد الزواج، ويجب علينا أن نعلِّم أبناءنا هذا قبل زواجهم إذا كنا حريصين على سلامتهم دنيا وأخرى.

نعم أيها الإخوة، أكثرنا يعلِّم أولاده ماذا يجب عليه أولاً إذا كان طالباً، أو كان موظفاً، أو كان تاجراً، يعلِّمه الواجب الذي عليه من أجل سمعة طيبة في الدنيا، ومن أجل سلامته.

ولكن أكثر الناس لا يُعلِّمون أبناءهم ماذا يترتب عليهم من خلال عقد

الزواج، لذلك رأينا كثرة الخلافات الزوجية التي أدَّت إلى الشقاق، ثم إلى الطلاق، وانظروا مصداق هذا في المحاكم الشرعية.

أما في الآخرة فالله تعالى يبيِّن لنا نتيجة عدم الوفاء بالعهد والعقد، بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] أي زوجته، لماذا يفرُّ من زوجته؟ لأنه ضيَّع حقها الذي هو واجب عليه في الدنيا.

أيها الإخوة: أكثر شبابنا اليوم في حالة نسيان ليوم القيامة، في حالة نسيان ليوم الفصل الذي هو ميقات الجميع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ [الدخان: ٤٠-٤٢].

أيها الإخوة: علِّموا أولادكم ماذا يترتَّب عليهم نحو عقد الزواج، ثم بعد ذلك لِيُقدِموا أو لِيُحجموا، لأنه ميثاق غليظ، كما قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١].

وآتوا النساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم أنَّ عقد الزواج يترتَّب عليه واجبات، وأول هذه الواجبات على الرجل: المهر، الذي قال فيه مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، فالله تعالى يأمر الزوج أن يؤتي الزوجة المهرَ، قلَّ أو كثر، ما دام مسمًّى في عقد الزواج، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٥] يعني مهورهن، ومهما كان المهر كبيراً، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠].

نظرة شبابنا إلى المهر:

أيها الإخوة: ربُّنا عزَّ وجلَّ الذي شرع لنا عقد الزواج، وأمرنا بإعطاء

المرأة حقَّها من المهر المتَّفق عليه، خاطبنا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. ولكن كيف ينظر شبابنا إلى المهر اليوم؟

نظرة شبابنا اليوم إلى المهر بأنه حِبر على ورق لا قيمة له، وما يشعر أحدهم بأنه دين في ذمَّته سوف يُسأل عنه دنيا وأخرى، الكثير من شبابنا من يستهين بالمهر، ولا يشعر بمسؤوليته نحو هذا المهر، وخاصة بعد أن انتشر في المجتمع غلاء المهر، وجُلُّه يُسجَّل غير مقبوض.

أكثر الشباب لا يبالون الآن بالمهر مهما كثُر، لأنه دَينٌ كلُّه، فإذا ما اختلف مع زوجته وأدى الخلاف إلى طلاق الزوجة، فإنه يطلِّق زوجته ولا يدفع لها شيئاً من مهرها، ويرضى بالسجن لمدة أشهر معدودة، ثم يخرج من سجنه بدون مبالاة، وربما كان الآباء والإخوة عوناً له في التهرُّب من مهر الزوجة.

اعلم أيها الزوج الذي لا يبالي بالمهر بأن الدنيا دَين ووفاء، والجزاء من جنس العمل، هل ترضى أن تُعامَل ابنتك بهذا الشكل؟ هل ترضى من زوج ابنتك أو زوج أختك أن يأكل صداق ابنتك أو أختك؟

تذكَّر قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه» رواه البخاري ومسلم.

بعض الأحكام المتعلِّقة بالمهر:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم قبل الزواج بعض الأحكام الإجمالية التي تتعلَّق بمهر الزوجة:

أولاً: يستحبُّ دفع المهر كاملاً للزوجة قبل الدخول:

وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] يعني مهورهنَّ، فالنبي صلى الله عليه وعلى

آله وصحبه وسلم كان يعطي نساءه مهورهنَّ قبل الدخول، وهذا أكرم لهنَّ من تأخيره، وهو بنفس الوقت تبرئة لذمَّة الزوج مباشرة.

قد يقول قائل: وما هو الضمان أن تبقى الزوجة في عصمة زوجها بعد أخذ الصداق كاملاً؟ الجواب: الضمان لك هو حسن اختيارك لزوجتك، وذلك من خلال قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك» رواه البخاري ومسلم.

فالمستحبُّ دفع المهر كاملاً عند العقد، فلا تؤخِّر المهر وتجعله ديناً في ذمتك لسنوات طويلة، وأنت ترى بأن القيمة الشرائية للأموال في حالة هبوط مستمرٍّ.

ومن كان مستحضراً الآخرةَ بين يديه يكون حريصاً على براءة ذمَّته أمام العباد، وخاصة حتى لا يكون مُفلِساً يوم القيامة لا قدَّر الله إذا لم تسامحه الزوجة عن طيب نفس منها.

ثانياً: المهر حقٌّ خالص للزوجة تتصرَّف فيه كيف تشاء:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم بأنَّ مهر الزوجة من مقدَّم ومؤخَّر وملبس وحليٍّ هو حقٌّ خالص للزوجة، وذلك تعظيم لشأنها، وهي حرَّة في هذا المال تتصرَّف فيه كيف تشاء في حدود طاعة الله عزَّ وجلَّ، والأولى في حقِّها أن تستشير زوجها في التصرُّف، ولكن إن تصرَّفت فيه من غير استشارة فلا تُلام على تصرُّفها.

هي حرَّة في ذهبها ومالها من مهر أو من ميراث أو من كسب، تهب منه لمن تشاء، وتعطي منه لمن تشاء، وتقرضه لمن تشاء، ولا يجوز للرجل أن يضيِّق عليها.

المهر حقٌّ خالص للزوجة إن شاءت فرشت البيت منه، وإن شاءت امتنعت، لأن النفقة أوجبها الله تعالى على الزوج، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧]، فلا تُجبَر على نفقة في بيتها ولا على فرشه إلا إذا تطوَّعت من طيب خاطرها.

علِّموا هذا لأولادكم، وحذِّروهم من أن يضيِّقوا على نسائهم إذا تصرفْنَ في أموالهنَّ من غير استشارة لأزواجهنَّ، وعلِّموا أولادكم أنَّ هذا المهر والذهب ليس من حقِّ الرجل؛ لأنه دخل في ملكها.

واحذروا أيها الآباء أن تعلِّموا أولادكم خلاف هذا، لأن الكثير من الآباء من يعلِّم أولاده أنَّ هذا المال هو حقُّه وليس حقاً للزوجة.

ثالثاً: لا يجوز التضييق على الزوجة حتى تتنازل عن مهرها:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أولادكم قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩].

هناك من يضيِّق على زوجته إذا كرهها حتى تفتدي نفسها منه بترك مهرها وذهبها أو جزء منه، وهذا ليس من شأن صاحب الدين؛ لأن صاحب الدين إذا أحبَّ زوجته أكرمها، وإذا كرهها لم يظلمها، فإما أن يصبر عليها، وأما أن يسرِّحها بإحسان، ومن الإحسان أن يدفع لها صداقها كاملاً، بل يزيد في صداقها متعة، كما قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، والمتعة مالٌ فوق المهر الذي لا يجوز للرجل أن يأكله، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا

مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

واحذروا أيها الآباء والأمهات أن تعلِّموا أولادكم خلاف هذا، لأن الكثير ممن يعلِّم ولده أن يضيِّق على زوجته حتى تفتدي نفسها منه بترك مهرها وذهبها أو جزء منه، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفِّفين: ٤-٦]؟

رابعاً: لها نصف المهر إذا طُلِّقت قبل الدخول:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أولادكم قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

الكثير يُجري العقد على فتاة، وقد تطول فترة العقد قبل الدخول، وربما يحصل خلاف فيريد الزوج أن يطلِّقها، ويظنُّ أنه إذا طلَّقها بعد العقد وقبل الدخول أنها لا تستحقُّ شيئاً من المهر.

أيها الإخوة: من أراد أن يطلِّق زوجته قبل الدخول فيجب عليه أن يدفع لها نصف المهر قلَّ أو كثُر، وهذا من حقِّها، ولا يجوز أن يأكل شيئاً من حقِّها إلا أن تعفو الزوجة عن شيء منه بطيب نفسٍ منها.

فحقُّ الزوجة قبل الدخول إذا طلَّقها زوجها نصف المهر بنصِّ القرآن العظيم، والكثير من الآباء من يعلِّم ولده خلاف هذا، فما هو قائل لربِّه يوم القيامة؟ وماذا سيقول الزوج يوم القيامة إذا لم يدفع لها نصف المهر إذا طلَّقها بعد سماعه هذه الآية الكريمة؟

خامساً: إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول تستحقُّ المرأةُ مهرَها كاملاً:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أولادكم بأنَّ المرأة تستحقُّ المهر كاملاً إذا

مات أحد الزوجين قبل الدخول، فمن مات عن زوجته قبل الدخول فإنَّ المرأة تستحقُّ مهرها كاملاً بدون نقصان، وتستحقُّ إلى جانب هذا ميراثها من زوجها.

وكذلك إذا ماتت الزوجة قبل الدخول بها، فإنها تستحقُّ المهر كاملاً، وطبعاً زوجها يرثها من مهرها ومن سائر مالها إن كان لها مال.

هذا فضلاً عن الدخول بها وطلاقها بعد الدخول، فمن دخل بزوجته ثم طلَّقها، وجب عليه أن يدفع لها صداقها كاملاً، مهما كانت الأسباب التي دفعته لطلاقها.

لأن الواجب على الرجل إذا كانت زوجته سيئة الأخلاق، وأراد طلاقها، وهو لا يريد أن يدفع لها صداقها كاملاً، أن يجعل حكماً من أهله وحكماً من أهلها، ليقضوا في مسألة المهر بسبب سوء أخلاقها.

سادساً: احذر أن تنوي عدم دفع المهر للزوجة:

أيها الإخوة: اعلموا وعلِّموا أبناءكم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي يقول فيه: «أيُّما رجلٍ تزوَّج امرأة بما قلَّ من المهر أو كثر، ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقَّها، خَدَعَها، فمات ولم يؤد إليها حقها، لقي الله يوم القيامة وهو زان» رواه الطبراني ورواته ثقات.

علِّموا هذا لأبنائكم، وخاصة بعد أن صار المهر كلُّه غير مقبوض، فكم وكم من الشباب من يتزوَّج على مهر غير مقبوض، وهو ينوي أن لا يدفع لها صداقها.

ينسى هذا العبد قولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم، فاحذروا أيها الأزواج من أن تكون نيَّتكم عدم دفع المهر للزوجة، واعلموا أنه دَين في أعناقكم ستُسألون عنه يوم القيامة، إلا إذا سامحت الزوجة

بذلك، فمن تزوَّج امرأة وهو ينوي أن لا يدفع لها صداقها لقي الله تعالى يوم يلقاه وهو زان والعياذ بالله تعالى.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: إنه لمن العجيب أن ترى بعض الناس عندما يسمعون مثل هذا التكريم للمرأة في دين الله عزَّ وجلَّ، ينظر إلى ذلك نظرة سخرية واستهزاء، وقد يقول: ما هذا الكلام؟

ولكنه إذا سمع ممن ينعق خلف الغرب بأنه يجب على الناس اليوم أن ينصفوا المرأة ويعطوها حقَّها صفَّق لهذا الكلام، وربَّما يتهجَّم على الإسلام ويقول بأن الإسلام ظلم المرأة ولم يعطها حقَّها.

أيها الإخوة: الذي كرَّم المرأة هو الإسلام، والإسلام فقط، وما عداه فقد ظلم المرأة أيَّما ظلم، عرف هذا من عرف وجهله من جهله، ظلم الغرب للمرأة اليوم ظلم فاضح لا مثيل له وربِّ الكعبة.

وإن المرأة الغربية اليوم تغبط المرأة المسلمة على مكانتها، وتتمنى أن يكون حظُّها كحظِّها، تتمنى أن تكون مخطوبة لا خاطبة، تتمنى أن يكون لها مهر، تتمنى أن ينفق زوجها عليها، تتمنى وتتمنى...

أيها الإخوة الكرام: يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّ رجل من المسلمين على ثَغر من ثُغُر الإسلام، اللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قبلك» رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة؛ أعطوا المرأة حقَّها بعد عقد الزواج، وأول حقٍّ لها هو المهر، واعلموا أن المهر لها تكريم لها، وهي حرَّة في هذا المهر تتصرَّف فيه كيف تشاء في حدود طاعة الله، واحذروا من أكل أموال الناس بالباطل، والتي من جملتها المهر، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن

تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: أناشدكم بالله أن لا تشتروا جوالات لنسائكم ولا لبناتكم فيها كاميرا تصوير، وشدِّدوا وضيِّقوا على نسائكم في هذا، لأن المسألة خطيرة وخطيرة جداً، حيث تقوم بعض النساء بتصوير بعض النساء في حفلات الأعراس، ثم ترسل مقطعاً من هذا التصوير على بعض الجوالات بدون تعيين، والآخر يرسلها لآخر، وهذا قد يؤدي إلى ارتكاب الجرائم.

شدِّدوا على هذا، ومروا نساءكم في حفلات الأعراس أن يمنعن دخول أيِّ امرأة تحمل معها جوالاً فيه كاميرا تصوير لحفل العرس، لأنَّ الطامَّة كبرى، ولا أريد أن أوضِّح أكثر من هذا.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تأمين المسكن الشرعي حقٌّ للمرأة[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ من الواجب الشرعي على الآباء أن يعلِّموا أبناءهم الواجبات التي عليهم تجاه أزواجهم قبل الزواج.

ويجب على الآباء أن يكونوا عوناً لأبنائهم على تطبيق والتزام هذه الواجبات؛ لأنَّ مصدر هذه الواجبات من عند الله عزَّ وجلَّ، وليست من وضع البشر؛ لأنها لو كانت من وضع البشر، واحتال الإنسان عليها وتفلَّت منها، فربما أن ينجو من مشرِّعها.

أما هذه الواجبات فهي واجبات شرعية، من التزمها تقرَّب إلى الله عزَّ وجلَّ، وربح حياة طيبة في الدنيا، وكافأه مولانا عليها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن تفلَّت منها وجعلها خلف ظهره فإنه سيدفع ثمن ذلك عاجلاً أم آجلاً، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٠/١١/١٩هـ، ٢٠٠٩/١١/٦م.

أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦]، فما دام العبد نسي واجباته نحو زوجته أو تناساها، فإنه سيُنسى من رحمة الله تعالى يوم القيامة، إذا لم يتب إلى الله تعالى، أو لم تسامحه الزوجة.

فمصدر هذه الواجبات هو الله تعالى، فهو الذي شرع هذه الواجبات، وهو جلَّ جلاله رقيب على خلقه هل التزموا هذه الواجبات أم ضيَّعوها؟ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، فخالقك هو المشرِّع، وهو الرقيب عليك، وهو المجازي بالإحسان إحساناً، وبالإساءة عقوبة وجزاءً.

هذه الواجبات ليس مصدرها البشر:

أيها الإخوة: علِّموا أبناءكم هذه الواجبات، وأن مصدِّرها هو الله تعالى، ليست واجبات موضوعة من قبل الزوجات، ولا من قبل أولياء النساء، فالالتزام بها واجب شرعي متعبَّد به، الملتزم بها يسمَّى طائعاً لله تعالى، والمتفلِّت منها يسمَّى عاصياً لله عزَّ وجلَّ.

الآمر بهذه الواجبات من البشر يسمَّى آمراً بالمعروف، والمحارب لها والواقف ضدَّها يسمَّى آمراً بالمنكر يستحقُّ سخط الله تعالى والعياذ بالله تعالى، إذا لم يتب إلى الله تعالى منها.

كيف يقف العبد من هذه الواجبات موقف المُعرِض عنها والمحتال على التفلُّت منها، وقد أوجبها الله تعالى على الأزواج من فوق سبع سماوات؟ هل يظن أنه يُعجِز الله تعالى؟ هل يظن أنه يغيب عن نظر الله تعالى؟ قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢-٩٣]، فهل أدَّيت الواجب الذي فرضه الله عزَّ وجلَّ عليك أم ضيَّعته؟

عِظَمُ عطاء الإسلام للمرأة:

أيها الإخوة الكرام: ربُّنا عزَّ وجلَّ من قدسه الأعلى جعل على الزوج واجبات تجاه زوجته، فأعطاها من الحقوق ما لم يعطها أيُّ تشريع وضعيٍّ، وجعل هضم هذه الحقوق معصيةً من المعاصي وكبيرةً من الكبائر يحاسب عليها الزوج يوم القيامة.

لقد أعطاها الإسلام حقوقاً لم يعطها إياها أيُّ تشريع وضعي، حتى إنه لو اطَّلعت المرأة الغربية على حقوق المرأة على زوجها وأولادها وأبيها وإخوتها لعشقت هذا الدين.

ولو أعطينا المرأة المسلمة حقَّها كما أمر الله عزَّ وجلَّ لبُهِرَت المرأة، ولخرَّت ساجدة لله عزَّ وجلَّ على نعمة هذا التشريع الذي أتمَّه الله وأكمله حيث قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن هذا المنطلق حذَّرنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من ضياع هذه الواجبات التي أُلقيت على كواهل الأزواج، حتى لا يدع أحدنا المجال لأعداء هذه الأمة أن يطعنوا في دين الله عزَّ وجلَّ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّ رجل من المسلمين على ثَغْرٍ من ثُغُر الإسلام، اللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلامُ من قبلك» رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

وعندما ضيَّع بعض المسلمين هذه الواجبات التي هي حقوق للمرأة، استطاع الغرب عدوُّ الإسلام أن يدخل علينا من خلال المرأة التي هُضِمت

حقوقها، فأفسدها ـ إلا من رحم الله ـ وهي بدورها أفسدت أبناءها وبناتها، وبذلك يكون فساد المجتمع والعياذ بالله تعالى.

السكنى حقٌّ للزوجة في ديننا:

أيها الإخوة: إنَّ الواجب الأول على الزوج تجاه زوجته، والذي يجب عليه أن يعلمه، هو المهر، الذي هو حقٌّ خالص للمرأة، تتصرَّف فيه كيف تشاء، وليس من حقِّ أحد أن يتدخَّل في تصرُّفها ما دامت تتصرَّف فيه ضمن دائرة الشريعة. وهذا المهر ليس حبراً على ورق، بل هو دَين في ذمَّة الزوج إن كان غير مقبوض.

أما الحقُّ الثاني للزوجة، الذي هو واجب شرعي على الزوج أن يقدِّمه لزوجته، فهو المسكن الشرعي، الذي قال فيه مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦].

أيها الإخوة: السكنى للزوجة على زوجها واجبة شرعاً، وهذا لا خلاف فيه بين الفقهاء، لأن الله تعالى جعل للمطلَّقة حقَّ السكن على زوجها بقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾، فإذا كان هذا في حقِّ المطلَّقة، فمن باب أولى وأولى أن يكون لها هذا الحق إذا كانت في عصمة الرجل؛ لأن السَّكَنَ الشرعيَّ هو من المعاشرة بالمعروف بين الأزواج، كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

شروط المسكن الشرعي:

أيها الإخوة: علِّموا أولادكم قبل الزواج ماذا يترتَّب عليهم بعد عقد الزواج، اجعلوا أبناءكم على بصيرة من أمرهم قبل زواجهم، لأن هذه الواجبات كما قلت هي واجبات شرعية.

ذكِّروهم بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنَّه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء» رواه البخاري ومسلم، فمن الباءة ـ يعني المقدرة ـ تأمين السكن.

هذا السكن له شروط حتى يكون سكناً شرعياً:

الشرط الأول:

أن يكون بيتاً مستقلاً بجميع منافعه لا يشاركها في ذلك أحد، بحيث تأمن فيه على نفسها ومالها، وتأخذ فيه حريتها، وتستتر فيه عن العيون، كما قال تعالى في وصف الحور العين: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

قد يقول أحدنا: نحن اشترطنا عليها وعلى وليِّ أمرها أن تكون سكناها في بيت أهل الزوج، وقد وافقت على ذلك، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «والمسلمون على شروطهم» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وأورده البخاري تعليقاً].

أقول أيها الإخوة: يجب علينا أن نسلِّط أضواء الشريعة على عقودنا، وعلى الشروط التي نجعلها في تلك العقود، حتى نعلم ما هو الشرط المُلْزِم وغير المُلْزِم.

نعم قد تكون هناك شروط أثناء العقد، ولكن اعلموا أيها الإخوة بأنه ليس كلُّ شرط في العقد يكون مُلزِماً، وهذا من جملة الشروط غير المُلزِمة شرعاً للمرأة.

فمن حقِّها أن تطالب بهذا الحق وإن تنازلت عنه بداية، لأنها عندما تنازلت عنه تنازلت عن شيء قبل أن تستحقَّه، فهو تنازل في غير محله، ويتأكَّد هذا الحقُّ لها إن ثبت وجود ضرر عليها من قبل أهل زوجها.

الشرط الثاني:

الشرط الثاني من شروط السكن الشرعي ألا يُجمع فيه بين الزوجة وأقارب الزوج؛ من والدين، أو من أولاد الزوج من غير الزوجة؛ ولا تُجبَر على السكن مع أهل الزوج، وهذا من حقِّها إن وجد الضرر أم لم يوجد، إلا أن يكون ذلك برضاها.

كما أنَّ من حقِّ الزوج أن يمنع الزوجة من إسكانها أحداً من أهلها معها، لأنَّ وجود الغير مع الزوجة في المسكن يمنع الزوجين من كمال الاستمتاع والمعاشرة بينهما. هذا في حقِّ السكنى مع أقارب الزوج أو الزوجة.

أما في حقِّ الزيارة، فلا يجوز للرجل أن يمنع أهل زوجته من زيارة ابنتهم إلا إذا ثبت الضرر منهم، كما أنه لا يجوز للمرأة أن تمنع أهل الزوج من زيارة بيت ابنهم إلا إذا ثبت الضرر منهم.

هذا إذا كان في حقِّ أقارب الزوج وأقارب الزوجة، فكيف إذا كان في حقِّ ضرَّة الزوجة؟ فمن باب أولى وأولى أن يكون سكن كلٌّ واحدة منهنَّ مستقلاً عن سكن الأخرى.

فاحذروا يا عباد الله الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، احذروا من إلزام الزوجة بالسكن مع أهل الزوج، وخاصة إذا ثبت الضرر منهم عليها، واحذروا من ظلمها في سكناها مع ضرَّتها، فإن الناقد بصير.

السكن الشرعي واجب على الزوج إن طلَّق زوجته:

أيها الإخوة الكرام: هناك أمر آخر يتعلَّق في حقِّ السكن الشرعي للمرأة، ألا وهو حقُّ تأمين السكن لها عند طلاقها، إن كان هذا الطلاق رجعياً أو كان بائناً بينونة صغرى أو كبرى.

أيها الإخوة: علِّموا أبناءكم هذا الحكم الشرعي قبل الزواج، لأن الالتزام بهذا الحكم كاد أن يكون معدوماً بين المسلمين.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ [الطلاق: ١]. لا يجوز للرجل، ولا لأهل الرجل، ولا لأهل الزوجة، أن يُخرِجوا الزوجةَ المطلَّقة من بيت الزوجية حتى تنتهي عدَّتها، كما أنه لا يجوز للمرأة المطلَّقة أن تخرج باختيارها من بيت الزوجية.

فإذا أُخرجت أو خرجت بالاختيار فقد تعدَّت وتعدَّوا حدود الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، فالمتعدِّي ظالم، والظالم ليس ربُّنا عزَّ وجلَّ عنه بغافل، فسوف يجعل حياته شقاء وضنكاً إذا لم يتب إلى الله تعالى من ظلمه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، وأما في الآخرة فيُنسى لا قدَّر الله في العذاب إلى ما شاء الله إذا لم يتب، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]، لا تنسوا هذه الأحكام، تعلَّموها وعلِّموها.

لا تتضايق من هذه الواجبات:

أيها الإخوة الكرام: هناك البعض من يتضايق من هذه الأحكام، وربما أن يقول: هذا من الشطط في الأحكام، لماذا كلُّ هذا للمرأة؟

أقول: أيها الإخوة وبكلِّ أسف لو جاءت هذه الأحكام مقنَّنة لنا من الغرب لرأيت بعض الناس من يصفِّق لها ويعجب بها، ويدعو إلى تطبيقها والالتزام بها.

ولكن عندما جاءت عن طريق القرآن الكريم، عن طريق هذا الشرع الشريف، يتزمَّت ويرفض، وكأنَّ لسان حاله يقول: لا أريد أن تكون هذه الأحكام جاءت عن طريق الإسلام الذي أعطى هذه الحقوق منذ أكثر من ألف وأربعمئة سنة، لأن هذا يدعو لأن يلتفت الناس إلى الإسلام، وهم لا يريدون الإسلام.

نعم أيها الإخوة: الإسلام أعطى المرأة هذه الحقوق، وجعلها واجبات على الزوج قبل الغرب، وقبل تشريعات الغرب، بل أعطاها للمرأة في زمن وأد البنات.

أيها الإخوة: أقول لمن يضيق صدره من هذه الأحكام: لا تنظر إلى هذه الأحكام بأنها واجبة عليك، بل انظر إليها على أنها حقٌّ لبناتك أو لأخواتك أو لبعض محارمك، ألا تعجبك هذه الأحكام؟ ألا تسرُّك هذه الأحكام؟

انظر إلى هذه الأحكام وأنت تطالب بها زوجَ ابنتك أو زوجَ أختك، ألا تطالب بها بملء فمك، وتطالب هذا الزوج أن يذهب معك إلى شرع الله؟

لماذا تطالب بهذه الحقوق لبناتك ولأخواتك ولمحارمك، ولا تطالب بها نفسك نحو زوجتك أو زوجة ولدك، أليس هذا من الكيل بمكيالين؟

تذكَّر يا أخي قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفِّفين: ١-٦]، واعلم بعد ذلك بأن الواجب عليك نحو زوجتك هو عين الحق الذي لبناتك عند أزواجهنَّ، فإن طالبت بحقهنَّ فأنت على صواب، ولكن احذر أن تهضم حقوق الآخرين.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: قد ينظر أحدكم إلى هذا الموضوع بأنه تحريش

للأولاد على طاعة أوامر زوجاتهم، وتحريش للزوجات على المطالبة بحقهنَّ في السكن.

أيها الإخوة: هذا الأمر ليس تحريشاً على التعدي والظلم، بل هو تبيان لحكم شرعي غفل عنه الناس ووقعوا بسبب الغفلة عنه في الظلم، وإضافة إلى هذا أقول: إن ظلم بعض آباء وأمهات الأزواج لحلائل أبنائهم هو الذي دفع حلائل الأبناء أن يطالبْنَ أزواجهنَّ بالسكن الشرعي، لماذا لا نتوجَّه إلى من ظلم حلائل الأبناء ونقول لهم: اتقوا الله في حلائل أبنائكم؟

لماذا لا نقول لأمهات الأزواج: إذا ظُلمتِ أنتِ من قبل أمِّ زوجك فلا يجوز لك أن تنتقمي من زوجة ابنك، ما علاقة هذه بهذه؟ اتقوا الله يا عباد الله.

نعم ربُّنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ولكن لمن أساء إليك، وزوجة الابن ما أساءت لأم زوجها، فلماذا تظلمها؟ هل ظلم الآخرين لكم يبيح لكم أن تظلموا الآخرين الأبرياء؟

أيها الأزواج: يقول الله تعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾، فالسكن واجب على الزوج حقٌّ للزوجة، الله يأمرك بهذا، وبعض الآباء والأمَّهات يأمرون بخلاف هذا، فلمن نقول: سمعنا وأطعنا؟ اللهمَّ ردَّنا إليك رداً جميلاً. آمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيها العابد! أين أخلاقك؟[1]

مقدِّمة الخطبة: ما هو ثمن الجنة؟

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالإنسان خُلِق للجنة، والجنةُ خُلِقت له، والجنةُ هي سلعةٌ، وسلعةُ الله غالية، وثمنها في الدنيا، فما هو ثمن الجنة؟

ثمن الجنة هو العبادة لله تعالى، والإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، والعبادات التي هي من شعائر الإسلام وحدها لا تكفي؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضان» رواه البخاري.

فهذه العبادات هي أُسُسُ الإسلام، التي لها الأثر الكبير في تبديل الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فالعبادة لها أثر في تغيير الأخلاق إلى الأحسن.

وضع المسلمين اليوم:

نموذجان في المسلمين اليوم. الأول: عابدٌ سيئُ الخلق.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١/٧/١٤٢٩هـ، ٤/٧١٠/٢٠٠٨م.

الثاني: حَسَنُ الخُلُق ضعيفُ العبادة، فأيُّهما المقبول عند الله عزَّ وجلَّ؟ لا شك بأنَّ الفريقين مرفوضان عند الله تعالى، وأقف اليوم مع الفريق الأول.

الفريق الأول: عابد سيئ الخلق:

هذا مرفوض في الإسلام وخاسر يوم القيامة، في يوم يفرُّ فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لا يقطف ثمار عبادته بسبب سوء أخلاقه، وذلك للحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «هل تدرون من المُفْلِس»؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال: «إنَّ المُفْلِسَ من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» رواه مسلم وأحمد واللفظ له.

وروى أحمد وابن حبان والحاكم بسند صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله إنَّ فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النار» قال: يا رسول الله، فإنَّ فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وإنها تَصَدَّقُ بالأثوار من الأَقِطِ، ولا تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في الجنة».

الأثوار: قطعة من الأَقِط. والأَقِطُ: هو شيء يتخذ من مخيض اللبن.

لذلك يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: لأن يصحبني فاجرٌ حَسَنُ الخلق، أحبُّ إليَّ من أن يصحبني عابد سيئ الخلق اهـ. لأنَّ صحبة الفاجر حسن الخلق للعلماء الصلحاء خيرٌ له، حيث يكون متأثراً بصحبتهم.

أضف إلى عبادتك حسن الخلق:

أيها الإخوة المسلمون:

لا نقول لهذا العابد، ولا يستطيع أحد من العقلاء أن يقول له: لا تعبد الله وأنت سيئ الخلق، بل نقول له: أضف إلى عبادتك حسنَ الخلق، أضف إلى عبادتك الإحسان إلى الناس، لأنَّ الأخلاق الحسنة والإحسانَ إلى الناس جزءٌ لا يتجزَّأ من الدين، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» رواه الترمذي. وفي رواية: «الكلمة الطيبة صدقة».

وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال له: «ولن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك» رواه البخاري ومسلم.

أقول لهذا العابد سيئ الخلق:

لماذا هذا الانفصال بين الأخلاق والعبادات؟ لماذا هذا الانفصال بين حقيقة الدين ومظاهر الدين؟ لماذا أنت في المسجد إنسان كامل، وخارجَ المسجد لستَ كذلك؟ لماذا هذا التناقض المريع في شخصيَّتك؟ لماذا هذه المفارقة الحادَّة؟

أيها الإخوة الأحبَّة: أتمنى أن لا يفهم أحدكم أن يقلِّل من العبادة بسبب سوء الأخلاق، لا، بل حافظ على الكثرة من العبادة، وحافظ على هذه العبادة من الضياع بسبب سوء الأخلاق، وسوء التعامل، لأن مهمة النبي صلى الله

عليه وعلى آله وصحبه وسلم أوضحها بقوله: «إنما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق» رواه البيهقي في السنن الكبرى.

روى البخاري وأحمد عن أبي شريح أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: ومن يا رسول الله، قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه». البوائق: جمع بائقة، أي غوائله وشروره.

مهما عَبَدْتَ، ومهما قُمْتَ، ومهما قرأتَ القرآن، ومهما ذكرتَ، ومهما حججتَ، ومهما اعتمرتَ، ومهما بكيتَ وأنت تتفنَّن في إيقاع الأذى بجارك، بمسلم، بمخلوق، فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ينفي عنك الإيمان ثلاث مرات، وخاصّة إذا كان المأذيُّ جارَك.

فضل حسن الخُلُق:

أيها الإخوة الكرام:

يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما من شيء أثقل في الميزان من حُسْن الخلق» رواه أبو داود.

ويقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربِكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنَكم أخلاقاً» رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج» رواه الترمذي.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أنه سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «ألا أخبركم بأحبِّكم إليَّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟» فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثاً، قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: «أحسنكم خلقاً» رواه الإمام أحمد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم، فَسَعُوهم ببسط الوجه وحسن الخلق» رواه الطبراني وابن أبي شيبة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «إنَّ المؤمن ليدرك بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم» رواه أبو داود.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنَها:

أيها العابد السَّيئُ خُلُقُه: تعلَّم دعاءَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت» رواه مسلم، وأضف إلى هذا الدعاء مجاهدتَك لنفسك، لأن العلمَ بالتعلُّم، والحلمَ بالتحلُّم، والصبرَ بالتصبُّر، وإلا فسيكون هذا العبد من الخاسرين يوم القيامة لا قدَّر الله.

اللهم حسِّن أخلاقنا، واهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت يا أرحم الراحمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يا صاحب الخلق الحسن! أين عبادتك؟[1]

مقدِّمة الخطبة: الناس على صنفين:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا معشر المسلمين:

الكثير من المسلمين اليوم على صنفين: إما عابد سيئُ الخلق، وإما حسنُ الخلق ضعيف العبادة ـ وأقصد بضعيف العبادة من ضيَّع أكثر حقوق الله تعالى من الفرائض والواجبات ـ وإنَّ كلا الفريقين مرفوض في الإسلام؛ لأنَّ هناك من يتصوَّر أن صاحب الخلق الحسن ضعيفَ العبادة أفضل في دين الله من العابد سيئ الخلق، لا أيها الإخوة فكلا الطرفين مرفوض، والمقبول هو صاحب العبادة ذو الخلق الحسن.

عابد سيئ الخلق خاسر:

أيها الإخوة: العابد سيئُ الخلق خاسرٌ يوم القيامة إذا لم يبادر إلى تحسين خلقه باتباع الشرع والتدرُّب على أخلاقه الحميدة والمثابرة عليها، وذلك للحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: «إنَّ العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة ـ يعني لا يزيد على الفرائض ـ وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم» رواه الطبراني.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٩/٧/٨هـ، ٢٠٠٨/٧/١١م.

وتذكَّر أيها العابد السيئ الأخلاق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

حَسَن الخُلُق ضعيفُ العبادة:

حديثنا اليوم عن الصنف الثاني المرفوض كذلك في ديننا، ألا وهو حَسَن الخلق ضعيف العبادة، قد ضيَّع أكثر الفرائض والواجبات، أقول له:

أين أخلاقك على أركان الإسلام؟

يا صاحب الخلق الحسن إذا أردت أن تنتفع من خُلُقك الحسن يوم القيامة، وذلك بقربك من مجلس سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فابن هذه الأخلاق على أركان الإسلام الخمسة، لأنَّ البناء إذا لم يكن على أسس متينة وصحيحة فلا قيمة لهذا البناء، وتذكر يا أخي يا صاحب الخلق الحسن قولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» رواه البخاري ومسلم. فإذا كانت أخلاقك الحسنة من باب الاتباع فلا بدَّ أن تبنيها على هذه الأسس الخمسة.

أخلاقك وحدها لا تكفي يوم القيامة، لأن الغاية من خَلْقك العبادةُ لله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فحُسن الخُلُق هذا حقُّ الخَلْق عليك، وأما العبادة فهي حقُّ الله عليك، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا معاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حقُّهم عليه؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذِّبهم» رواه البخاري.

أين صلاتك وزكاتك وهويَّتك يا صاحب الخلق الحسن؟

أنت بالأخلاق الحسنة أتيت بعمل صالح لا شكَّ في ذلك، وإن سئلت ما هذه الأخلاق؟ من أين اكتسبتها؟ فسوف تقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣]. اكتَسَبها من الإسلام، اكتَسَبَها من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، اكتَسَبَها من القرآن العظيم. شيء حسن، ولكن مسلم بدون صلاة؟! مسلم بدون زكاة؟! مسلم بدون هوية تترجم عن انتمائه؟!

تذكَّر يا صاحب الخلق الحسن وأنت بدون صلاة وزكاة، قولَ الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدَّثر: ٣٩-٤٥].

تذكر يا أخي قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

يا صاحب الخلق الحسن توِّج أخلاقك الحسنة بصلاتك وزكاتك واعتزازك بالإسلام، وإلا ذهبت أخلاقك الحسنة يوم القيامة هباءً منثوراً.

المعاملات من العبادات فأين هي؟

يا صاحب الخلق الحسن انتقِ لقمةَ الحلال، واحذر الحرام، احذر الربا والرشوةَ وأكلَ أموال الناس بالباطل، لأنَّ كلَّ جسم نبت من سُحْتٍ فالنار أولى به، الجسم الذي يتغذى بالحرام لا يطهِّره إلا النار.

خُلُق حسن ويأكل الربا! وينسى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ماذا ينفعك الخلق الحسن مع الربا؟ والمرابي ملعون بنص الحديث. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «لعن الله آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه، قال: وقال: ما ظهر في قومٍ الربا والزنى إلا أحلُّوا بأنفسهم عقابَ الله عزَّ وجلَّ» رواه الإمام أحمد.

ماذا ينفعك الخلق الحسن مع الرشوة؟ وصاحب الرشوة ملعون بنص الحديث، عن ثوبان رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الراشي والمرتشي والرائش - يعني الذي يمشي بينهما) رواه الإمام أحمد.

ماذا ينفعك الخلق الحسن مع أكل أموال الناس بالباطل؟ والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

ضبط الشهوات من العبادة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» أخرجه الحسن بن سفيان والديلمي في الفردوس، وقال ابن حجر: ورجاله ثقات، وصحَّحه النووي في الأربعين.

يا صاحب الخُلُق الحسن هل أنت ضابط لشهواتك؟ هل أنت محافظ على جوارحك وخاصة السمع والبصر؟ ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

اتباع الشهوات مدمِّر، الجنة حفَّت بالمكاره، والنار حفَّت بالشهوات، يا

من أطلق بصره بالنظر إلى النساء، وأطلق يده في مصافحة النساء، وحَلَت له الخلوةُ بهنَّ، ماذا ينفعك الخلق الحسن يوم القيامة؟ والله تعالى يقول: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم: ٥٩].

ماذا ينفعك الخلق الحسن وقلبك مريض بطمعك بالنساء؟ تطمع بالحرام دون الحلال؟ تطمع بما حرَّم الله عليك بسبب عدم غضِّ البصر وحفظ الفرج والاختلاط بالنساء.

وأنتِ يا صاحبة الخلق الحسن بدون ضبط للشهوات بضوابط الشريعة، ماذا سينفعك هذا الخلق الحسن يوم القيامة؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس؛ ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن، كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلْنَ الجنة ولا يجدْنَ ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم.

الدين المعاملة وسلامة القلب:

كثير من أصحاب الخلُق الحسن عندما تدعوهم إلى العبادة يقولون: الدين المعاملة وسلامة القلب، نعم، الدين المعاملة وسلامة القلب، كلام صحيح، ولكن لماذا نقصر المعاملة على حسن الخلق مع الناس فقط؟ أليست معاملتك مع الله من الدين؟ أليست معاملتك مع نفسك من الدين؟

ماذا ينفعك الخُلُق الحسن وأنت تشرب الخمر؟ ماذا ينفعك الخلق الحسن وأنت تشرب المخدرات؟

وأنت عندما تقول: الدين المعاملةُ وسلامةُ القلب، أقول: هذا صحيح، نعم الدين بسلامة القلب، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول:

«ألا وإن في الجسد مضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب» رواه البخاري. نعم إذا سلم القلب سلم اللسان والبصر والسمع، وسلمت اليد والرجل والفرج.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

فيا أيها الإخوة الكرام الأحبة! توِّجوا عباداتكم بالأخلاق الحسنة، لتنالوا القرب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولا تجعلوها تذهب هباءً منثوراً بسوء الأخلاق.

وتوِّجوا كذلك أخلاقَكم بالعبادة، لأنَّ الخُلُق الحسنَ بدون عبادة لا ينفع، وأول ما يحاسب العبد يوم القيامة عن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام، ثم يحاسب عن بقية الأركان.

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وارزقنا أحسن الأخلاق والأعمال فإنه لا يرزق أحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئ الأخلاق والأعمال فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنسيت أيها الزوج الظالم ؟![1]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

كنت أفكِّر الليلة الماضية في خطبة الجمعة ماذا سيكون موضوعها؟ فدخل عليَّ ولدي وقال لي كلمةً عابرة: كم من امرأة تبكي وتشكو أمرها إلى الله عزَّ وجلَّ من ظلم الزوج لها؟ ـ وكان الوقت متأخراً ـ فقلت له: عددهم كبير ربما وصل إلى الخمسين في المائة، وقلت له نسي هؤلاء قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

اتقوا الله في النساء:

نعم أيها الإخوة الكرام: صور ظلم النساء كثيرة وكثيرة جداً، وإني أريد أن أُذكِّرَ كلَّ زوج فينا، وخاصة من كان في مرحلة الشبابِ والقوَّةِ والفتوَّةِ، حيث تدفعه قدرته على ظلم المرأة، لأنَّ العصمة في يده، ونسي أنه ما استحلَّ فرجها إلا بكلمة الله عزَّ وجلَّ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنَّ أن لا يوطئْنَ فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلْنَ ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مُبَرِّح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف» رواه مسلم.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٩/٧/١٥هـ، ٢٠٠٨/٧/١٨م.

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤]؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣]؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]؟

وأنا عندما أُذكِّرك بذلك، والله ما أذكِّرك إلا من خلال حبِّي لك، وإخلاصي معك، ونصحي لك، لأن الله يسأل عن صحبة ساعة، وأنا صاحبك في هذه الساعة.

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «اتقوا الظلم، فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة» رواه مسلم؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن: «اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» رواه البخاري ومسلم؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهنَّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» رواه الترمذي؟

أنسيت أيها الزوج الظالم قولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبِسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصُّون مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلُّ بمنزله كان في الدنيا» رواه البخاري؟

أيها الزوج الكريم: تذكَّر قول سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث قال: إذا دعتك قدرتك على الناس على ظلمهم، فاذكر قدرة الله عليك. رواه البيهقي في شعب الإيمان.

يحبس الظالم يوم القيامة حتى يؤدي ما عليه:

تصوَّرْ أيها الزوج الظالم ـ وربما أن تكون أنت العابد المتبتِّل ـ، تصوَّرْ قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا» لأنه أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة حقوق الله عزَّ وجلَّ، لأن حقوق الله تعالى مقدَّمة على سائر الحقوق، وربَّما أن تكون أنت ممن عرف حق الله عزَّ وجلَّ فأدَّاه، وإذا أدى العبد حقوق الله تعالى أتى بأعمال كالجبال وظنَّ بأنه قد نجا، لأنه يضرب على الصراط قناطر يُسأل فيها العباد، وإنكم تعلمون أيها الناس بأنَّ الصراط مضروب على متن جهنم، فيُسأل في القنطرة الأولى عن التوحيد، ثم في الثانية عن الصلاة، ثم الصيام، ثم الزكاة، ثم الحج، ثم العمرة، وفي القنطرة السابعة يُسأل عن حقوق العباد. روي في تفسير الخازن والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إنَّ على جسر

جهنم سبعُ محابس، يُسألُ العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى الثاني، فيُسألُ عن الصَّلوات، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى الثالث، فيُسأل عن الزَّكاة، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى الرابع، فيُسألُ عن الصوم، فإن جاء به تامّاً جاز إلى الخامس، فيُسألُ عن الحج، فإن جاء به تامّاً جاز إلى السادس، فيُسأل عن العمرة، فإن جاء بها تامَّة جاز إلى السابع، فيُسأل عن المظالم، فإن خرج منها، وإلا يُقال: انظروا فإن كان له تطوع أكملت به أعماله، فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة).

فمن جملة حقوق العباد حقُّ الزوجة، تصوَّر أيها الزوج العابد بعد أن ظننت بأنك نجوت، فإذا بالزوجة المظلومة ـ إذا لم تعفُ عنكَ ولم تسامحْكَ ـ بدأت تطالب بحقها، فماذا تأخذ مقابل حقها الذي هو عليك، والله يقول: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]؟

لا شكَّ تأخذ من حسناتك، وأنت تنظر إلى النار وتظن بأنك قد نجوت منها، وتنظر إلى الجنة وتظن أنَّك أصبحت من أهلها، وعندها تَذَكَّر حديث المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما سأل أصحابه قال: «أتدرون ما المُفْلِس»؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المُفْلِس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرِحَت عليه ثم طُرِحَ في النار» رواه الإمام أحمد.

أنت وزوجتك في القنطرة السابعة أو في المحبس السابع، وقد شتمتَها وضربتَها وأكلتَ مالها من مهر وذهب وتركة وميراث وحليٍّ ومُرَتَّب، فإذا بها تأخذ من حسناتك، وربما لا قدَّر الله تستغرق حقُوقها وحقُوق أهلها جميعَ

حسناتك، وإذا فنيت حسناتك لا قدَّر الله تعالى، أخذت من خطاياهم ثمَّ طرحتْ عليك، ثم طُرِحْتَ في النار.

ما رأيك أيُّها الزوج الظالم وأنت العابد الذي أدى حقوق الله تعالى كاملة، ونسي حقَّ الزوجة، بل ظَلَمَ الزوجة وأهلَها؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

ولعلَّك تسأل أخي الكريم: ما هي صور الظلم بين الرجل وزوجته حتى أجتنبها؟ فأقول: صورها كثيرة، ولكن سأذكر لك بعض صور الظلم التي تفشت في المجتمع تفشِّياً خطيراً، وقلَّما أن تجد زوجاً ناجياً من الظلم لزوجته، ولكن في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن تأسَّى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالأقوال والأفعال.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صور من ظُلْمِ المرأة(١)[1]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ ظُلْمِ الرجال للنساء كبير، وما وَقَعَ الرَّجُلُ في الظُّلْمِ إلا بسبب غفلتِهِ عن يوم القيامة وأهوالها، وعن المآل الذي يؤول إليه الظالم.

وربما وجد البعض في نفوسهم شيئاً من قولي: أنسيت أيُّها الزوج الظالم!

أيُّها الإخوة: الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع، وإن فلاحَنا بتناصُحِنا، ولا خير في طلاب العلم إذا لم ينصحوا، ولا خير في الأمة إذا لم تستجب. لقد أقسم مولانا بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. سوف نُسأل عن بعضنا البعض يوم القيامة، سوف نسأل عن صحبة ساعة، هل تناصحنا أم لا؟

لقد نَسِيَ الزوج الظالم قولَ الله تعالى في الحديث القدسي الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا».

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٩/٧/٢٢هـ، ٢٠٠٨/٧/٢٥م.

نَسِيَ الزوج الظالم بأنَّ الله تبارك وتعالى الذي لا يُسأل عما يفعل حرَّم الظُلْمِ على نفسه، فكيف به وهو الذي قال الله تعالى فيه وفي غيره: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢-٩٣]. وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة» رواه مسلم. كيف وهو يُبِيحُ لنفسه الظُلْمَ؟

لذلك أَسْرِعْ أيها الزوج الظالم للتوبة الصادقة، لأنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول لنا جميعاً: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلَّلْهُ منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مَظْلَمَتِهِ، وإن لم تكن له حسنات أُخِذَ من سيّئات صاحبه فحُمِلَ عليه» رواه البخاري.

صور من ظُلْمِ الرجل للمرأة:

أولاً: سبُّها وشتمُها ولعنُها، من الذي أعطاك حقَّ سبِّها وشتمِها ولعنِها؟

ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة؟ وما هو موقفك من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوم القيامة، حيث ستطلب منه الشفاعة؟ ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خاطبك بقوله: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رواه البخاري. وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» رواه مسلم. وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يكون المؤمن لعاناً»

رواه الترمذي. وقال رجل للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: أوصني. قال: «أوصيك ألا تكون لعَّاناً» رواه الطبراني.

هذا السبُّ والشتمُ واللعنُ أليس بسيئة؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]. فكم سيئة صدرت منك نحوها، حاول أن تحصي هذا منذ أن تزوجتَها إلى هذه الساعة، هل ترضى أن تقابل زوجتُك السيئةَ بالسيئة كما شرع الله عزَّ وجلَّ بنصِّ الآية؟ لماذا أعطيت نفسك هذا الحق وحَظَرتَهُ على زوجتك؟ لماذا أبحت لنفسك السيئة وحظَرتها على زوجتك؟ هل زوجتك قابلت تلك السيئات كلَّها بواحدة مثلها؟ لماذا؟ لأنها عفت وأصلحت ووقع أجرها على الله تعالى، أما أنت فهل اعتذرت؟ هل طلبت منها السماح؟ إن لم تفعل فأنت ظالم، والله لا يحبُّ الظالمين.

ثانياً: الضرب المبرِّح: من صور ظلم الرجل للمرأة الضرب المبرِّح.

أيُّها الزوج! لماذا تجمع مع السبِّ والشتمِ واللَّعنِ الضربَ؟

العجيب أيُّها الإخوة أن يقول الزوج: هذا مما شرع الله تعالى للرجال، ألم يقل الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]؟

نعم أيُّها الرجل لقد شرع الله عزَّ وجلَّ هذا، ولكن هل وقفت مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليوضح لك معنى هذه الآية؟ أما سمعت أيُّها الرجل قولَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، وإن لكم عليهنَّ أن لا يوطئْنَ فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلْنَ فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرِّح» رواه أبو داود؟

من حقِّ الزوج أن يضرب زوجته ضرباً غير مبرح، ولكنَّ خيار هذه الأمة لا يضربون؛ لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ولن يضرب خياركم» [رواه الحاكم في المستدرك]. كيف يضربها الخيار ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم!» رواه البيهقي؟

أيُّها الإخوة الكرام! لقد ذكر الفقهاء أثناء حديثهم عن ضرب المرأة الناشز، أنَّه يجوز للرجل أن يضرب زوجته ضرباً غير مبرح، إذا عَلِمَ بأنَّ الضرب يُؤدِّبُها، وإلا حَرُمَ عليه ضربها، وقالوا: يحرم على الرجل أن يضرب زوجته ضرباً مبرِّحاً وإن كان هذا الضرب يُؤَدِّبُها.

بل أقول لك: لا يجوز الدعاء عليها فضلاً عن ضربها ضرباً مبرِّحاً، وإن دعوتَ الله عليها فاعلم بأنَّ دعاءك غيرُ مستجاب، لما أخرجه الحاكم في المستدرك بسند حسن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلِّقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهِد عليه، ورجل آتى سفيهاً ماله وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]».

لماذا الدعاء عليها؟ هلَّا دعوت الله عزَّ وجلَّ لها؟ أنت تدعو عليها بالشرِّ كما وصف الله عزَّ وجلَّ حالك بقوله: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

لا تتعجل بالدعاء عليها، فإن دعوت فاعلم بأنَّ دعاءك غير مستجاب في حقِّها، لأن الله تعالى ما شرع لك معالجةَ نشوزها بالدعاء عليها.

بل شرع لك في معالجة نشوزها الموعظةَ الحسنة، والهجر، والضرب غير المبرح، بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. فإن لم تفلح شَرَعَ لك إرسال حَكَم من أهلك وحَكَم من أهلها فقال: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]. فإن لم يفلحا شَرَعَ لك طلاقها بقوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]. فإذا توجَّهت إلى طلاقها، فاحذر الظُلْمَ أثناء الطلاق.

ولكن كيف يكون ظُلْمُ المرأة في طلاقها. هذا ما سنتحدث عنه في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صور من ظلم المرأة(٢)[١]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ صور ظلم الرجال للنساء كثيرة جداً في المجتمع، ويجب على كلِّ عاقل أن يستحضر الموقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة، في كلِّ قول وعمل يأتي به، وخاصة في تعامله مع الزوجة. ينبغي علينا أيها الإخوة أن لا يغيب عن بالنا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وأن لا يغيب عن بالنا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وأن لا يغيب عن بالنا قوله جلَّ جلاله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وإنَّ من صور ظلم الرجال للنساء: السبُّ والشتم واللعن والضرب المبرِّح والدعاء عليها، وإن الدعاء عليها لا يستجيبه الله تعالى، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ثلاثة يدعون الله فلا يُستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلِّقْها، ورجل كان له على رجل مال فلم

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٠/١١/١٢هـ، ٢٠٠٩/١٠/٣٠م.

يشهد عليه، ورجل آتى سفيهاً ماله وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]» أخرجه الحاكم وابن أبي شيبة والبيهقي. كلُّ هذه الصور من الظلم المحرَّم شرعاً.

طرق معالجة نشوز المرأة:

أيها الإخوة: إن معالجة نشوز المرأة لا يكون بالظلم لها، فإن كانت هي ظالمة لزوجها بنشوزها، فما ينبغي للرجل أن يكون ظالماً في حال معالجة نشوزها، ولن تكون معالجة نشوزها بطرق غير مشروعة من سبٍّ وشتم ولعن وضرب ودعاء عليها، إن طريق معالجة نشوزها رسمه لنا القرآن العظيم بقوله جلَّ جلاله: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

فإن أفلحت في معالجة نشوزها بإحدى هذه الطرق الثلاثة فبها ونعمت، وإلا فانتقل إلى المرحلة التي تليها، ألا وهي قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فإن أفلحا في حلِّ النشوز فبها ونعمت، وإلا انتقل الزوج إلى العلاج الأخير ألا وهو الطلاق، وذلك لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠].

من صور ظلم المرأة: التعسُّف في الطلاق:

ولكن أيها الإخوة حتى استخدام الكثير من الرجال لهذا الحقِّ في طلاق المرأة من أجل معالجة نشوزها يكون فيه ظلم للمرأة، وهذا مما يؤكِّد لنا بأن المعصية تجرُّك إلى معصية ثانية، والثانية إلى الثالثة، حتى يهلك العبد بالمعاصي.

انظروا أيها الإخوة إلى مصداقية هذا الكلام، معصية السبِّ والشتم جرَّت الرجل إلى معصية ثانية ألا وهي اللعن، ومنها إلى معصية الضرب

المبرِّح، ومنها إلى الدعاء عليها، ومنها إلى الطلاق الذي فيه تعدٍّ لحدود الله عزَّ وجلَّ، كلُّ هذا بسبب تركنا لمنهج ربنا عزَّ وجلَّ الذي أنزله على حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

من ظلم إلى ظلم، ومن معصية إلى معصية، إلى أين سنصل؟ وربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

استخدام الرجل حقَّه في الطلاق ما ينبغي أن يكون فيه الظلم، وكيف يكون ظلم الرجل للمرأة في طلاقها؟

الطلاق مرَّتان:

أيها الإخوة الكرام: يقول مولانا في كتابه العظيم: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. أرجو أيها الإخوة أن تتدبَّروا هذه الآية جيِّداً، ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

تدبَّروا الآية جيِّداً، وتعلَّموا وعلِّموا أبناءكم الذين يريدون الزواج، الطلاق يجب أن يكون منضبطاً بضوابط الشريعة، وإلَّا أصبحت ظالماً في استعمال الحقِّ الذي شرعه الله لك.

ماذا يقول مولانا عزَّ وجلَّ؟ يقول: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وفي آخر الآية: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

أولاً: يجب علينا أن نعلم بأن الله تعالى أحلَّ لنا النساء بكلمة واحدة، عندما يقول لك وليُّها: زوَّجتُكَ موكِّلتي، وتقول له: قبلتُ زواجها، حلَّت لك بهذه الكلمة، وأصبحت ترى منها ما لا يرى أبٌ ولا أمٌّ ولا أخ ولا أخت،

وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم القائل: «أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله» رواه مسلم، بكلمة واحدةٍ حلَّت لك، ولكن لا تحرُم عليك حرمة كبرى إلا بثلاث كلمات، أي الطلاق ثلاث مرّات.

ثانياً: يجب علينا أن نعلم بأن الطلاق مرَّتان، مرة تلو مرة، فلماذا نظلم المرأة بإيقاع الطلاق عليها ثلاثاً دفعةً واحدة؟ الله تعالى يقول: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وهذا حدٌّ من حدود الله، فإذا طلقتَها ثلاثاً دفعةً واحدة فقد ظلمتَ وتعدَّيتَ حدود الله تعالى.

الطلاق علاج وليس انتقاماً، لماذا تطلِّق ثلاثاً دفعة واحدة؟ والأشدُّ أنك تطلِّق أكثر من ثلاث.

جاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال له: إني طلقت امرأتي مائة، فقال: بانت منك بثلاث، وسائرهنَّ معصية. رواه ابن أبي شيبة.

وجاء رجل إلى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: يا بن عباس! إنه طلق امرأته مائة مرة، وإنما قلتُها مرة واحدة، فتبين مني بثلاث، أم هي واحدة؟ فقال: بانت بثلاث، وعليك وزر سبعة وتسعين. رواه ابن أبي شيبة.

لا تظلم في طلاقك، طلِّق طلقة واحدة.

ثالثاً: يجب عليك أن تعلم بأنك تكون آثماً إذا طلَّقتها وهي حائض أو نفساء، مع العلم بأن الطلاق يقع عليها، وهنا أستغلُّ الفرصة لأوجِّه الخطاب للإخوة القضاة الشرعيّين وللإخوة المحامين، يجب عليكم أن لا توقعوا الطلاق أثناء حيض المرأة أو نفاسها، وإذا أوقعتموه فأنتم آثمون.

ويجب على الزوج أن يراجع زوجته إذا طلَّقها أثناء حيضها أو نفاسها، إذا كان طلاقها للمرة الأولى أو الثانية، ثم ينتظر حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم بعد ذلك إن شاء أمسكها بمعروف، أو سرَّحها بإحسان، وذلك لأن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما طلَّق زوجته وهي حائض، فسأل سيِّدُنا عمرُ رضي

الله عنه سيِّدَنا رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عن ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلَّق قبل أن يمسَّ، فتلك العدَّة التي أمر الله أن تطلَّق لها النساء» رواه البخاري ومسلم.

ويقول سيدنا ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]: طاهراً من غير جماع. رواه الطبراني.

رابعاً: يجب عليك أن تعلم بأن الطلاق يقع إذا علَّقتَه على شرط، ولو لم تكن الزوجة لها علاقة في ذلك. ظلمٌ كثير من الرجال للنساء في الطلاق. كم وكم من رجل يعلِّق طلاق زوجته على فعلِ أمرٍ أو تركِهِ، والزوجةُ بعيدةٌ كلَّ البعدِ عن هذا الموضوع؟ لماذا هذا يا أخي؟ أليس هذا من الظلم؟ ولنعلم أيها الإخوة بأن لفظ الحرام ألحقه الفقهاء بألفاظ الطلاق الصريحة، وهذا صار معلوماً عند الجميع.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

وأعود أخيراً لما بدأت به أولاً، الظلم يجرُّك إلى ظلم آخر، والمعصية تجرُّك إلى معصية أخرى، من السبِّ والشتم واللعن، إلى الضرب المبرِّح، ومنه إلى الدعاء، ومنه إلى الطلاق التعسُّفي، وبعد ذلك ينتقل إلى معصية أخرى، وهي أكل حقوق الزوجة بعد طلاقها التعسُّفي.

فهل من تائب إلى الله تعالى قبل موته، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]؟

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

واجب الزوج نحو زوجته لسلامة آخرتها[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ من الواجبات الشرعية التي كلَّف الله عزَّ وجلَّ بها الرجال نحو نسائهم واجبين اثنين:

أما الواجب الأول: فهو المهر، والثاني: هو تأمين السكن لها.

وإذا تحقَّق للمرأة المال والسكن فإنها تضمن بإذن الله حياة طيبة في حياتها الدنيوية، حيث تتمتَّع بالمال وبالسكن، وتأخذ فيه راحتها وحريَّتها الشرعية، وبذلك تجد السكن الذي فيه طمأنينة وراحة نفسيَّة.

واجب الزوج نحو زوجته لسلامة آخرتها:

أيها الإخوة: واليوم أتكلَّم لكم عن واجب الزوج نحو زوجته من أجل سلامة آخرتها، فكما هو مسؤول عن تأمين سلامة دنياها فهو مسؤول عن تأمين سلامة آخرتها، وذلك لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومن أسباب وقايتها من نار جهنم أن يأمرها بالحجاب الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن يأمر به نساءه وبناته ونساء

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٠/١١/٢٦هـ، ٢٠٠٩/١١/١٣م.

المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فهذا واجب على الزوج كما يجب عليه المهر والسكن لزوجته، واجب عليه أن يقيها من نارٍ وَقودها الناس والحجارة، وذلك من خلال أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، ومن جملة ذلك الأمر بالحجاب.

لأن المرأة إذا لم تحتجب ولم تُلْقِ على نفسها الجلباب، وخرجت إلى الشارع واختلطت مع الرجال، كانت فتنةً للرجال، وإذا كانت فتنة للرجال وأصرَّت على ذلك ولم تتب إلى الله تعالى، فإنَّ مصيرها إلى نار جهنم والعياذ بالله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

لذلك وجب على الرجل أن يُحجِّب زوجته، وأن يحجبها عن أنظار الرجال، وخاصة الرجال الفاسقين، ويجعل زوجته كالحور العين اللواتي وصفهنَّ الله تعالى بقوله: ﴿حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، وذلك من خلال قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هذا القرار في البيوت يحجبها عن أنظار الرجال الأجانب، فإذا ما خرجت لأمر ضروري خرجت متحجِّبة حتى لا تكون فتنة للرجال.

أيها الإخوة: مسألة أمر الرجال لنسائهم بالحجاب فرض عليهم وواجب شرعي سيُسألون عنه يوم القيامة، ولكن قبل الحديث عن هذا الموضوع موضوع الحجاب الذي كثر الحديث عنه من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، ومن خلال الكتب والمجلات والصحف، قبل الحديث عنه أجعل هذه الخطبة مقدِّمة لهذا الموضوع الهامِّ والخطير.

حرص الإسلام على طهارة المجتمع:

أيها الإخوة الكرام: جاء الإسلام ليصون الأعراض والمجتمع من

الرذيلة، ومن كلِّ ناقصة تدنِّس الشرف والعرض، جاء الإسلام ليجعل المجتمع مجتمعاً مثالياً، شبابه صالحون، وشاباته صالحات.

جاء الإسلام ليصون الشباب من الفسق والشابات من الطغيان، لأن الشباب إذا فسقوا والشابات إذا طغوا فسد المجتمع، وبفساده يخسر المجتمع الدنيا والآخرة.

روى الطبراني وأبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كيف بكم إذا فسق شبابكم، وطغى نساؤكم»؟ قالوا: يا رسول الله، إن ذلك لكائن؟ قال: «وشرٌّ من ذلك سيكون، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»؟

فِسقُ الشباب لا يكون إلا بسبب طغيان النساء، ومن طغيانهنَّ تجاوزهنَّ حدود الله تعالى في مسألة الحجاب.

أيها الإخوة: الحجاب من المعروف، والسفور من المنكر، ولكن بكلِّ أسف هناك من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وهناك من يستجيب لذلك من بعض النساء حتى عمَّت البلوى، وأصبح البعض يرى الحجاب من المنكرات التي يجب محاربتها، والتبرُّج من المعروف الذي يجب الأمر به، وبذلك فسد المجتمع إلا من رحم الله تعالى.

أولاً: وَلا يضربْنَ بأرجلهنَّ ليُعلَمَ ما يُخفينَ من زينتهنَّ:

أيها الإخوة الكرام: لقد جاء الإسلام ليصون أعراضنا وشرفنا من أن تدنَّس بنظرة فاسق، أو بفعل محرَّم، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، لا يجوز للمرأة أن تضرب الأرض برجلها في مشيتها ليعلم الرجال ما تُخفي من زينتها، لأن في ذلك مظنة للفتنة والفساد ولفت الأنظار وإثارة الشهوة، وإساءة الظن بأنها من أهل الفساد والفسوق، فإسماع صوت الزينة كإبدائها وأشدُّ.

فالإسلام علَّمها كيف تمشي في الطريق صيانة لشرفها وعزَّتها وكرامتها

من أصحاب القلوب المريضة، لأنَّ بضربها الأرض برجلها تستميل القلوب المريضة، وبذلك يكون فساد المجتمع.

ثانياً: وَقَرْنَ في بيوتِكنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليةِ الأولى:

أيها الإخوة الكرام: من أجل سلامة الأعراض وطهارة المجتمع من الرذيلة خاطب الله النساء بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، لأن خروج المرأة من بيتها ضياع لوظيفتها التي وُكِلَت إليها، فإذا ضيَّعت وظيفتها فسدت، وإذا فسدت أفسدت، والمسؤول عن ذلك الرجل.

أيها الإخوة: مروا نساءكم بعدم الخروج من البيت إلا لضرورة، لأن الله أمر المرأة بذلك، ولأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وفي رواية لابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والطبراني في الكبير والأوسط: «المرأة عورة، وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان، وإنها أقرب ما يكون إلى الله وهي في قعر بيتها». وفي رواية للطبراني في الكبير: «إن المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان فتقول: ما رآني أحد إلا أعجبته، وأقرب ما تكون إلى الله إذا كانت في قعر بيتها».

يجب على المرأة أن تلازم بيتها لتقوم بدورها الحقيقي في تربية المجتمع، ملازمة بيتها ليس سجناً لها، ومن يقول: إن ملازمة المرأة لبيتها سجن لها؟

تلازم بيتها ولا تخرج إلا لضرورة؛ لأن مهمتها صعبة وصعبة جداً، ألا وهو تربية الأبناء، أما دُرِّسْنا أيام زمان:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتَها أعددتَ شعباً طيِّبَ الأعراقِ

دورها في بناء المجتمع كبير أيها الإخوة، وعملها في بيتها لا خارج بيتها، وعندما خرجت ضاعت وضيَّعت، وستتحمَّل مسؤولية هذا الضياع، ألم يقل النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول

عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلُّكم راع ومسؤول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لهما: «والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم». هذا هو مكان رِعايتها، ومن لم يرع المكان الذي وُكِل إليه ضيَّعه، وأول من يتحمَّل نتائج هذا الضياع هو المُضيِّع، وبالتالي نتائج الفساد حاطت بالمرأة أيَّما إحاطة، والواقع يصدِّق هذا.

ثالثاً: «أيُّما امرأة استعطرت...»:

أيها الإخوة الكرام: من حِرصِ الإسلام على سلامة أعراضنا وسلامة المجتمع من الرذيلة، حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المرأة التي خرجت من بيتها لضرورة من أن تستعطر، أو أن تضع زينة لها رائحة تفوح منها، أجمل زينة المرأة ما ظهر لونه وخفي ريحه، وأجمل زينة الرجل ما ظهر ريحه وخفي لونه.

حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المرأةَ من الخروج من بيتها مستعطرة، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أيما امرأة استعطرتْ فمرَّتْ بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية» رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح؛ لأن خروج المرأة من بيتها بهذا الشكل فتنةٌ للرجال، وسببٌ للفساد في المجتمع، لذلك حرَّم الإسلام عليها الخروج مستعطرة.

الإسلام يعالج المشاكل من جذورها، ولا يستخفُّ بعقول الآخرين، الإسلام أغلق جميع الأبواب أمام الفاحشة، الإسلام لا يجعل لافتات ودعايات يكتب عليها: احذر الإيدز من خلال لقاء عابر، وهو يفتح أبواب الفواحش على مصاريعها!!

هذه الدعايات التي تكتب في شوارع المسلمين من التحذير من مرض الإيدز، مع فتح أبواب الفواحش، هو نوع من أنواع الاستخفاف بعقول الناس، الإسلام عالج هذه الأمور بالوقاية منها قبل وقوعها، وذلك بإغلاق جميع السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، حرَّم إبداء الزينة، وحرَّم ضرب الأرض بالأرجل ليعلم ما تُخفي المرأة من زينتها، أمر المرأة بعدم الخروج من بيتها إلا لأمر ضروري، وإذا خرجت خرجت بالحجاب الشرعي، كما حرَّم عليها الطيب إذا خرجت من بيتها.

رابعاً: «نساء كاسيات عاريات»:

أيها الإخوة الكرام: الأمر الرابع الذي فرضه الله على نسائنا من أجل سلامة المجتمع من الرذيلة والفاحشة، هو عدم خروج النساء كاسيات عاريات متبرِّجات، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ومن هذا التبرُّج خروج النساء كاسيات عاريات، كاسيات حسب الظاهر من ثياب ضيِّقة تجسِّد جسد المرأة، أو ثياب رقيقة أو قصيرة تكشف العورة، فهي كاسية عارية، وهذه المرأة فتنة للرجال، لذلك حرَّم الله عليها الجنة وريحَها حتى تتوب إلى الله تعالى.

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلْنَ الجنةَ، ولا يجدْنَ ريحَها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

هلَّا فكَّر المسلم بهذا الحديث الشريف، ونظر بعد ذلك في أهله من زوجة وبنت ما هو لباسها؟ هل هو ضيِّق يجسِّد العورة؟ أم هو رقيق يشفُّ ما تحته؟ أم هو سميك فضفاض؟

فإن كان ضيِّقاً أو رقيقاً هل يرضى لزوجته وبنته هذا؟ أن تُحرَم من دخول الجنة لا قدر الله وتُحرَم من ريحها، وذلك باستحلال هذه الثياب التي فيها تقليد للنساء العاهرات الفاجرات اللواتي لا يخفْنَ اللهَ تعالى؟

أيها الإخوة الكرام: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، فهذه الثياب الضيِّقة الرقيقة التي تلبسها المرأة تجعلها كاسية عارية، ومن كانت هذا وصفُها يحرم عليها دخول الجنة إذا استحلَّت هذا الأمر والعياذ بالله تعالى.

سلوا هؤلاء النسوة: ما الغاية من خروجها أمام الرجال الأجانب بهذه الثياب؟ ومن الذي يدفع ثمن هذا التبرُّج؟ أول دافع لثمن هذا التبرُّج هو المرأة الكاسية العارية بحدِّ ذاتها، بحيث يُعتدى عليها، وكم من بيوت خُرِّبت بسبب هذا؟ وكم من امرأة طُلِّقت بسبب هذا؟ وكم من خيانة وقعت بسبب هذا؟

هؤلاء النسوة هنَّ مصدر فسق الشباب، وعندما طغت المرأة وفسق الشباب بسببها فهي التي تتحمَّل وزرها ووزر من فتنته من الشباب والعياذ بالله تعالى.

خامساً: إذاً تنكشف أقدامهنَّ:

أيها الإخوة الكرام: ليسمع من يختصم مع الآخرين: هل الوجه عورة أم ليس بعورة؟ هل يجب ستره أم لا؟

اسمعوا وأسمعوا هؤلاء حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي رواه الإمام أحمد والنسائي والترمذي وقال عنه: حديث حسن صحيح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من جرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف يصنعن النساء بذيولهنَّ؟ قال: «يرخينَ شبراً» فقالت: إذاً تنكشف أقدامهنَّ. قال: «فيرخينه ذراعاً لا يزدْنَ عليه».

احذروا أيها الإخوة مخالفة أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم، لأن مخالفة أمره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سببٌ للفتنة وسببٌ للعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ولا أدري أيُّها الإخوة هل الفتنة أصابت المجتمع أم لا؟

أيها الإخوة الكرام: إذا كانت المرأة المسلمة في زمن الطُّهر والعفاف حريصة على تغطية قدمها، أفلا تكون حريصة على تغطية وجهها؟ وهل الفتنة في القدم أم في الوجه؟ وخاصة في هذا الزمن! من خالف فليتحمَّل نتائج المخالفة، ومن نتائج المخالفة دخول الفتنة إلى البيوت.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنَها:

أيها الإخوة الكرام: أُذكِّر نفسي وإياكم بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، كن حريصاً أيُّها المسلم على محارمك، وذلك بأمرها بالحجاب، بأمرها بأن لا تضرب الأرض برجلها، وأن لا تمشي مشية الاستمالة لقلوب الرجال، بأمرها أن تقرَّ في بيتها، وأن لا تخرج إلا لضرورة، وإذا خرجت أن تخرج بجلباب يسترها من فرقها إلى قدمها، وأن لا تكون متعطِّرة.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ولهنَّ مثلُ الذي عليهنَّ[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ من أهمِّ ما يجب على المرأة شرعاً نحو زوجها واجبَ الإحصان والإعفاف، وقد حذَّرها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ورهَّبها من التقصير في هذا الجانب، وما هذا التحذير والترهيب إلا من أجل ضمان الآخرة، هذا للمرأة أولاً، وثانياً حتى لا تُخفق في حياتها الزوجية وتكون فاشلة، وثالثاً: حتى تحافظ على معقل الأسرة من التفكُّك والضياع، لأن الأسرة هي نواة المجتمع، بصلاحها يكون صلاح المجتمع، وبفسادها يكون فساد المجتمع.

ولهنَّ مثلُ الذي عليهنَّ:

أيها الإخوة: يجب علينا أن نعلم نحن كذلك بأن الواجب الذي على المرأة نحو زوجها، هو حقٌّ لها عند زوجها، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فإن كان من الواجب على المرأة أن تُحَصِّن زوجها، فإنه كذلك من الواجب على الزوج أن يُحَصِّن زوجته، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. كلٌّ واحد منهما يصون الآخر ويُعفَّه ويحصِّنه ويستره عن الحرام.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/٢/٧هـ، ٢٠١٠/١/٢٢م.

وإن إعفاف الزوج لزوجته من المعاشرة بالمعروف التي أمره الله عزَّ وجلَّ بها، بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

فإن كان يحرم على الزوجة أن تُقصِّر في حقِّ زوجها، فإنه كذلك يحرم على الزوج أن يُقَصِّر في حقِّ زوجته، لأن تقصير أحدِهما في حقِّ الآخر إضرار به، وليس من المعاشرة بالمعروف.

«في بُضع أحدكم صدقة»:

أيها الإخوة الكرام: إذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بَيَّن للمرأة بأنَّ حُسن تبعُّلها وإعفافها وتحصينها لزوجها يعدل الجهاد في سبيل الله من حيث الأجر، فكذلك بَيَّن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للرجل بأن إحصانه لزوجته وإعفافَه لها صدقةٌ من الصدقات التي يتقرَّب بها إلى الله تعالى، وحسنةٌ من الحسنات التي يؤجر عليها يوم القيامة.

روى الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «وفي بُضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».

انظروا أيها الإخوة الأحبة إلى حرص الإسلام على الأسرة، وكيف هو حريص على سلامة العلاقة بين الزوجين، فلا يجوز للمرأة أن تُقَصِّر في حقِّ زوجها، كما لا يجوز للرجل أن يُقَصِّر في حقِّ زوجته، وكما أنَّ لها أجراً في إعفاف زوجها كذلك له أجر في إعفاف زوجته.

ولا تُكرِهوا فتياتِكم على البِغاءِ إنْ أردْنَ تَحَصُّناً:

أيها الإخوة الكرام: يقول الله تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ

عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]. يقول الفقهاء: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، هذه الآية الكريمة يجب على كلِّ أبٍ أن يقف عندها وقفة المتدبِّر لها، وكذلك على كلِّ زوج.

أما أنت أيها الأب الكريم:

يحرم عليك شرعاً أن تعضل ابنتك وتضيِّق عليها عندما تريد الزواج، لا تغالي بالمهر، ولا ترهق الخاطب بكثرة الطلبات، وخاصة إذا كانت ابنتك البالغة العاقلة الراشدة ترضى باليسير، لأنها تريد إحصان نفسها، فإن شدَّدت وضيَّقت على الخاطب فإنك قد تُلجئ وتُكره ابنتَك ـ لا قدَّر الله ـ على البِغاء.

بعض النساء انحرفن عن جادة الصواب بسبب تضييق الرجال عليهنَّ وعلى الخُطَّاب بكثرة الطلبات، والمرأة تريد التيسير لإعفاف نفسها، ولكن أكرهها أبوها على البغاء من حيث يشعر أو لا يشعر، من حيث يعلم أو لا يعلم.

أما أنت أيها الزوج الكريم:

فيحرم عليك شرعاً أن تُقَصِّر في حقِّ إعفاف زوجتك، لأنَّ تقصيرك في حقِّها قد يفسدها ويجعلها تتطلَّع تحت ضغط الحاجة الفطرية إلى غيرك لا قدَّر الله تعالى، وخاصة إذا كانت قليلةَ المراقبة لله عزَّ وجلَّ، وكانت ضعيفةً في تقواها، في زمن كثر فيه الفساد والإفساد من خلال أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية.

الزوجة تريد الإحصان وتريد الإعفاف، فلماذا التقصير من الزوج، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣]؟

كما قلت أيها الإخوة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا تُكره زوجتك على البغاء من حيث تشعر أو لا تشعر، من حيث تعلم أو لا تعلم.

احذر من التقصير في حقِّ إعفاف زوجتك حتى لا تنحرف لا قدَّر الله تعالى.

فواللهِ لولا اللهُ أني أراقبه:

أيها الإخوة الكرام: خرج سيدنا عمر رضي الله عنه ليلة يتفقَّد أحوال الرعية بنفسه، فمرَّ بجانب بيت، فإذا به يسمع صوت امرأة وهي تقول:

تطاولَ هذا الليلُ واخضلَّ جانبُه وأرَّقني إذ لا خليلَ أُلاعبه

فلولا حذار اللهِ لا شيءَ مثلُه لَزُعْزِعَ من هذا السريرِ جوانبه

فقال عمر: فما لك؟ قالت: أغربت زوجي منذ أربعة أشهر، وقد اشتقت إليه، فقال: أردتِ سوءاً، قالت: معاذ الله، قال: فاملكي على نفسك، فإنما هو البريد إليه، فبعث إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمَّني فأفرجيه عني: كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها، فاستحيت، فقال: فإن الله لا يستحيي من الحقِّ، فأشارت ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة، فكتب عمر ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر. رواه عبد الرزاق والبيهقي.

رحمك الله يا سيدنا عمر، وجزاك الله عن الأمة خير الجزاء، لقد أتعبت من جاء من بعدك من الأمراء والمسؤولين.

كم هو الفارق بين من يعتبر الإمارة مَغْنَماً، وبين من يعتبرها مَغْرَماً، من اعتبرها مغرماً أتعبته، لأنه يشعر بأنه مسؤول عن رعيته أمام الله تعالى.

وكم هو حسن في كلِّ مسؤول أن يعتبر من سيدنا عمر رضي الله عنه ويتأسَّى به، وأن يرعى هذا الجانب في حقِّ كلِّ رجل استرعاه الله عزَّ وجلَّ عليه، وأن يكون هذا المسؤول حريصاً على سلامة المجتمع، وذلك بعدم إبعاد الزوج عن زوجته مدة طويلة.

من قصَّر في حقِّ زوجته فإنه يكون قد ظلمها، وهل يقع العبد في الظلم

مع قوة إيمانه؟ الإيمان عندما يزيد في قلب المؤمن فإنه يعطي لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه، ولكن إذا ضعف الإيمان في القلب ظلم، ولا أعجب من إنسان يظلم نفسه! هل ينسى الزوج قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]. هي جزء منك فكيف لا تعتني بشأنها؟ كيف لا ترحمها؟ كيف لا تعفُّها عن الحرام؟

«وإن لأهلك عليك حقاً»:

أيها الإخوة الأحبة: هناك من يظنُّ نفسه بأنه عابد لله عزَّ وجلَّ، زاهد في الدنيا، يريد أن يتقرَّب إلى الله تعالى بكثرة النوافل، يحيي ليله بالقيام وتلاوة القرآن، ويقضي نهاره بالصيام، فهو صائم بالنهار قائم في الليل، يريد ظناً منه أن يطبِّق قول الله تعالى في الحديث القدسي: «وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنّوافل حتى أحبَّه» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. ويكون كلُّ هذا على حساب زوجته، فهل هذا العبد على صواب؟

الجواب نسمعه ونأخذه من الحديث الذي رواه الترمذي في سننه عن أبي جُحَيْفَةَ وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: آخى النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذِّلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا جميعاً، فقال له سلمان: إنَّ لربِّك عليك حقاً، وإنَّ لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه،

فأتى النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «صدق سلمان» رواه البخاري. نعم صدق سلمان وصدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الإخوة: الإنسان عندما يريد أن يعبد الله عزَّ وجلَّ فإنَّه يجب عليه أن يعبده وفق ما شرع الله عزَّ وجلَّ له، لا وفق أهوائه ورغباته، وكلُّنا يعلم حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالَّوْها، وقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلِّي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوَّج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منِّي» رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.

فلا يجوز أن يقول العبد: أنا منصرف إلى الله تعالى ولا أعبأ بأحد، يا هذا انظر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هل شغلته النبوة والرسالة والدعوة والصيام والقيام عن حقِّ نسائه؟

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أعظم إنسان خلقه الله تعالى، أعطى لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه، ثم قال لنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، وقال ابن حجر: ورجاله ثقات، وصحَّحه النووي في الأربعين.

أتأذنين لي يا عائشة؟

أيها الإخوة الكرام: تعالوا واسمعوا هذا الحديث الذي رواه ابن حبان عن عطاء قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: أخبرينا بأعجب ما رأيتِ من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فبكت وقالت: وأيُّ شأنه لم يكن عجباً؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي ـ أو قالت في لحافي ـ حتى مسَّ جلدي جلده، ثم قال: «يا بنة أبي بكر ذريني أتعبَّد لربي»، فقالت: قلت: إني أحبُّ قربك، لكنِّي أوثر هواك، فأذنت له، فقام إلى قربة ماء فتوضأ، فلم يُكثر صَبَّ الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت: يا رسول الله ما يُبكيك وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] الآية».

يا أهل السهر بالليل:

أيها الإخوة: هل سمع أهلُ السهر بالليل هذا الحديث الشريف؟ هؤلاء الذين يسهرون الليلَ أو نصفه أو أكثر ربما في غفلة عن الله عزَّ وجلَّ، وربما في اللعب بورق الشدة أو الطاولة، وربما على شاشات التلفاز، هل سمعوا هذا الحديثَ وحديثَ سيدنا سلمان؟

إن كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما رضي لك أن تقضي وقت الليل في القيام على حساب زوجتك، فكيف تقضيه في الشيء الذي تعرف أنت بأي شيء تقضيه؟! اتقوا الله في نسائكم كما تحبون أن تتقي اللهَ نساؤكم فيكم، ولا يجوز أن يكون الإنسان سبباً في انحراف زوجته لا قدَّر

الله بسبب طول سهره وتقصيره في حقِّها، كما يحرم على المرأة أن تكون سبباً في انحراف زوجها بسبب تقصيرها في حقِّ زوجها.

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا الله تعالى بينكم وبين نسائكم، اتَّق الله في زوجتك، ولتتق الله زوجتك فيك، وليعط كلٌّ واحد لصاحبه حقَّه.

اللهم وفِّقنا لاتباع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأقوالنا وأفعالنا يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيها الزوج! فكِّر بالواجب الذي عليك أولاً![1]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

شبابنا ينظرون إلى عقد الزواج على أنه دمج للزوجة ومحوها في الزوج، وأن القرار أولاً وآخراً للزوج، الوجود له لا لها، الكلمة له لا لها، ينظرون إلى الزوجة كأنها أمة رقيقة اشتراها من سوق النخاسين.

والإسلام ينظر إلى عقد الزواج أنه عقد مقدَّس، يتكامل فيه الرجل مع المرأة، وَوَصَفَهُ بالميثاق الغليظ، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. أي: أخذن منكم عهداً متيناً قوياً.

الغاية من الشهود في الزواج:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام ينظر إلى عقد الزواج بأنه مقدَّس، وهو ميثاق غليظ، ولا يصحُّ هذا العقد إلا بوجود الشهود، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا نكاح إلا بولي، وشاهدي عدل» رواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الغالب الأعمِّ عقد الزواج يحضره العشرات من الرجال ليشهدوا هذا العقد، فهل تدري يا أيها الشاب الغاية من الشهود لعقد زواجك؟

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٥/١١/١٤٣٠هـ، ٢٣/١٠/٢٠٠٩م.

من جملة الغايات في الإشهاد على عقد الزواج أن الحاضرين كلَّهم يشهدون عليك بأنك تتزوَّج هذه الفتاة على أن تعاملها وفق كتاب الله، وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، تُشْهِدُ الحاضرين جميعاً بأنك ستعامل هذه الزوجة معاملةً شرعية، إن أَحْبَبْتَها أكرمْتَها، وإن أبغضتها ـ لا قدَّر الله ـ لم تظلمها، أَشْهَدْتَ الحاضرين على ذلك من حيث تدري أو لا تدري، إذْ قلْتَ لوليِّها أثناء العقد: قبلت زواج مُوَكِّلتك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهل تتذكَّر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]؟ فهل أنت ممن حفظ قدسيَّة هذا العقد، أم ممَّن ضيَّعه؟

هل أنت ممن تعلَّم من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما يجب عليه بعد عقد الزواج؟ أم أنت ممن تعلَّم العادات والتقاليد التي يمارسها بعض الرجال على نسائهم وهم في حالة بُعْدٍ عن الله تعالى؟ هل أنت ممن يقول بعد عقد الزواج: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]، أم تقول: أنا أَتَّبع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

أيها الإخوة: أهل الإيمان من أوصافهم الوفاء بالعهد والوعد، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]. أهلُ الإيمان لا يعرفون الخديعة، أهلُ الإيمان إذا قالوا صدقوا، وأنت أيها الزوج الشاب قلتَ: قبلتُ زواجها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فكن وفياً لهذا الميثاق الغليظ الذي أُخِذَ عليك.

فكِّر بالواجب الذي عليك أولاً:

أيها الإخوة الكرام: ما أجمل الإنسان عندما يعرف الواجب الذي عليه،

ما أجمله عندما يُلزم نفسه بما أوجبه الله تعالى عليه، ما أجمل الإنسان عندما يقوم بالذي عليه، ثم بعد ذلك يطالب بالحقِّ الذي له بأسلوب لطيف حسن.

ما أجمل كلًّا من الزوجين عندما يفكر كلُّ واحد منهما بالواجب الذي عليه، قبل أن يفكِّر بالحق الذي له، وهذا لا يكون إلا عند المؤمن الذي عرف أنه موقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، ومسؤول يوم القيامة عن الواجب الذي عليه، هل حفظ أم ضيَّع؟ هذا لا يعرفه إلا من كان يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، هذا لا يعرفه إلا من حفظ قول الله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

وحفظ قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢-٩٣].

وحفظ قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وحفظ قول سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلِّمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة» رواه مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

فإذا كان كلٌّ من الزوجين يفكِّر بالواجب الذي عليه، ولا يفكِّر بالحق الذي له، فإن السعادة تغمر البيت.

حقُّكَ أيها الزوج، وحقُّكِ أيتها الزوجة، إن ضاع في الدنيا فلن يضيع في الآخرة، وتكون في هذا الحال مظلوماً، ومن كان مظلوماً كان الله بجانبه.

أما إذا ضيَّعت الواجب الذي عليكَ أيها الزوج، وضيَّعتِ الواجب الذي

عليكِ أيتها الزوجة، صرتما بذلك ظالمين، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

فالمسلم يستحضر دائماً الآخرة أمام عينيه، ويخاف يوم القيامة الذي توضع فيه الموازين القسط.

كيف يربَّى أبناؤنا؟

أيها الإخوة الكرام: كيف يُربَّى أبناؤنا اليوم؟ هل يُربي كلٌّ واحد منا ابنه وابنته على معرفة الواجب الذي عليه؟ أم معرفة الحق الذي له؟

الواقع المشاهد أن الأبناء يُربى كلٌّ واحدٍ منهم على معرفة الحق الذي له دون الواجب الذي عليه، لذلك حلَّت المشاكل الأسرية، وبدأ الصراع بين الأزواج، فكلٌّ واحد يصارع الآخر لتحصيل حقِّه من صاحبه.

وأنا أرى أن ما حلَّ بنا نحن سببُهُ، سبَبُهُ كلٌّ من الزوجين، حيث كان يبحث كلٌّ واحد عن شريك حياته من خلال منظاره لا من خلال منظار الإسلام.

الرجل يبحث عن المرأة الحسناء الحسيبة النسيبة صاحبة المال، وآخر ما يفكِّر فيه الدين، والمرأة كذلك تبحث عن الرجل الجميل الحسيب النسيب صاحب المال، وآخر ما تفكِّر فيه دينه، وإذا كان كلٌّ واحد من الزوجين يبحث عن شريكه من خلال هذا المنظار، فأمر طبيعي أن يفكِّر كلٌّ واحد بالحقِّ الذي له دون التفكير بالواجب الذي عليه.

أين إرشاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لنا؟

أيها الإخوة: أين نحن من إرشاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم لنا؟ قال لنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

صاحبة الدين هي التي تفكِّر بالواجب الذي عليها قبل أن تفكِّر بالحق الذي لها، لأنها مسؤولة بين يدي الله عزَّ وجلَّ عن الواجب الذي ألقاه الله تعالى على عاتقها.

وقال لنا كذلك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

صاحب الدين والخلق يفكِّر بالواجب الذي عليه قبل أن يفكِّر بالحق الذي له، لأنه مسؤول بين يدي الله عزَّ وجلَّ عن الواجب الذي ألقاه الله تعالى على عاتقه.

وما أجمل بيت المسلم إذْ يفكِّر كلٌّ من الزوجين في الواجب الذي عليه.

ماذا يترتَّب على عقد الزواج؟

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نُعلِّم أبناءنا وبناتنا ماذا يجب على كلِّ واحد منهما نحو الآخر بعد عقد الزواج، هذا إذا أردنا لهم سلامة الدنيا والآخرة، يجب على الولد أن يتعلَّم الواجب الذي عليه نحو زوجته، ويجب على البنت أن تتعلَّم الواجب الذي عليها نحو زوجها، وبذلك تُبْتَرُ أكثر الخلافات بين الزوجين بإذن الله تعالى.

أيها الآباء، أيتها الأمهات: لقِّنوا أبناءكم ما يجب عليهم نحو زوجاتهم بسلوككم قبل أقوالكم، لتكن المعاملة بينكم وفق كتاب الله عزَّ وجلَّ، ووفق سنَّة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كن أسوة صالحة أيها الأب لأولادك من خلال تعاملك مع زوجتك، وكوني أسوة صالحة أيتها

الأم لبناتك من خلال تعاملك مع زوجك، ليقم كلٌّ واحد منكما بواجبه الشرعي نحو الآخر.

ثم لقِّنوا أبناءكم ما يجب عليهم تجاه نساءهم، علِّموا أولادكم قبل زواجهم لأنكم مسؤولون منهم، والكلُّ مسؤول يوم القيامة.

لكلِّ واحد حقٌّ:

أيها الإخوة: علِّموا أولادكم أنَّ الزوجة لها حقٌّ، وأن الأم والأب لهما حقٌّ، وأن الإخوة والأخوات لهم حقٌّ، ولا يجوز أن يطغى حقٌّ على حقٍّ.

علِّم ولدك بأن لربه عليه حقاً، فليعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فلا يطغى حقُّ الزوجة على حقِّ الأم، ولا حقُّ الأم على حقِّ الزوجة، بل لا يجوز أن تطغى العبادة النافلة على حقِّ الزوجة.

تعلَّموا هذا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن أصحابه الكرام رضي الله عنهم، فهذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يدخل على السيدة عائشة رضي الله عنها في ليلتها.

عن عبيد بن عمير رضي الله عنه أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة ذريني أتعبَّد الليلة لربي» قلت: والله إني أحبُّ قربك وأحبُّ ما يسرُّك، قالت: فقام فتطهَّر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجْرَهُ، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليَّ الليلة آية،

ويل لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. رواه ابن حبان في صحيحه.

هل لك أسوة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أيها الزوج؟ هل عَلَّمت ولدك هذا قبل عقد زواجه، هل أحد أكرم المرأة كما أكرمها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ ونحن نقول بملء أفواهنا للغرب ولمن ينعق وراء الغرب: هل أعطيتم المرأة كما أعطاها الإسلام وكما أعطاها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم استأذن السيدة عائشة رضي الله عنها ليؤدي نافلة.

وأنا أقول: يا أيها الأزواج اتقوا الله في نسائكم، أعطوا نساءكم حقهنَّ، لا تجعلوا نساءكم يتطلَّعون لغير الإسلام بسوء معاشرتكم لهنَّ، أسوتكم هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لا تجعلوا نساءكم ينفرْنَ من دين الله عزَّ وجلَّ، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّ رجل من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام، اللهَ الله أن يؤتى الإسلام من قبلك» رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

سيدنا سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضي الله عنهما:

أيها الإخوة: علِّموا أولادكم أنَّ عقد الزواج تترتَّب عليه حقوق على كلٍّ من الزوجين، فعلِّم ولدك وعلِّم ابنتك هذا، واسمعوا إلى هذه القصة التي جرت بين سيدنا سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما.

عن أبي جُحَيْفَةَ وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: آخى النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا

الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذِّلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعاً، فقال له سلمان: إنَّ لربِّك عليك حقاً، وإنَّ لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «صدق سلمان» رواه البخاري .

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: عقد الزواج مقدَّس في شرعنا، عقد الزواج تترتَّب عليه حقوق وواجبات على كلٍّ من الزوجين، علِّموا هذا لأبنائكم قبل زواجهم، وكونوا عوناً لهم على طاعة الله عزَّ وجلَّ، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ليكن فعلك مطابقاً لقولك[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

قبل الشروع في هذا الموضوع، أريد أن أذكِّر نفسي وأذكر كلَّ واحد فينا بأصل عقد الزواج بأنه: تبادل ألفاظ بين الزوج ووكيل الزوجة، حيث يقول وكيل الزوجة للزوج: زوَّجتك موكِّلتي على كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فيقول الزوج: قبلت زواجها على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الكلمة مقدَّسة في ديننا:

يا عباد الله، أناشدكم الله تعالى، وخاصة الشباب منكم، علينا أن نعلم بأنَّ الكلمة التي نلقيها سوف نُسأل عنها يوم القيامة، لذلك يجب علينا أن تتطابق أقوالنا مع أفعالنا، لأن السامع لكلامنا سينظر إلى أفعالنا، فإذا تعارضت الأقوال مع الأفعال سقطت قيمة الكلمة.

المنافق هو المتناقض:

أيها الإخوة الكرام: عندما تتباين أقوال العبد مع أفعاله فإنه يكون منافقاً حتى يتوب إلى الله تعالى.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢/٢/١٤٣٢هـ، ٧/١/٢٠١١م.

ألم يقل مولانا عزَّ وجلَّ في وصف المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]؟

لماذا شهد الله تعالى عليهم بالكذب؟ لأن أفعالهم تباينت وتناقضت مع أقوالهم، ومن كان هذا وصفه والعياذ بالله تعالى، ومات وهو مصرٌّ على ذلك، فإن مصيره في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

عذاب المنافق الاعتقادي أشدُّ من عذاب الكافر، لأنَّ الكافر أفصح عن كفره، فكانت أقواله متطابقة مع أفعاله من حيث الكفر والعياذ بالله تعالى، أما هذا المنافق فكان يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وهذا الوصف للمنافق لا يليق أن يتَّصف به العبد المؤمن، لذلك يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فانظر يا أخي الزوج وانظري يا أختي الزوجة! هل تتطابق الأفعال مع الأقوال التي صرَّحنا بها أمام الشهود، زوَّجتُك وتزوجتُ على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

عقد الزواج ميثاق غليظ:

أجاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: إنَّ عقد الزواج هو في الحقيقة تبادل ألفاظ بين شخصين يجب أن يكونا صادقين في قولهما، لأن الله عزَّ وجلَّ سمَّى هذا العقد ميثاقاً غليظاً.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ

قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

تنبَّهوا يا عباد الله إلى هذه الآية الكريمة، يا من تسوِّل له نفسه طلاق زوجته، يا من يتلفَّظ بكلمة الطلاق؛ اعلم قبل أن تتلفَّظ بهذه الكلمة ماذا يترتَّب عليك بعدها؟

يترتَّب عليك دفع صداق المرأة كاملاً من غير نقصان بالغاً ما بلغ، وإن لم تدفع صداقها بعد الطلاق ففكِّر في الجواب إن سُئلت يوم القيامة عن كلمة عقد الزواج، هل كنت صادقاً فيها أم غير صادق؟ وماذا ستقول لربك عزَّ وجلَّ بعد سماعك لهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. فكِّر جيداً في قوله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ...﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

عليك رقيب عتيد:

أيها الإخوة الكرام: من قداسة الكلمة في ديننا جعل الله ملكين موكَّلين بإحصاء تلك الكلمات علينا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦-١٨]. عتيد أي: حاضر وملازم لك لا تغيب عنه كلمة.

وبعد الكلمة يحصي عليك الملك أفعالك، وبعدها تُرفع إلى الله تعالى، ويُساق العبد يوم القيامة في أرض المحشر للعرض والحساب، ويقول الملك

الذي أحصى الأقوال والأفعال على العبد لربنا عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]. هذه أقواله وهذه أفعاله.

أيها الإخوة: طوبى لعبد تطابقت أقواله مع أفعاله الموافقة لشرع الله عزَّ وجلَّ، وهنيئاً له حيث سيكون إن شاء الله تعالى مع الذين أنعم الله عليهم، لأنه أطاع الله تعالى وأطاع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتطابقت أقواله مع أفعاله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

أيها الإخوة الكرام: الحسرة والندامة على العبد الذي تباينت أفعاله عن أقواله، وأقواله عن أفعاله، حيث كان وصفه وصف العبد المنافق، وهذا سوف يفرُّ من سائر الخلق في أرض المحشر لأنه ضيَّع الحقوق بسبب تباين الأفعال عن الأقوال، والأقوال عن الأفعال، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

الكلمة لها أثر عظيم:

أيها الإخوة الكرام: من قداسة الكلمة في ديننا رتَّب ربُّنا عزَّ وجلَّ عليها آثاراً عظيمة، فعلى سبيل المثال: كلمة الزواج رتَّب عليها ربنا عزَّ وجلَّ آثاراً كبيرة، حيث جعل من خلالها الحرام حلالاً، والحلال حراماً.

قبل تبادل ألفاظ الزواج بين الزوج ووليِّ الزوجة، تكون المرأة حلالاً لأيِّ رجل ما عدا محارمها - في الحرمة الدائمة أو المؤقتة - يحلُّ لأب الخاطب أن يتزوَّج منها كما تحلُّ لولده، وكذلك أمُّها تحلُّ له ولأبيه إذا كانت مطلَّقة أو متوفى عنها زوجها، ولكن بمجرَّد العقد على الفتاة، حرمت أمُّها

على الزوج وحرِّمت أصولها وفروعها عليه، وكذلك حرمت الزوجة على أصول وفروع زوجها.

قبل عقد الزواج كان يحرم على الرجل الأجنبي أن يرى ظفرها، ولكن بعد عقد الزواج صار الرجل ينظر منها ما لا ينظر إليه أحد سواه.

نعم أيها الإخوة، الكلمة لها أثر في تحليل الحرام وتحريم الحلال، فإن كانت كلمة الزواج تحلِّل الحرام الذي كان بين الرجل والمرأة، كذلك كلمة الطلاق تحرِّم الحلال الذي كان بين الزوجين، وخاصة إذا كان الطلاق بالثلاث، فإنَّ الزوجة لا تحلُّ لزوجها المطلِّق حتى تنكح زوجاً غيره.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: اجعلوا الأفعال مطابقة للأقوال على ضوء من الكتاب والسنة، واحذروا من تباين الأفعال مع الأقوال؛ لأنَّ هذا من وصف المنافقين.

تذكَّروا يا عباد الله ألفاظ الزواج دائماً وأبداً في حياتكم الزوجية، واحفظوا ما يترتَّب على تلك الكلمة وعلى كلمة الطلاق من آثار.

تذكَّروا حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فإن تكلَّمت بكلمة فاصدق بها، وترجم عن صدقك فيها بالسلوك والعمل، وإن وعدت فَفِ بوعدك، وإن اؤتمنت فاحذر الخيانة، وطبِّق ذلك في حياتك الزوجية.

أيها الإخوة: لا تنظروا إلى النساء والرجال الذين لا يعرفون للكلمة قيمتها، هؤلاء والله لو كانوا يعقلون قيمة الكلمة لما تباينت أقوالهم عن أفعالهم.

تذكروا أيها الإخوة أخيراً: بكلمة واحدة لا يخلد العبد في النار، وبكلمة واحدة لا يدخل العبد الجنة أبداً، والعياذ بالله تعالى. بكلمة لا إله إلا الله لا يخلد صاحبها في النار أبداً، وبكلمة لا إله والحياة مادة لا يدخل صاحبها الجنة أبداً.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عند الخلاف الزوجي استحضر أموراً أربعة(١)[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

كلُّنا يعلم بأن الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، وأنها الأمل المنشود الذي يتطلَّع إليه المجتمع، وبصلاحها صلاح المجتمع، وبفسادها فساد المجتمع، بها يتكامل المجتمع ويولد الأمل، ومنها يحدث الثقب في سفينة المجتمع.

وهناك أسباب تؤدي إلى الخلاف بين الزوجين، أو تؤدي إلى تصدُّع الحياة الزوجية وتهديم هذه اللَّبِنة التي هي في جدار المجتمع وصرحه.

وقد يشتدُّ الخلاف حتى يصل إلى الطلاق، فما هو مصير هذه العلاقة بين الزوجين؟ وما هو مصير الأبناء كذلك؟

الأمر الأول: رابطة الإيمان قبل رابطة الزواج:

أيها الإخوة الكرام: قبل أن أتحدَّث عن الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف بين الزوجين وإلى تصدُّع الحياة الزوجية، فإني أودُّ أن ألفت النظر بدايةً إلى أمرين:

الأمر الأول: أن رابطة الزواج التي تربط بين الرجل والمرأة والتي أسماها

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٠/٥/١٤٣١هـ، ٢٣/٤/٢٠١٠م.

مولانا عزَّ وجلَّ بالميثاق الغليظ، فقال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. هذه الرابطة ليست هي الرابطة الأولى بين الزوجين.

فهناك قبل هذه الرابطة رابطة أخرى هي رابطة الإسلام والإيمان، وهذه الرابطة هي بجعل الله تعالى وباختياره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠]. وهذه الرابطة لا يمكن للمؤمن أن يتبرَّأ منها، أو يتنكَّر لها، ولا يمكن الخروج عنها.

أما الرابطة الزوجيَّة فهي باختيار الزوجين، وربما تنحلُّ عرى هذه الرابطة ـ لا قدَّر الله تعالى ـ.

حقوق رابطة الإيمان:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ رابطة الإيمان لها حقوق، كما أنَّ رابطة الزواج لها حقوق، ومن أهم حقوق رابطة الإيمان:

أولاً: عدم الظلم لأخيك المؤمن:

الظلم ظلمات، وحذَّر الله تعالى من الظلم بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. وبقوله تعالى في الحديث القدسي: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فيما يروي عن الله تعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُهُ بينكم محرَّماً، فلا تظالموا» رواه مسلم.

ويقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثانياً: وجوب إصلاح ذات البين:

ومن حقوق المؤمنين بسبب بركة هذه الرابطة وجوب إصلاح ذات البين قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]. وقال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرات: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

ثالثاً: وجوب الستر وعدم الفضيحة:

ومن الحقوق العامة لرابطة الإيمان بين المؤمنين وجوب ستر بعضهم البعض وعدم الفضيحة، مع وجوب النصح سراً، وقد رغَّب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ذلك، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رابعاً: اجتناب كلِّ ما يسبب الخلاف والفُرقة:

ومن حقوق المؤمنين فيما بين بعضهم البعض ببركة رابطة الإيمان وجوب اجتناب كلِّ ما يسبب الخلاف والفُرقة والبغضاء بين المؤمنين، قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١١-١٢].

حقوق رابطة الزواج:

أيها الإخوة المؤمنون: يجب علينا أن نعلم حقوق رابطة الإيمان فيما بين

بعضنا البعض، وسوف نسأل عنها يوم القيامة، فإذا أضفنا إلى رابطة الإيمان رابطة الزواج بين الرجل والمرأة، وجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما بأنَّ حقوق رابطة الإيمان يجب أن يلتزم كلُّ واحد منهما بها، وإضافة إلى ذلك حقوق رابطة الزواج، وأهم حقوق رابطة الزواج:

أولاً: المعاشرة بالمعروف:

المعاشرة بالمعروف واجبة على كلِّ واحد من الزوجين إضافة للحقوق العامة بين المؤمنين، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. ولقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال العلماء: الصاحب بالجنب هو كلُّ واحد من الزوجين.

ثانياً: استمتاع كلٍّ من الزوجين بالآخر:

ومن حقوق رابطة الزواج بين الرجل والمرأة استمتاع كلٍّ من الزوجين بالآخر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]. ولقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «احفظ عورتك إلَّا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»، قال: قلت يا رسول الله: فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينَّها»، قلت: فإذا كان أحدنا خالياً؟ قال: «فالله تبارك وتعالى أحقُّ أن يستحيا منه» رواه الإمام أحمد عن بهز رضي الله عنه.

ولقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله» رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه.

ثالثاً: توارث كلٍّ من الزوجين:

من الحقوق المشتركة بين الزوجين إضافةً إلى حقوق رابطة الإيمان التوارث، فيرث الزوج زوجته، كما ترث الزوجة زوجها متى توافرت الشروط.

رابعاً: حرمة المصاهرة:

من الحقوق المشتركة بين الزوجين إضافة إلى حقوق رابطة الإيمان حرمة المصاهرة، فبمجرَّد عقد الزواج بين الرجل والمرأة تحرم الزوجة على آباء الزوج وإن عَلَوْ، وعلى أبنائه وفروع أبنائه وبناته وإن نزلوا.

ويحرم على الزوج أمُّ الزوجة وجدَّاتها وإن عَلَوْنَ، وبناتها وبنات أبنائها وإن نزلْنَ، كما يحرم على الزوج أن يجمع بين المرأة وعمَّتها أو خالتها.

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما حقوق الأخوة العامة قبل الزواج، وأن يعلما حقوق كلٍّ من الزوجين قبل عقد الزواج، وأنَّ كلًّا منهما مسؤول يوم القيامة عن هذه الحقوق هل حفظها أم ضيَّعها لا قدَّر الله تعالى.

ولا تنسَوا الفضلَ بينكم:

يا عباد الله: قولوا لكلٍّ من الزوجين المؤمنين: إذا حصل خلاف بينكما واشتدَّ الخلاف ـ لا قدَّر الله تعالى ـ فاعلما بأنَّ إخوة الإسلام تجمع بينكما، ولو لم يبق شيء مشترك يجمع بينكما في الحياة الزوجيَّة، فهناك حقوق مشتركة بينكما ـ وهي سابقة على حقوق الزواج ـ يجب أن تراعى تلك الحقوق بدقَّة مهما اشتد الخلاف، حتى وإن أدى الخلاف إلى الطلاق وانفصمت عروة الحياة الزوجية.

هذا كلام مهم جداً يجب أن لا يغيب عن بال أيٍّ من الزوجين، وإلا فإن

أيَّ خلاف ينشأ بينهما قد يصل بهما أن يتعاملا تعامل من لا يربطه بالآخر شيء، وكأنه لم تكن بينهما مودة ولا رحمة، وربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

يا عباد الله لا يجوز أن ننسى حقوق رابطة الإيمان كما لا يجوز أن ننسى حقوق رابطة الزواج، ولا يجوز أن ينسى أحد منا فضل الآخر عليه، لأنه ما منا من أحد إلا وهو متفضِّل على غيره، وغيره متفضِّل عليه، فكيف يُنسى الفضلُ عند أهل الفضل؟ بل كيف ينسى المؤمن وزوجتُه - وإن تفرقا - قولَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «حقُّ المسلم على المسلم خمس: يسلِّم عليه إذا لقيه، ويشمِّته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويشهد جنازته إذا مات، ويجيبه إذا دعاه» رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأمر الثاني: الحياة الزوجية نعمة من نعم الله الكبرى:

أيها الإخوة الكرام: أما الأمر الثاني الذي أشير إليه قبل الشروع في أسباب تصدُّع الحياة الزوجية، فهو أن نعلم بأن الحياة الزوجية نعمة من نعم الله تعالى الكبرى على الزوجين، بالزواج يتقرَّب الزوجان إلى الله تعالى، بالزواج يحييان سنة من سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بالزواج يتحقَّق السكن بين الزوجين، ووالله لن يتحقَّق سكن بين الرجل والمرأة إلا من خلال الزواج الشرعي، لأن الزواج آية من آيات الله الكبرى، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

بالزواج الشرعي يُلقي الله تعالى المودةَ والرحمةَ بين الزوجين، وبالزواج الشرعي يُبنى المجتمع الإنساني بناءً صحيحاً.

فالزواج نعمة لأنه يحقِّق سكناً وأمناً ومودة ورحمة، بل هو عبادة لله عزَّ وجلَّ، والعبادة من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فالزواج مصدر من مصادر التقرُّب إلى الله تعالى، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدَّقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: عالجوا الخلافات الزوجية وأنتم تستحضرون هذين الأمرين:

الأمر الأول: رابطة الأخوة الإيمانية مع حقوقها، ورابطة الزوجية وحقوقها، عالجوا الخلافات الزوجية وأنتم تستحضرون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

الأمر الثاني: الزواج نعمة من نعم الله الكبرى على عبده.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عند الخلاف الزوجي استحضر أموراً أربعة (٢)[١]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجب على كلٍّ من الزوجين عند حصول خلاف بينهما أن يتذكرا بأنَّ هناك رابطة أسبق من رابطة الزواج، ألا وهي رابطة الإيمان، ولكلٍّ رابطة من هاتين الرابطتين حقوق، فإذا أرادا أن يعالجا المشكلة التي بينهما عالجاها مع استحضار حقوق كلٍّ من الرابطتين، مع تذكُّر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

فما أجمل المسلم والمسلمة عندما يعالجان المشكلة الأسريَّة من خلال هذا المنطلق؛ لأن استحضار هاتين الرابطتين سيكون سبباً لحلِّ الخلاف وإنهائه بالإمساك بالمعروف إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث: إنَّ الشيطانَ لكم عدوٌّ فاتَّخذوه عدواً:

تذكَّر أيها الزوج، وتذكَّري أيتها الزوجة، عند حصول خلاف أسري بينكما، تذكرا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، هذا خَبَرٌ من الله وتكليفٌ، والخبر من الله تعالى لا يقبل النسخ، والتكليف يجب الانضباط فيه، أما الخبر فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، وهذا

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/٥/١٧هـ، ٢٠١٠/٤/٣٠م.

خبر غير قابل للنسخ، وأما التكليف فهو قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، وما دام الخبر والتكليف في آية واحدة متلازمين فإن التكليف في هذه الآية لا يُنسَخُ، كما أن الخبر لا ينسخ بشكل عام.

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يتذكرا هذه الآية الكريمة، وأن يعلما عداوة الشيطان لهما، وخاصة عند وجود النزاع والخلاف، وأن يعلما كذلك بأن لكلٍّ من الزوجين شيطاناً، كما جاء في الحديث الشريف: «ما منكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير» رواه مسلم. وفي رواية: «فأسلمُ».

والمهمُّ في هذا الحديث الشريف أنَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم محفوظٌ من وسوسة الشيطان، إما لإسلام شيطانه، وإما لسلامته من وسوسة الشيطان.

كما يجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما أن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم، كما في الحديث الشريف: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» رواه البخاري ومسلم.

فالشيطان عدوٌّ للإنسان، وكلُّ إنسان له شيطان، ويجري هذا الشيطان في الإنسان مجرى الدم، ومهمة الشيطان بيَّنها لنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» رواه مسلم.

فوظيفة الشيطان التحريش بين المؤمنين لإشعال نار الفتن والعداوة والبغضاء بشكل عام، وبين الزوجين بشكل خاص، وقد أكَّد لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ذلك بقوله صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت» رواه مسلم.

أيها الزوج أيتها الزوجة: اعلما هذه الحقيقة التي يحدِّثنا عنها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وخاصة عند وجود نزاع وخلاف بينكما.

أولاً: إبليس له جنوده وله أتباعه، وفي كلِّ يوم يكلِّفهم بمهمَّة التحريش والإفساد وإيقاع الفتن بين الناس.

ثانياً: يريد الشيطان أن يقع العبد في المعاصي كلِّها، يريده أن يقع في الفحشاء، وأن يأكلَ الحرام ويشربَ الحرام، ويأكلَ أموال الناس بالباطل، ولكنَّ غليلَ الشيطان لا يُشفى إلا بإيقاع الفتنة بين الرجل وزوجته، لأنه يعلم بأن الأسرة هي نواة المجتمع، صلاحها صلاح المجتمع، وفسادها فساد المجتمع، فإذا استطاع بعض أتباع الشيطان أن يوقع العداوة بين الرجل وزوجته فإنه يدنيه منه، لأنه حقَّق مهمة عظيمة، ألا وهي فساد نواة المجتمع التي بفسادها يفسد المجتمع.

لا يرضى الشيطان من أتباعه اقتراف الفواحش والمخالفات مع صلاح وسلامة الأسرة، لأنَّ الأسرة الصالحة تعني مجتمعاً صالحاً، والمجتمع الصالح يقوِّمُ فساد الأفراد، أما إذا فسدت الأسرة فقد حقَّق الشيطان لنفسه ما أراد.

لذلك أقول أيها الزوج أيتها الزوجة: استحضرا عند الخلافات الزوجية رابطة الإيمان وحقوقها، ورابطة الزوجية وحقوقها، واستحضرا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وأضيفا إلى ذلك بأنَّ لكما عدواً

يجري فيكما مجرى الدم، يريد إيقاع الفتنة بينكما فلا تحقِّقا له ما أراد، ولا تُدْخِلا الفرحة إلى قلبه من خلال وقوع الفتنة بينكما، بل أدخلا الفرحة والسرور إلى قلب الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وذلك من خلال اتباع هديه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الأمر الرابع: لا يخلو بيت من مشكلة:

أيها الإخوة الكرام: الأمر الرابع والأخير الذي يجب على كلٍّ من الزوجين أن يتذكَّراه عند حلِّ الخلافات الزوجية بينهما أنه ما من بيت من البيوت على وجه البسيطة إلا وفيه بعض الخلافات، وما خلا بيت من البيوت من مشكلة، حتى بيوت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حصل فيها بعض المشكلات.

لا تجعل الخلافات مِعْوَل هدم للأسرة:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يجعلا من الخلاف بينهما أداة بناء لا مِعْوَل هدم، أن يجعلا من الخلاف عامل تجديد للمودة والرحمة والمحبة بينهما، لا معول هدم في صرح المسلمين، لا معول هدم للبيوت العامرة بالمودة والرحمة والسكن.

تذكر أيها الزوج تذكري أيتها الزوجة: أنه لا عصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالكلُّ خطَّاء، كما جاء في الحديث الشريف: «كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون» رواه الترمذي وغيره، أيها الزوج ما تزوجتَ معصومةً، أيتها الزوجة ما تزوجتِ معصوماً، فلا تجعلا من عدم العصمة سبباً لتهديم البيوت العامرة بسبب الخلاف، بل اجعلا الخلاف سبباً لتجديد الحب بينكما.

حطِّموا العادات والتقاليد:

أيها الإخوة الكرام: كما قلت لكم: بيوت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما خلت من مشكلة، فلماذا نستبعد المشاكل من بيوتنا؟

فالمشاكل في كلِّ البيوت، ولكن الفارق بيننا وبين سلف هذه الأمة هو أن سلف الأمة كانوا يُرْجِعونَ خلافاتهم إلى كتاب الله تعالى، وإلى هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبذلك ينتهي الخلاف بأقصر مدة.

أما اليوم فالناس يُرجعون خلافاتهم إلى العادات والتقاليد، يُرجعون خلافاتهم إلى قول قائلهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣].

عند حلِّ الخلافات الأسرية كلٌّ من الزوجين يُرجع خلافاته إلى العادات والتقاليد، وبذلك تزداد الهوة والشقة بين الزوجين، والإسلام جاء ليهدم قول القائل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

فالمسلم عندما يريد حلَّ الخلافات الزوجية فإنه يُرجع الخلافات إلى كتاب الله وسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وما ذاك إلَّا لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وما ذاك إلَّا لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

أيها الإخوة الكرام: إنَّ العادة صارت مستحكمةً عند كثير من الناس إلا مَنْ

رحم الله تعالى، والبعض يقدِّس العادات أكثر من تقديسه لشرع الله تعالى والعياذ بالله تعالى، والبعض يرجِّح العادات على الأحكام الشرعية، وبذلك تقع الطَّامة.

أيها الزوج أيتها الزوجة: حطِّما العادات والتقاليد، واجعلاها تحت أقدامكما عند تعارضها مع الشرع الشريف، وحكِّما كتاب الله بينكما، وتذكَّرا صيغة عقد الزواج عندما تمَّ تبادل ألفاظ الإيجاب والقبول أنَّ كلًّا منكما سيحكِّم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حياته الزوجية.

ما أهجر إلا اسمك:

أيها الإخوة: يجب على كلٍّ من الزوجين أن يتذكَّرا بأن الخلافات الزوجية أمر طبيعي في حياة الناس، وهذا كان في بيوت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

روى البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى»، قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت علي غضبى قلت: لا وربِّ إبراهيم»، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك).

أيها الإخوة: تعلَّموا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتعلَّموا من أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ.

أولاً: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان في حياته الزوجية المثل الرائع لكلِّ الأزواج، حيث كان ينتبه إلى كلام نسائه رضي الله عنهنَّ، ويدقِّق فيه بحيث يجعل من الكلام ميزاناً لرضا الزوجة وغضبها، لا تهمل يا أخي كلام زوجتك، وكن فطناً وتلطَّف لزوجتك.

ثانياً: السيدة عائشة رضي الله عنها ضربت أروع مثل في وُدِّها في حياتها الزوجية، حتى ولو حصل خلاف، فإنها كانت تهجر الاسم الشريف، أما قلبُها فإنه منجذب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وما كانت تجعل من الخلاف سبباً لنفور القلب.

ثالثاً: هذا هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي أكرم المرأة أيَّ إكرام، حتى جعل من نسائه في حالة الغضب تهجر الاسم دون المسمى، فالقلب منجذب له، لما شاهدت من فضل وعطاء، هذا هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي عظَّم المرأة هذا التعظيم، وليخسأ الغرب الذي يطعن في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حيث يقول: إنه ما أعطى المرأة حقَّها.

أشركاني في سِلْمِكُما:

أيها الإخوة: ليسمع كلٌّ من الزوجين هذا الحديث الشريف، عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال: (استأذن أبو بكر رحمة الله عليه على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فسمع صوت عائشة عالياً ـ وفي رواية: فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ فلما دخل تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟» قال: فمكث أبو بكر أياماً، ثم استأذن على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سِلْمِكُما كما أدخلتماني في حربكما، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «قد فعلنا، قد فعلنا») رواه الإمام أحمد وأبو داود.

ما هذه الأخلاق السامية العالية في شخص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المرفوعُ على الأنبياء والمرسلين درجاتٍ، يُرفع صوتُ السيدة عائشة رضي الله عنها في حضرته، ونحن رُفعنا درجة واحدة على نسائنا فالبعض صار دكتاتورياً فرعونياً في بيته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: ليعالج كلٌّ من الزوجين الخلافات الزوجية وهو مستحضر الأمور الأربعة:

١ـ أن رابطة الإسلام والإيمان قبل رابطة الزواج، ولكلٍّ واحدة منهما حقوقها، فلا يستخفَّ بشيء منها.

٢ـ الحياة الزوجية نعمة من نعم الله الكبرى، فلا ينسيا هذه النعمة عند حصول خلاف زوجي.

٣ـ عداوة الشيطان للإنسان قديمة ومستحكمة، فلا يجوز أن تغيب هذه الحقيقة عن كلٍّ من الزوجين، وهو يريد أن يوقع العداوة والبغضاء والتفرقة بينهما.

٤ـ ما من بيت من البيوت إلا وفيه خلافات، ولا غرابة في وجود الخلافات في بيوتنا.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(١)[1]

عدم الاهتمام بالزوجة، والمَنُّ عليها، وتهديها بالطلاق

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

لقد اعتنى الإسلام بالأسرة، لأنها النواة الأولى لبناء الأسرة الإنسانية، وقد أحاط الإسلامُ الحياةَ الزوجية بكلِّ عناية ورعاية، فلم يترك جانباً من جوانبها إلا وتعرَّض إليه، وبيَّن لكلٍّ من الزوجين ما له وما عليه، والغاية من ذلك القضاء على كلِّ ما يهدِّد الحياة الزوجية بالفشل وتشتُّت الأسرة.

لقد علَّم الإسلام كلًّا من الزوجين كيف يكون حلُّ المشاكل الأسرية، فقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]. وما هذا إلا حرصاً على الأسرة من أن تصل إلى أبغض الحلال إلى الله، ألا وهو الطلاق.

أيها الإخوة الكرام: استحضروا بين يدي حلِّ الخلافات الزوجية أموراً أربعة:

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢٤/٥/١٤٣١هـ، ٧/٥/٢٠١٠م.

١ـ أنَّ رابطة الإيمان قبل رابطة الزواج، ولكلٍّ واحدة منهما حقوقها، فلا يستخفَّ بشيء منها.

٢ـ أنَّ الزواج نعمة من نعم الله الكبرى، فلا تنسوا هذه النعمة عند حصول خلاف زوجي.

٣ـ أنَّ لكلِّ واحد منا شيطاناً وهو عدوٌّ لنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

٤ـ أنه ما من بيت من البيوت إلا وفيه بعض المشاكل.

استحضروا هذه الأمور الأربعة عند حلِّ الخلافات الزوجية حتى تصلوا إلى النتائج الإيجابية وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

كن عادلاً ولو على نفسك:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلٍّ من الزوجين عند وجود خلاف بينهما أن يستحضر كلُّ واحد منهما قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

فقل أيها الزوج الحقَّ ولو كان على نفسك، وقولي أيتها الزوجة الحقَّ ولو كان على نفسك، وما أجمل الإنسان عندما يكون منصفاً ويقول الحقَّ ولو كان على نفسه.

أيها الإخوة: إنَّ مشاكل الحياة الزوجية ليست المرأةُ هي المصدر الوحيد فيها، فكما أنَّ المرأة تكون سبباً في ذلك، فقد يكون الرجل سبباً في وجود

المشكلة، لذلك يجب على كلٍّ من الزوجين استحضار هذه الآية الكريمة: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾. وأن يعالجا السبب في المشكلة بداية.

مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً:

أيها الإخوة الكرام: سأبدأ بالحديث عن المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً، حتى يتَّقي الأزواجُ اللهَ في نسائهم.

أولاً: عدم الاهتمام بالزوجة وكأنها لا قيمة لها:

أيها المؤمنون: هناك بعض الرجال من ينظر إلى المرأة نظرة ازدراء واحتقار، وكأنها لا حقَّ لها في الحياة الزوجية، فلا يلقِي لها بالاً، ولا يهتمُّ بشعورها وعاطفتها، ويعتبر كأنها سلعة قد اشتراها، كأنها أَمَةٌ رقيقة عنده، له حقوق عليها، ولا حقَّ لها، إن احتاج إليها أقبل، وإلا فهو مدبر ومعرض.

وهذه النظرة للمرأة طامَّة كبرى، وهي من أكبر الأسباب في وجود المشاكل في الحياة الزوجية التي تؤدي إلى تصدُّع الأسرة وخراب البيت.

المرأة لها حقٌّ عند زوجها كما لزوجها حقٌّ عندها، ويجب على الزوج أن يعطي الزوجة حقَّها، وعلى الزوج أن يعلم بأنَّ الإسلام ما رخَّص له أن يشتغل عن الزوجة بعبادة النافلة، لأن إعطاء المرأة حقَّها هو بحدِّ ذاته عبادة لله عزَّ وجلَّ، فمن أراد أن يتقرَّب إلى الله تعالى فليتقرَّب إلى الله تعالى من خلال إعطاء الزوجة حقَّها، ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «وفي بُضع أحدكم صدقة» رواه مسلم.

وأنا أتوجَّه إلى الشباب خاصة الذين ضيَّعوا حقَّ الزوجة بسبب الاشتغال عنها بالطاعات، لأقول لهم اسمعوا هذا الحديث الشريف الذي يرويه لنا

الإمام البخاري في صحيحه، عن أبي جُحَيْفَةَ وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (آخى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذِّلة فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلَّيا جميعاً، فقال له سلمان: إنَّ لربِّك عليك حقاً، وإنَّ لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «صدق سلمان»).

الفوائد من هذا الحديث الشريف:

أولاً: هذا الحديث الشريف كان قبل نزول آية الحجاب، ونتعلَّم منه وجوب الاهتمام ببعضنا البعض، وسؤالنا عن أحوالنا للنصح نحو الأفضل، وهذا ما فعله سيدنا سلمان مع أبي الدرداء رضي الله عنهما.

ثانياً: أدب المرأة عندما تشكو زوجها للرجل الأجنبي عنها، إنَّ أمَّ الدرداء شكت زوجها لسيدنا سلمان بمدحها له بكثرة الطاعة، وهي تريد شكايته بعدم إعطائه حقها.

ثالثاً: التقرُّب إلى الله تعالى لا يكون بإهدار حقوق الآخرين، وخاصة بالنسبة للزوجة، فكما يتقرَّب العبد إلى الله تعالى بالنوافل فإنه يتقرَّب إلى الله تعالى بإعطاء الزوجة حقَّها.

رابعاً: وجوب التناصح بين أفراد الأمة، فكلُّ عبد مسؤول يوم القيامة عن أخيه ولو صاحبه ساعة واحدة، هل تناصحا أم لا؟

فسيدنا أبو الدرداء ظنَّ أن التقرُّب إلى الله تعالى بالصيام والقيام ولو على حساب الزوجة، فردَّه صاحبه سيدنا سلمان إلى جانب الصواب، وأقرَّه على ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما قال لأبي الدرداء: «صدق سلمان».

أيها الإخوة: إنَّ إهمال الزوجة وعدمَ إعطائها حقَّها سببٌ كبير من أسباب وجود الخلافات الزوجيَّة، فهلَّا تأسينا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي كان إذا أوى إلى منزله يجزِّئ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه. رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الشعب والدلائل.

وكان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إذا أراد أن يتقرَّب إلى الله تعالى بالصلاة في جوف الليل على حساب حقِّ نسائه استأذن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم زوجتَه في ذلك.

روى ابن حبان في صحيحه عن عبيد بن عمير أنه قال للسيدة عائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة ذريني أتعبَّد الليلة لربي»، قلت: والله إني أحبُّ قربك، وأحبُّ ما يسرُّك ـ وفي رواية: ولكني أوثر هواك ـ، قالت: فقام فتطهَّر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره، قالت: وكان جالساً، فلم يزل يبكي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حتى بلَّ لحيته، قالت: ثم بكى حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

هل سمعتم هذا يا معشر الشباب، يا من يحيي جلَّ الليل في السهر الذي

لا يعود بالنفع على صاحبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، سهر في غفلة ـ إن لم يكن في معصية ـ على حساب الزوجة، ثم يريد الزوج أن لا تكون هناك مشكلة في بيته، فاتقوا الله أيها الأزواج في نسائكم، واعلموا أنَّ للمرأة حقاً عليكم، وأنكم ستُسألون عنه يوم القيامة.

ثانياً: مِنَّة الرجل على زوجته عندما يؤديها حقها:

أيها الإخوة الأحبَّة: ومن الأسباب التي تؤدي إلى الخلافات في الحياة الزوجية ويكون الرجل سبباً فيها، مِنَّةُ الرجل على زوجته عندما يؤديها حقَّها، إذا قدَّم لها المهر والمسكن والملبس والمطعم والمشرب والذهب فإنه يمنُّ عليها بذلك، ويرى نفسه أنه متفضِّل عليها بذلك.

اعلم أيها الزوج: أنَّ مهر الزوجة واجب عليك، والنفقة عليها واجبة عليك بإيجاب الشرع، وذلك من خلال قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، وإن لكم عليهنَّ أن لا يوطئْنَ فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلْنَ فاضربوهنَّ ضرباً غير مبرِّح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف» رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه.

ويقول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. فالنفقة واجبة عليك وأنت مسؤول عن هذا الواجب حفظته أم ضيَّعته؟ يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إن الله سائلٌ كلَّ راع عما استرعاه، أحفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» رواه ابن حبان عن أنس رضي الله عنه.

كيف تمنُّ على زوجتك بما هو واجب عليك، وأنت على يقين بأن مِنَّة

الرجل على زوجته في الواجب الذي عليه سبب للشقاق بينهما، هذا فضلاً عن إحباط العمل يوم القيامة.

اعلموا أيها الأزواج أنَّ النفقة على الزوجة عبادةٌ لله تعالى، فلا تُحبطوا هذه العبادة بالمنِّ والأذى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. فأنفق على زوجتك بنيَّة العبادة، فإنَّ أفضل ما تتقرَّب به إلى الله تعالى هو إنفاقك على زوجتك، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «دينار أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رقبة، ودينار تصدَّقت به على مسكين، ودينار أنفقتَه على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقتَه على أهلك» رواه مسلم.

أيها الزوج أنفق على زوجتك لأنَّ النفقة واجبة عليك شرعاً، واحذر المِنَّة عليها، لأنها حقها عليك بإيجاب الشرع، ولا تكن سبباً في الخلاف بينك وبينها بسبب المِنَّة عليها.

ثالثاً: تهديد الزوجة بالطلاق أو الزواج عليها:

أيها الإخوة الكرام: من أسباب المشاكل في الحياة الزوجية تهديد الرجل زوجته بالطلاق لأتفه الأمور، أو بالزواج عليها، والرجل على يقين بأنَّ تهديد المرأة بالطلاق سبب من أسباب إغاظتها، كما أنَّ تهديدها بالزواج مرة ثانية سبب من أسباب إغاظتها.

أيها الزوج: إنَّ معالجة المشاكل الأسريَّة لا يكون بتهديد الزوجة بطلاقها ولا بالزواج عليها، لأنَّ هذا الأمر يغيظها، وإغاظة المرأة بذلك لا يجوز شرعاً.

إن معالجة المشكلة لا يكون بتهديدها بذلك، بل كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ

فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤]. وقد عرفنا سابقاً كيف يكون هجر التأديب وضرب التأديب.

أبعد كلمة الطلاق عن لسانك، واحذر أن تُسْمِعَها هذه الكلمة ولو تهديداً، لأنَّ هذه الكلمة تغيظها، وكذلك تهديدها بالزواج عليها، فالمرأة تغار كثيراً، وتكاد أن تفقد رشدها إذا سمعت زوجها يهدِّدها بالطلاق أو الزواج عليها، وخاصة إذا كانت الأمور تافهة، فلا تكن سبباً في إغاظتها، وبالتالي تكون سبباً في وجود المشاكل الأسريَّة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: عود على بدء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ [النساء: ١٣٥]. فلا تكن أيها الزوج سبباً في وجود المشاكل الأسريَّة، فأعطِ الزوجة حقَّها، واحذر من المنَّة عليها بما تقدِّمه لها من واجب عليك، واحترم شعورها ولا تغظها بتهديدك إياها بالطلاق أو الزواج عليها.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(٢)[١]

عدم غضِّ الطرف عنها، وعدم الاهتمام برأيها، ومنعها من مشاركة أهلها في مناسباتهم

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، فيا عباد الله:

يجب على كلٍّ من الزوجين عند وجود خلاف بينهما أن يستحضرا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

وإنَّ من المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً:

أولاً: عدم الاهتمام بالزوجة وكأنها لا قيمة لها.

ثانياً: مِنَّة الرجل على زوجته عندما يؤديها حقَّها.

ثالثاً: تهديد الزوجة بالطلاق أو الزواج عليها.

رابعاً: عدم غضِّ الطرف عن بعض الزلات والهفوات.

أيها الإخوة الكرام: وها أنا أتابع الحديث في هذا اليوم عن المشاكل الأسرية والتي يكون الزوج فيها سبباً للمشكلة، فمن أسباب المشاكل في الحياة الزوجية عدم غضِّ طرف الزوج عن بعض زلات وهفوات المرأة.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١/٦/١٤٣١هـ، ١٤/٥/٢٠١٠م.

ترى الزوج يدقِّق على الشاردة والواردة، على الصغيرة والكبيرة في الشؤون الدنيوية، كأنَّه سجَّان وكأنَّها سجينة، يدقِّق على الصغيرة من الأمور الدنيوية خشية أن تقع في الأمور الكبيرة، وكأنه يظنُّ أنَّ المرأة يجب أن تكون معصومة، ولا يجوز أن تقع في مخالفة من المخالفات، وإذا أراد محاسبتها شدَّد عليها المحاسبة.

أيها الإخوة الكرام: الزوج العاقل هو الذي يتغافل عن بعض الزلات والهفوات الدنيوية التي لا تقدح في دين المرأة، وإذا أراد محاسبتها غضَّ طرفه عن الهفوات والزلات، وتأسَّى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما أخبرنا ربنا عزَّ وجلَّ عنه، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

هذا هو الخلق السامي أن تحاسب على بعض الأمور وتغضَّ الطرف عن البعض الآخر، مع كامل الرفق واللين، وخاصة في الأمور الدنيوية وحقوقك الشخصية، لأنَّ سيدنا رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما كان يغضب لنفسه وما ينتقم لنفسه، بل كان يعفو ويصفح، وأما إذا انتُهِكت حرمات الله فما كان يقوم في وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قائم.

لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجت بماء البحر لمزجته:

يا عباد الله: انظروا إلى هذا الموقف في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، تعني قصيرة، فقال: «لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمَزَجَتْهُ» رواه الترمذي.

أين نحن من هذا الخلق النبوي الشريف السامي العالي؟ هل الزوج

حريص على دين زوجته إن قصَّرت، أم أنَّه حريص على حقوقه الدنيوية المادية المحضة؟ تراه يشدِّد على زوجته في هذا الجانب، وقد أهمل جانب الدين، لا يدقِّق على صلاتها ولا على صومها ولا على حجابها، ولا على اختلاطها بالرجال الأجانب، مع أنه مسؤول عن كلِّ ذلك يوم القيامة.

أيها الزوج الكريم: غُضَّ الطرف عن بعض الهفوات والزلات المتعلقة بالحياة الدنيوية، ولا تدقِّق ولا تُشدِّد، لأنَّ هذا التدقيق مصدر كبير من مصادر الخلافات بينك وبين زوجتك، فلا تكن سبباً في وجود المشاكل من خلال التدقيق الشديد وخاصة على الأمور الدنيوية التافهة، وكن شديداً على مراقبة دينها مع كلِّ اللطف، وأنت تتذكَّر قول الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

أيها الزوج الكريم: عالج نفسك قبل معالجة نشوز زوجتك، وخاصة إذا كنت أنت مصدر المشكلة، وتذكَّر قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

خامساً: عدم الاهتمام برأيها وعدم مشاورتها:

أيها الإخوة الكرام: من أسباب وجود الخلافات الزوجية عدم اهتمام الزوج برأي زوجته وعدم مشاورتها، لأنَّ شعار بعض الرجال في حياته الزوجية وعلاقته مع زوجته: شاوروهنَّ وخالفوهنَّ.

إنَّ الرجل الذي لا يبالي برأي زوجته ولا يستشيرها فإنه يمحقها محقاً، ولا يجعل لها وجوداً، مع كونها إنسانة عاقلة وليست بمجنونة.

لماذا الاستخفاف برأيها؟ هل جانَبَها الصوابُ دائماً؟ لماذا لا تصغي لقولها؟ لماذا لا تستشيرها؟ ألا تعتبر زوجتك شريكة حياتك؟ أما اخترتها على

أساسٍ من الدين والخلق لتكون مربية لأبنائك؟ هل تظن بأنَّ مشاورة الرجل لزوجته عارٌ عليه؟

بكلِّ أسف نرى كثيراً من الشباب يستخفُّون برأي نسائهم، ويعتبرون مشاورة الرجل لزوجته نقصاً وعاراً، وإن سألت هؤلاء الشباب لماذا هذه النظرة لجاء الجواب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٢].

أيها الإخوة الكرام: كلام هؤلاء الشباب مرفوض في ديننا، ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أمّروا النساء في بناتهنَّ»؟ رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما. بمعنى شاوروا النساء في بناتهنَّ.

أيُّ رجل يشاور زوجته في زواج ابنته؟ الكثير يرفض مشاورة الزوجة في ابنتها، مع أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يأمر بذلك.

نعم القرار لك أيها الزوج، نعم أنت بيدك القوامة، نعم أنت بيدك العصمة، ولكن تذكَّر يا أخي الكريم أمر الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. مع كونه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم معصوماً، مع أنَّ الله تعالى بيَّن لنا بأن طاعتنا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هي عين طاعتنا لله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

فإذا كان الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ وهو المتبوع ـ يشاور أتباعه، فنحن من باب أولى وأولى، ولكنَّ الأنا الفرعونية الموجودة في كثير من الناس، والكبر والعُجب، هو الذي يحول بين الرجال والنساء في مسألة المشاورة، وهذا لا يليق بالرجل العاقل الذي ينظر إلى المرأة بأنها شريكة حياته.

مشاورة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للسيدة أم سلمة رضي الله عنها:

أيها الإخوة المؤمنون: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. انظروا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوم صلح الحديبية بعد أن تمَّ توقيع الصلح بينه وبين قريش، أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الصحب الكرام وقال لهم: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمُّ سلمة: يا رسول الله أتحبُّ ذلك؟ اخرج ثم لا تكلِّمْ أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم، حتى فعل ذلك، نحر هديه ودعا حالقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً. رواه الإمام أحمد.

أيها الإخوة الكرام: سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يدخل على السيدة أم سلمة وهو مغضب، فسألته السيدة أم سلمة رضي الله عنها عن سبب الغضب، تصوَّر يا أخي الكريم إن كنت في حالة غضب وسألتك زوجتك عن سرِّ وسبب غضبك، ما هو موقفك؟

لماذا تصنع مشكلة بسبب سؤال زوجتك لك؟ أليس ألمك ألمها؟ أليس سرورك سرورها؟ لماذا الغضب إن سألتك عن سبب وسرِّ غضبك؟

لقد شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل حلَّ موقف الصحابة رضي الله عنهم على لسان السيدة أم سلمة رضي الله عنها، مع أنه تبارك وتعالى قادر على أن يلهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هذا الخاطر الذي أدلت به السيدة أم سلمة رضي الله عنها، ولكن شاء الله تعالى أن يعطي درساً

للرجال بأن المرأة لها عقل نيِّر، وأنَّ على الرجل أن يصغي للمرأة لأنها قد تدلي برأي سديد وأنت بأمسِّ الحاجة إليه.

يسمع لها ربُّ عمر ولا يسمع لها عمر:

أيها الإخوة الأحبة: موقف حصل مع سيدنا عمر رضي الله عنه يعطينا درساً في هذه القضية.

مرَّ سيدنا عمر رضي الله عنه أيام خلافته على السيدة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها ـ والناس معه ـ فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: (هيهاً يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تروِّع الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيت أمير المؤمنين! فاتَّق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت)، وهو واقف يسمع كلامها.

فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز؟ فقال: ويلك تدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]. والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها.

فقال لها رجل: قد أكثرتِ أيتها المرأة على أمير المؤمنين. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ **فهذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر والله أحقُّ أن يسمع لها.**

[أوردها الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب، والحافظ ابن حجر في الإصابة].

ما المانع من السماع لرأيها، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٧١].

أيها الزوج الكريم: لا تهمل رأي زوجتك، شاور زوجتك وخاصة في حياتك الزوجية، ولا تكن سبباً في جعل المشكلة في بيتك، لا تكن فرعونياً، لا تقل كما قال فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩]. هذا ليس من دين الله في شيء.

سادساً: منع الزوجة من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم:

أيها الإخوة الكرام: من الأسباب التي تجعل المشاكل في الحياة الزوجية منعُ الزوجة من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم، وهذه ظاهرة في المجتمع، حيث يتسلَّط الزوج على زوجته فيمنعها من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم، وهذا له أثر كبير في جعل المشاكل بين الأزواج.

أيها الإخوة: الكثير من الأزواج يعيش في تناقض في حياته السلوكية، يمنع البعضُ نساءَهم من مشاركتهنَّ في أفراح وأتراح أهلهنَّ زاعمين وجود المنكرات هناك، فإذا ما جاءت مناسبة عند أهل الزوج رأيت الزوج يأذن للزوجة، بل يلزم الزوجة بالمشاركة في أفراح وأتراح أهله، ولو مع وجود المنكرات، زاعماً أنه يريد أن يكون بارَّاً في أهله، هذا الزوج نسي قول الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطفِّفين: ١-٣].

الذهاب لعند أهلها للمشاركة في الأفراح حرام لوجود المنكرات، هذا شيء حسن، ولكن كن آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بأسلوب حسن لطيف، واجعل الأمر واحداً، سواء أكان هذا في بيت أهلها أم في بيت

أهلك، ولا تكن سبباً في قطيعة رحمها، وتذكَّرْ قولَ الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

أيها الزوج الكريم: لا تكن سبباً في خلق المشاكل في حياتك الزوجية من خلال منعها من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم، وتذكر قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام، أيها الأزواج الأعزاء: اتقوا الله في نسائكم، ولا تكونوا سبباً في خلق المشاكل بينكم وبين نسائكم من خلال عدم الاهتمام بالزوجة أولاً، ومن خلال المنَّة على الزوجة عند الإنفاق عليها ثانياً، ومن خلال تهديدها بالطلاق أو الزواج عليها ثالثاً، ومن خلال التدقيق عليها في الشاردة والواردة من الزلات والهفوات رابعاً، ومن خلال إهمال رأيها خامساً، ومن خلال منعها من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم سادساً.

وتذكَّر أيها الزوج الكريم قولَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، وإنَّ لكم عليهنَّ أن لا يوطئْنَ فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلْنَ فاضربوهنَّ ضرباً غيرَ مبرِّح، ولهنَّ عليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف» رواه أبو داود.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً(٣)[١]

احتقار الزوجة أمام أولادها أو أهله

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

الحياة الزوجية لا تخلو من بعض الخلافات والمشاكل، وذلك لحكمة يريدها الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]، يريدنا الله تعالى أن نتنافس في حسن العمل، ويريد منا أن يتسابق كلٌّ من الزوجين أيُّهما يكون الأحسن عند الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]، يريد منا ربنا عزَّ وجلَّ أن نتحلَّى بخلق الصبر فيما بين بعضنا البعض، وخاصة بين الأزواج.

أيها الإخوة: ليس شرطاً أن تكون المرأة دائماً وأبداً هي السبب في الخلافات الزوجيَّة، فكما تكون الزوجة سبباً في الخلافات، كذلك يكون الزوج سبباً في الخلافات الزوجية، وما دمنا آمنا بالله تعالى رباً، وبالقيامة مآلاً ونهاية، فلا بدَّ من استحضار قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

وإنَّ من الأمور التي يكون الزوج فيها سبباً للخلافات الزوجيَّة:

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٨/٦/١٤٣١هـ، ٢١/٥/٢٠١٠م.

الأمر الأول: عدم الاهتمام بالزوجة وكأنها لا قيمة لها.

الأمر الثاني: منَّة الرجل على زوجته عندما يؤديها حقَّها.

الأمر الثالث: تهديد الزوجة بالطلاق أو الزواج عليها.

الأمر الرابع: عدم غضِّ الطرف عن بعض زلات الزوجة.

الأمر الخامس: عدم الاهتمام برأيها وعدمُ مشاورتها.

الأمر السادس: منع الزوجة من مشاركة أهلها في أفراحهم وأتراحهم.

بلِّغ الذي عليك نحو زوجتك:

يا عباد الله: أتمنَّى عليكم أيها الإخوة الكرام أن تنقلوا إلى نسائكم الأسباب التي يكون الزوج فيها سبباً للخلافات الزوجية، حتى تعرف النساء بأنَّ لهنَّ حقوقاً على الأزواج، وحتى يعلمْنَ بأنَّ الزوج قد يخطئ كما تخطئ المرأة.

انقل لأهلك هذه المواضيع حتى تعرف الواجب الذي عليك لتذكِّرك وتطالبك به، وحتى تبرأ ذمَّتك بيقين بين يدي الله عزَّ وجلَّ، ألم يقل مولانا عزَّ وجلَّ في كتابه العظيم: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. اتَّق الله في زوجتك وأعلمها بالحقِّ الذي عليك نحوها، حتى تعشق هذا الإسلام الذي أعطى لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

أيها الإخوة: بعض النساء صارت تكره الإسلام ـ والعياذ بالله تعالى ـ لأن الزوج لا ينقل لها من الإسلام إلا الذي عليها، إلا الحق الذي للزوج على زوجته، لا ينقل إليها إلا قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]، لا ينقل إليها إلا قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون» رواه الترمذي، وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما من امرأة يطلب منها زوجها حاجة فتأبى، فيبيت وهو عليها غضبان، إلا باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح» رواه الطبراني.

أيها الأزواج: انقلوا لنسائكم الذي لكم والذي عليكم، عرفوا الأزواج ما لهنَّ وما عليهنَّ، ألم يقل مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقدَّمَ الذي لهنَّ على الذي عليهنَّ.

لا يجوز أن ننقل من دين الله الذي يوافق هوانا والذي يكون حقاً لنا، وننسى أن ننقل الذي علينا، ونتناسى الواجب الذي علينا، بل البعض يحذِّر المرأة أن تشير إليه بالواجب الذي عليه. اتَّقوا الله في النساء فإنهنَّ عوان عندكم.

سابعاً: احتقار الزوجة أمام أولادها أو أهل الزوج:

أيها الإخوة الكرام: من الأسباب التي يكون الزوج فيها سبباً للخلافات الزوجية احتقار الزوجة أمام أولادها أو أمام أهل الزوج، وذلك بالكلمات النابية الجارحة للشعور، ظناً من الزوج أنه يريد أن يؤدِّبها ويوقفها عند حدِّها، والأسوأ من ذلك أن يكون التوبيخ والاحتقار للزوجة أمام أهل الزوجة، والكلَّ يعلم بأن أهل الزوجة ضعفاء أمام الزوج، لأنهم يخافون على ابنتهم من الطلاق، فهم يتحمَّلون الأسى والإساءة من أجل سلامة العلاقة بين ابنتهم وزوجها.

أين نحن من المبدأ الذي أرساه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (والضَّعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله) أورده الطبري في تاريخه، وابن هشام وابن كثير في السيرة.

هل هذا التحقير والإذلال ـ وخاصة أمام الأبناء أو أهل الزوج أو أهل الزوجة ـ من دين الله في شيء؟

إذا أردت أن تكون مؤدِّباً ناجحاً فعليك بما يلي:

أيها الإخوة الكرام: من أراد أن يكون مؤدِّباً ناجحاً فعليه بالأمور التالية:

أولاً: حقِّق شروط النصيحة:

التي شرعها الإسلام لك، ومن شروط النصيحة أن تكون سرّاً، وأن تكون

بلطف من الناصح، وأن تكون بدون استعلاء من الناصح على المنصوح. فانصح أيها الزوج زوجتك بدون استكبار عليها، وانصحها سرّاً وبلطف.

ثانياً: صدِّر نصيحتك لزوجتك بالكلمة الطيبة الحسنة:

وتكلَّم بعد ذلك بالقول الحسن، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

احذر أن تصدِّر نصيحتك بالكلمة النابية، واحذر أن تتكلَّم معها كلاماً فظاً غليظاً، لأنَّ الإسلام أراد منَّا أن نكون كالجسد الواحد.

ثالثاً: خاطب المنصوح وخاصة الزوجة بأحبِّ الأسماء والصفات إليها:

هذا إذا أردت أن تنفذ النصيحة إلى قلبها، وتعلم هذا الأسلوب من القرآن العظيم عندما يحدِّثنا عن سادة المؤدِّبين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كيف كانوا يخاطبون من أرادوا تأديبهم.

هذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يخاطب ولده سيدنا إسماعيل عليه السلام، ويصدِّر هذا الخطاب بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذا سيدنا لقمان عليه السلام يخاطب ولده، ويصدِّر خطابه بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

ولا يقولنَّ قائل: هؤلاء أبناء بررة يستحقُّون هذا الخطاب، أنت لا تنظر إلى المؤدَّب، بل انظر إلى نفسك أنت أيها المؤدِّب، وظيفتك أن تؤدِّب بأسلوب حَسَن بغضِّ النظر عن المؤدَّب، فهذا سيدنا نوح عليه السلام يخاطب ولده الكافر الملحد المادي الذي لا يؤمن إلا بالطبيعة، فيقول له سيدنا نوح عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

بل تعلَّمْ أدب التأديب من القرآن الكريم، حيث نجد في القرآن العظيم عندما يريد الله تعالى أن يؤدِّب عباده، فإنه يصدِّر التأديب بلفظ الإيمان الذي هو أقدس وأجمل وصف يعتزُّ به المؤمن، فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

﴿تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحُجُرات: ١١].

هذا أسلوب القرآن، هذا هو توجيه الله الخالق الأعلى لعباده، فنحن من باب أولى أن نصدِّر الخطاب في المؤدَّب بأحبِّ وأجمل الألفاظ إليه، حتى نستميل قلبه إلينا وليسمع ما نملي عليه.

رابعاً: لا تكن فظّاً غليظ القلب أثناء تأديب الزوجة:

تذكَّر أيها المؤدب والناصح، تذكَّر أيها الزوج، قولَ الله تعالى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، هذا في حقِّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المعصوم، فكيف في حقنا؟ من باب أولى وأولى، الإسلام يريد من التأديب جمع الشمل وتماسك الأسرة، وبالفظاظة والغلظة تتفكَّك الأسرة، وقد يؤدي الأمر إلى الطلاق وشتات الأولاد.

خامساً: لا تقابل الزوجة بما تكره:

تذكَّر أيها الزوج بأن من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه ما كان يقابل أحداً بما يكره، إنما كان يعرِّض تعريضاً فيقول: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا» رواه مسلم.

وهذا الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما أراد أن يؤدِّب ويواجه مهاجر أم قيس ما قابله بما يكره، بل لوَّح له تلويحاً وعرَّض تعريضاً، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكلِّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

سادساً: إياك والتشهير في حق الزوجة:

أيها الإخوة: إياكم والتشهير في حقِّ الزوجة إن أساءت، لأنَّ التشهير فيها يزيدها نفوراً، وتدبَّر قول الله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤] ولم يقل: واهجروهن في البيوت، مع أنَّ الله تعالى ذكر البيت في القرآن الكريم فقال: ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

التأديب بالهجر في المضجع حتى لا يعلم الأولاد بالمشكلة، هذا فضلاً عن أهلك وأهلها، وفضلاً عن الأباعد.

الهجر والتأديب في الفراش حتى لا يتدخَّل أحد بينكما، لأنَّه كلَّما ضاقت دائرة الخلاف سهل حلُّها، وكلَّما اتَّسعت صعب حلُّها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام! أيها الأزواج الأفاضل! لا يكن أحدنا سبباً في وجود الخلاف في حياتنا الزوجية، والتي من جملتها احتقار الزوجة أمام أولادها أو أمام أهل الزوج أو أمام أهلها، لأنَّ احتقارها أمام هؤلاء يسقط هيبتها أمام أبنائها.

تذكَّر أيها الزوج بأن الزوجة أمٌّ مربِّية راعية ومسؤولة عن رعيتها، فاحذر من احتقارها أمام أحد حتى لا تسقط هيبتها، لأنها إن سقطت هيبتها فلن يهابها الولد المؤدَّب الذي هو بأمسِّ الحاجة إلى الأم المربِّية.

ولنعلم جميعاً بأن احتقار الزوجة أمام أبنائها أو أمام أهل زوجها أو أمام أهلها يسبِّب وجود الخلاف في الحياة الزوجية، فلنحذر من هذا يا عباد الله.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بسم الله الرحمن الرحيم

مشاكل أسرية يكون الزوج فيها سبباً (٤)[١]

عدم التثبُّت من الأخبار

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

إن عظمة الإسلام تتجلَّى في تشريعاته التي أنزلها الله تعالى على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والتي من جملتها أن جعل سياجاً حول حقوق الناس عامة، وحول حقوق الزوجة خاصة.

فلا يؤخذ أحد بظنٍّ، ولا يحكم بريبةٍ، ولا يصحُّ الظنُّ أساساً لمحاكمتهم، بل لا يصحُّ أن يكون أساساً للتحقيق معهم ولا للتحقيق حولهم.

ولا يوجد مبرِّر لانتهاك حرمات الأنفس والبيوت والأسرار والعورات، فالناس على ظواهرهم، ليس لأحد أن يتعقَّب بواطنهم، وليس لأحد أن يظنَّ أو يتوقَّع أو حتى يعرف أنهم يقترفون المخالفات في خفاء فيتجسَّس عليهم.

من أجل سلامة الأسرة شرع الإسلام:

أيها الإخوة الكرام: من أجل سلامة المجتمع ومن أجل سلامة الأسرة، وحتى تبقى الأسرة والمجتمع في تماسك، قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات: ٦].

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/٦/١٥هـ، ٢٠١٠/٥/٢٨م.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان» رواه الترمذي عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها» رواه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنك إن اتَّبعت عوراتِ الناس أفسدتَهم أو كدتَ أن تفسدهم»، فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله نفعه الله تعالى بها. رواه أبو داود عن معاوية رضي الله عنه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يبلِّغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

من هذا المنطلق يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة، والحسد، وسوء الظن»، فقال رجل: ما يذهبهنَّ يا رسول الله ممن هو فيه؟ قال: «إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا ظننت فلا تحقِّق، وإذا تطيَّرت فامض» رواه الطبراني في المعجم الكبير عن حارثة بن النعمان رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام: الإسلام جعل هذا السياج من أجل سلامة حقوق العباد فيما بين بعضهم البعض، وأمرهم بالتعامل فيما بينهم بالظاهر، والله عزَّ وجلَّ هو الذي يتولى السرائر.

الإسلام حرَّم الحكم على الآخرين بناء على نقل الكلام بدون تثبُّت، لأنه يفسد علاقة أفراد الأسرة فيما بين بعضهم البعض، ويفسد علاقة

المجتمع، ويجعل نار العداوة بينهم.

سماع الزوج عن زوجته خبراً بدون تثبُّت:

أيها الإخوة الكرام: ما زال حديثي عن الخلافات الزوجية والتي يكون الزوج فيها سبباً؛ ومن جملة هذه الأسباب، سماع الزوج عن زوجته نبأً وخبراً، ومن خلاله يتعامل مع زوجته بدون أن يتثبَّت من النبأ الذي نُقل إليه.

وإنه لمن العجب أن ترى الزوج حياته مستقرَّة مع زوجته مطمئنَّة لا إشكال فيها، فإذا به تنقلب حياته إلى جحيم وشقاء من خلال ذاك النبأ الذي نُقل إليه ولم يتثبَّت من صحته، وهذه طامَّة كبرى.

ربُّنا عزَّ وجلَّ يخاطبنا بآية صريحة لا تحتاج إلى تأويل ولا إلى شرح وتوضيح، يقول فيها مولانا جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات: ٦]. آية محكمة واضحة يأمر الله تعالى فيها المؤمن أن يتثبَّت من النبأ الذي يصل إليه، وخاصة إذا كان النبأ سيترك أثراً في نفسه.

هنالك أنباء تجعل الشك مكان اليقين، وتجعل البغض مكان المحبة، وتجعل القطيعة مكان الوصل، وتجعل الغلَّ والكراهية مكان سلامة الصدر، وتجعل التدابر مكان التواصل، وتجعل النار مكان النور، وتجعل الطلاق مكان الزواج.

ناقل النبأ ليس معصوماً:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نكون على يقين بأنَّ ناقل الأنباء لنا ليس معصوماً مهما كان، لأنَّ العصمة لا تكون إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون» رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.

فالأب والأم والأخ والأخت ليسوا بمعصومين، فمن نقل لك نبأً عن زوجتك من أب أو أم أو أخ أو أخت، وكان النبأ له أثر في نفسك، وجب عليك أن تتثبَّت لأنَّ الناقل ليس معصوماً.

لقد زُوِّجتَ أيها الرجل على أساس من الدين والخلق، حيث كان ولي أمر زوجتك سمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا خطب إليكم مَنْ ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصاحب الدين والخلق يمتثل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات: ٦].

قد يفتري الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت على زوجة الإنسان، ولا غرابة في هذا، وخاصة في هذا العصر، وربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ [النساء: ١٣٥].

ناقل النبأ عاصٍ:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نكون على بيِّنة من أمرنا، ومن الواجب علينا أن نعلم بأن ناقل الأنباء السلبيَّة التي تؤثِّر على العلاقات تأثيراً سلبياً هو عاصٍ لله عزَّ وجلَّ.

الناقل هو واحد من اثنين، إما أن يكون نمّاماً وإما أن يكون مغتاباً، والله تعالى يقول في حق النمَّام ذامَّاً له: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١١-١٣]. ويقول الله تعالى في حق المغتاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ

تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١٢]. والغيبة أن تقول الحقَّ في أخيك وهو كاره له، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فناقل الأنباء عاصٍ في سائر أحواله، بغضِّ النظر عن القائل، وعن درجة قرابته للمنقول له.

لماذا تصدِّق الناقل وتكذِّب المنقول عنه؟

أيها الإخوة الكرام: قولوا لكلِّ زوج جعل مشكلة في حياته الزوجية بناء على نقل الأخبار بدون تثبُّت: لماذا تصدِّق الناقل ولا تصدِّق المنقول عنه؟

على أيِّ أساس صدَّقت وكذَّبت؟ أترضى أن يحكم عليك إنسان بناء على أمر نُقل إليه عنك؟ الجواب: قطعاً لا أرضى بذلك، وتعتبر ذلك ظلماً، وتسرع لتلاوة الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

لماذا أبوك وأمك وأقاربك كلهم صادقون، وزوجتك كاذبة؟

أيها الزوج! لو نقلت لك زوجتك نبأ عن أمك أو أبيك أو أحد من أقاربك، هل تصدِّقها مباشرة أم تتثبَّت من صحة نقلها؟ تذكر يا أخي قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطفِّفين: ١-٣]. اجعل مكيالاً واحداً ألا وهو قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات: ٦]. مهما كان الناقل إذا كنت متأثِّراً، وإلا فلا تتثبَّت وكن سليم الصدر.

وأنا أقسم يميناً أيها الإخوة بأن جُلَّ المشاكل الأسرية أساسها نقل الكلام بدون تثبُّت، ويقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» رواه مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

لأن القيل والقال بدون تثبُّت دمار للأسرة والمجتمع.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إذا أردنا حياة طيبة كريمة لأنفسنا ولغيرنا فعلينا بالالتزام بالكتاب والسنة، ومن الالتزام بالكتاب والسنة أقول لناقلي الأنباء والأخبار: تذكَّروا أيها الإخوة قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١٢].

وأقول للمنقول إليه النبأ: تذكَّر قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجُرات: ٦].

كم من امرأة طُلِّقت من وراء نبأ كاذب تبيَّن للزوج كذبه بعد الطلاق؟ وكم من امرأة قُتلت من وراء نبأ كاذب تبيَّن للقاتل كذبه بعد القتل؟

أيها الزوج! لا تكن سبباً في الخلاف الزوجي بحيث تكون أذناً صاغية لكلِّ ما يُقال عن زوجتك، تثبَّتْ وتبيَّنْ حتى لا تندم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

اللهم اجعلنا وقَّافين عند حدود شريعتك. آمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً:

انحراف الزوج[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فيا عباد الله:

من سعادة الإنسان أن يجد الناصح الذي يستر ولا يفضح، من سعادة الإنسان أن يجد من يذكِّره بالله تعالى ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر.

والشقيُّ من حُرِم الناصح، الشقيُّ الذي لا يجترئ أحد على نصحه؛ إما لإعجابه بنفسه، وإما لاستكباره عن الحق.

فإذا رأى العبد ناصحاً له ساتراً عليه، آمراً له بالمعروف وناهياً عن المنكر، فليشكر الله عزَّ وجلَّ على هذه النعمة، وليعلم بأن الله عزَّ وجلَّ أراد به خيراً، لأنَّ الحقَّ جلَّ جلاله إذا أراد أمراً هيَّأ أسبابه.

عندما يسلك الزوج طريق الانحراف وخاصة مع النساء:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً أن يسلك الزوج طريق الانحراف ـ لا قدَّر الله تعالى ـ وخاصة مع النساء، وذلك من خلال صلته معهن عن طريق غير مشروع، إما بإرسال رسائل وذلك

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/٦/٢٢هـ، ٢٠١٠/٦/٤م.

من خلال الهواتف النقالة، وإما بإرسال صور، أو إرسال مقاطع فيديو، أو بالعلاقة معهنَّ مباشرة بارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

وهذا الأمر من أكبر الأسباب في وجود المشاكل بين الزوجين، وخاصة إذا اطَّلعت المرأة على هذا.

لا تلتفت إلى نية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

أيها الإخوة الكرام: قد يُبتلى الرجل بذلك، وإذا أصرَّ على هذه المخالفة الشرعية والعياذ بالله تعالى تبدأ فضيحته، وقد تطَّلع المرأة على ذلك، فتتدخَّل المرأة آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر ـ بغضِّ النظر عن الأسلوب ـ وتذكِّر زوجها بالله تعالى، وتذكِّره بالعواقب الوخيمة من جرَّاء ذلك إما في الحياة الدنيا وإما في الآخرة.

فإذا بالزوج يرفض الاستماع والنصح والتذكير من زوجته، متذرِّعاً بأن المرأة لا تفعل ذلك إلا من منطلق الغيرة، وليس قصدها من ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأنا أقول لهذا الزوج: يا أخي الكريم كن عاقلاً، ولا تلتفت إلى نية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، هل فعله لله تعالى أم لنفسه؟ لأنك لست مسؤولاً عن نيَّته يوم القيامة، بل أنت مسؤول هل وصلك التذكير بالله أم لم يصلك؟

ورحم الله تعالى الإمام ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه عندما قال: إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً. لا تلتفت إلى نيَّة زوجتك، ولكن التفت إلى كلامها هل هو حقٌّ أم باطل؟

أيها الزوج! كن على يقين بأن الله تعالى أراد بك خيراً عندما سلَّط عليك زوجتك لتأمرك بالمعروف وتنهاك عن المنكر وتذكِّرك بالله، وتذكِّرك بالعواقب الوخيمة في الدنيا قبل الآخرة، فلا تكن لآيات الله عنيداً.

الزوجة تستحقُّ الشكر:

أيها الإخوة الكرام: عندما تطَّلع الزوجة على معصية الزوج وتنصحه فإذا به يقابل هذه النصيحة بإيجاد مشكلة لزوجته عوضاً عن شكرها، وينسى قول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

يا أيها الزوج الكريم: إنَّ زوجتك تستحقُّ الشكر على نصحها لك، ولا تستحقُّ إيجاد مشكلة لها تجعل حياتها مع حياتك شقاءً وجحيماً، أيها الزوج: لماذا هذه العصبية الحمقاء، هل نسيت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]. قابل يا أخي الكريم زوجتك بالشكر والدعاء لها بظهر الغيب، لأنها أرادت بك خيراً.

أيها الإخوة المؤمنون: الزوج عندما يكون غافلاً عن الله عزَّ وجلَّ يقابل نصح زوجته بكلمات جارحة، فيقول لها: أنت لا علاقة لك بذلك، ومن الذي كلَّفك بهذا؟ أنت لست مسؤولة عني يوم القيامة، أنت لن تدخلي قبري، هذا ليس من شأنك وليس من خصوصياتك، والأشدُّ من هذا أن يقول لها حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

ويُصعِّد الرجل المشكلة بينه وبين زوجته حتى يهدِّدها بالطلاق والفراق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الإخوة الكرام: من الذي جعل المشكلة في الأسرة؟ هل انحراف الزوج أم الزوجة بنصحها؟ الأمر واضح لكلِّ عاقل، الزوج هو الذي جعل المشكلة في حياته الزوجية، وتذرَّع لذلك بأنه يجب على زوجته أن لا تتدخَّل في ذلك، لأن هذا من خصوصيَّاته.

كلمة حقٍّ أُريد بها باطل:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ قول الزوج لزوجته: لن تحاسَبي عني، ولن تدخلي في قبري، ولا تزر وازرة وزر أخرى، كلمات حقٍّ، ولكن أُريد بها باطل.

لأني أقول لهذا الزوج: كلماتك هذه كلمات حقٍّ، وبالمقابل أنت لن تدخل قبرها، ولن تحاسب عنها، ولن تتحمَّل وزرها، ولكن هل ترضى لها الانحراف وتسكت عن انحرافها؟ تذكر قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفِّفين: ١-٦].

أيها الإخوة الكرام: أين عقول هؤلاء الرجال الذين يقولون هذا الكلام؟ هؤلاء يقولون: المرأة لا يُلتَفَتُ إلى قولها، لأنها ناقصة عقل ودين.

بالله عليكم: هذه المرأة ناقصة العقل والدين تقدِّم نصحاً وتذكِّر بالله تعالى، وتذكِّر بالعواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية، ويأتي الردُّ من الرجل الذي يزعم كمال عقله، بالله عليكم هل ترون لهذا الرجل عقلاً عندما يردُّ هذا الردَّ على زوجته؟ أذكِّر هذا الرجل بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: ١٠].

من الذي كلَّف المرأة بالأمر بالمعروف؟

يا عباد الله: إنَّه لمن العجيب أن تسمع من بعض الرجال في مثل هذه المشكلات من يقول لزوجته: من كلَّفكِ بهذا؟

يا أيها الزوج الكريم: إن الذي كلَّف المرأة بذلك هو الله تعالى، الذي كلَّفها بذلك هو نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، الذي كلَّفها بذلك هو إسلامها.

ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من

رأى منكم منكراً فليغيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؟ أليست المرأة مشمولةً بهذا الأمر؟ أليست هي مأمورة بتغيير المنكر إذا شاهدت على جوالك بعض الصور أو الرسائل التي لا ترضي الله تعالى؟ أليست مأمورة بتغيير المنكر عندما تراك تتحدَّث مع امرأة أجنبية كلاماً لا يُرضي الله تعالى؟ مع العلم بأنه لا يجوز للمرأة أن تتجسَّس على أحد من الناس، بما فيه زوجها.

فالمرأة مأمورة بتغيير المنكر إذا شاهدته، وإن لم تغيِّر وكانت راضية بذلك، فهي آثمة مع صاحب المنكر، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا عُملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» رواه أبو داود، وفي رواية لأبي يعلى: «من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده».

كيف لا تأمر الزوجة بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

أيها الإخوة الكرام: كيف يقول الزوج لزوجته لا علاقة لك بهذا الموضوع؟ كيف لا تأمر الزوجة بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

أولاً: هي لا ترضى أن تُصاب بهذه الفتنة:

ألم يقل مولانا عزَّ وجلَّ في كتابه العظيم: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]؟ كيف لا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي تقرأ هذه الآية؟ إنها تخاف على نفسها وولدها من هذا المنكر إذا لم تنه عنه، لأنَّ رشاش هذا المنكر سوف يصيبها ويصيب أولادها، فكيف لا علاقة لها بذلك؟ ومن الذي جعل المشكلة في

الحياة الزوجية، الزوجة أم الزوج؟

ثانياً: هي لا ترضى أن تسوء سمعتها بين الناس:

أيها الزوج! أنت القدوة، وأنت المتبوع، وهي التابعة والمأمومة، كيف لا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر إذا اشتهر أمرك بين الناس بهذه العلاقات غير المشروعة، وهذا يسيء إلى سمعتها بين الناس؟

الزوجة وليَّة زوجها والزوج وليُّ زوجته، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. لزاماً عليها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بأسلوب لطيف، كما قال تعالى لسيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

ثالثاً: هي لا ترضى أن ينتقل لها الداء الفاضح:

كيف لا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي تسمع الآن بالداء الفاضح لمرتكبي الفواحش، حيث انتشر داء الإيدز في ربوع الغرب وبدأ ينتشر في ديار المسلمين؟

نعم يجب أن تكون حريصة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بداية الداء، من رسالة غير شرعية، إلى صورة غير شرعية، خشية الوصول إلى الفاحشة الكبيرة الفاضحة، فمن حقِّ المرأة أن تنهى عن المنكر الذي تراه من زوجها.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: من رأى زوجته غيورة عليه، ناصحة له، ساترة

عليه، فليحمد الله عزَّ وجلَّ على هذه النعمة، ولا يليق به أن يكون أحمقَ يقابل الإحسان بالإساءة، فيُصعِّد معصيته من الصغيرة إلى الكبيرة، حتى يصل إلى الفاحشة التي قد تؤدي إلى فضيحته في الدنيا قبل الآخرة، لأنَّ العقوبة في الآخرة أشدُّ، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

تذكَّر أيها الزوج الكريم يا من ابتليت بقرين سوء زيَّن لك المعصية، أو بامرأة فاسقة فاجرة أرادت أن تدمِّر مستقبلك في الدنيا والآخرة، بأنَّ زوجتك ما اختارتك إلا على أساس من الدين والخلق، وصاحب الدين والخلق هو الذي يقبل النصيحة ويشكر عليها، ولا يجعل منها سبباً لوجود المشاكل في حياته الزوجية.

أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا الناصح، وأسأل الله تعالى الذي سترنا فيما مضى من أعمارنا أن يسترنا فيما بقي منها، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من الوقَّافين عند حدود الله تعالى، وأن لا نجعل من كلمة الحقِّ مشكلة في حياتنا الزوجيَّة، حتى لا ينطبق علينا قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

اتقوا الله في نسائكم يا عباد الله، ولا تكونوا سبباً في وجود الخلافات بينكم وبين أزواجكم من خلال المخالفات الشرعية.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طاعة الزوجة لزوجها فريضة شرعية[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن عقد الزواج هو عقد مسؤولية على كلٍّ من الزوجين، حيث يخاطب كلُّ واحدٍ صاحبه بعبارة: زوَّجتُك على كتاب الله، وقبلتُ الزواج على كتاب الله عزَّ وجلَّ.

والشيء الجميل الحسن في كلٍّ من الزوجين أن يفكِّر كلُّ واحد منهما بالواجب الذي عليه تجاه الطرف الآخر، ومن عرف الواجب الذي عليه وقام به فقد أدَّى حقَّ الطرف الثاني، وهذا منتهى السعادة في الحياة الزوجية.

وأريد أن أتحدَّث إليكم اليوم وفي الأسابيع القادمة إن شاء الله تعالى عن بعض الواجبات التي يجب على المرأة أن تَعْلَمَها قبل زواجها، وواجب على الآباء والأمهات أن يُعلِّموها لبناتهم.

طاعة الزوجة لزوجها فريضة شرعية:

أيها الإخوة الكرام: أهمُّ الواجبات التي يجب على المرأة أن تَعْلَمها هي وجوب طاعة الزوج، وهي فريضة شرعية عليها، وهذا الوجوب جاء من خلال القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/١/١٦هـ، ٢٠١٠/١/١م.

عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤].

لأن نظام الأسرة الناجح يقتضي خضوع الأفراد لواحد، وأولى أفراد الأسرة بالخضوع له هو الزوج، وأوَّل من يخضع له الزوجة، ومن الطبيعي أن هذا الخضوع ليس خضوع رقٍّ واستعباد، معاذ الله تعالى، بل هو نظامٌ ومسؤوليةٌ، ومن حرص الإسلام على النظام في المجتمع كلِّه، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمِّروا أحدهم» رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حريصاً على أن لا يسير ثلاثةٌ في طريق إلا بعد أن يُؤَمِّروا واحداً عليهم، فهو أشدُّ حرصاً على الأسرة أن لا تمرَّ عليها ساعة من زمان إلا ولها أمير يرعى شؤونها ويدير أمورها.

فطاعة الزوجة لزوجها نظام قِوامةٍ ورعايةٍ وإدارةٍ، وليست طاعةَ هيمنةٍ وتسلُّطٍ ودكتاتوريةٍ من قبل الرجل، فالرجل المسلم في أسرته ليس فرعوناً يقول: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩]. وليست قِوامته عنواناً على أفضليته عند الله عزَّ وجلَّ تميَّز بها على المرأة ، إنما هي قوامة مسؤولية سيُسأل عنها يوم القيامة.

فطاعة الزوجة لزوجها هي فريضة شرعية سوف تُسألُ عنها المرأة يوم القيامة، أحفظتِ الأمرَ الإلهي والأمرَ النبويَّ أم ضيَّعته؟ يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

طاعة المرأة لزوجها تعدل الجهاد في سبيل الله:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نربي بناتنا على أنَّ طاعة المرأة

لزوجها تَعْدِلُ الجهاد في سبيل الله، وأن تَعْلَمَ البنتُ قبل زواجها هذه الثمرة التي هي من ثمرات طاعتها لزوجها، وذلك من أجل تحقيق الهدف السامي من الزواج، ولنَسْمَعْ هذا الحديث الشريف، ولنُسْمِعْه لبناتنا ونسائنا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقالت: يا رسول الله، أنا وافدةُ النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجِروا، وإن قُتِلوا كانوا أحياءً عند ربِّهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أبلغي من لقيت من النساء أنَّ طاعة الزوج واعترافاً بحقه يَعْدِلُ ذلك، وقليل منكنَّ من يفعله» رواه البزار.

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل، أنها أتت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، إني وافدة النساء إليك، واعلم ـ نفسي لك الفداء ـ أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إنَّ الله بعثك بالحقِّ إلى الرجال والنساء، فآمنَّا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنَّكم معاشر الرجال فُضِّلْتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإنَّ الرجل منكم إذا أخرج حاجاً أو معتمراً ومرابطاً حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا لكم أثواباً، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى أصحابه بوجهه كلِّه، ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قطُّ أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه»؟ فقالوا: يا رسول

الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إليها، ثم قال لها: «انصرفي أيَّتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إحداكنَّ لزوجها، وطلبها مرضاتَه، واتباعها موافقتَه تعدل ذلك كله» قال: فأدبرت المرأة وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً.

ولا تنس المرأةُ بأن الإسلام اعتنى بالزوج قبل زواجه وربَّاه من خلال قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. ومن خلال قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «استوصوا بالنساء خيراً» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. ومن خلال قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنَهم خلقاً وألطفَهم بأهله» رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها.

هذا هو الرجل الآمر والناهي في البيت، صاحب الخلق السامي الرفيع الذي يخاف الله رب العالمين.

طاعة المرأة لزوجها سبب لدخول الجنة:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نُرَبِّيَ بناتنا على أنَّ طاعةَ المرأة لزوجها سببٌ لدخول الجنة، ولْنَسْمَع ولْنُسْمِع بناتنا هذا الحديث الشريف عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنَّة من أيِّ أبواب الجنَّة شئت» رواه الإمام أحمد.

ولا ننس بأنَّ الزوج الذي نختاره لبناتنا هو صاحب الدين والخلق، الذي أَمَرَنا النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن نزوِّجه من بناتنا، وإلا

فيجب علينا أن ندفع ثمن المخالفة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الزوج هو جنَّة ونار المرأة:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نربِّي بناتنا على أن الزوج هو جنَّةُ ونارُ المرأة، ولنَسْمَع هذا الحديث ولِنُسْمِع لبناتنا، كما روى الإمام أحمد في مسنده: (أنَّ عمَّة الحصين بن محصن أتت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حاجة ففرغت من حاجتها، فقال لها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أذات زوج أنت»؟ قالت: نعم، قال: «كيف أنت له؟» قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: «فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك»).

ولا ننس بأن الزوج الذي نختاره لبناتنا هو الذي يتَّقي الله تعالى في النساء، بناءً على أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «اتَّقوا الله في النساء» رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وإلا فلنذكر حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم «إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الغُنْمُ بالغُرْم:

أيها الإخوة الكرام: كلُّنا يعلم بأنَّ الغُنْمَ بالغُرْمِ، وما دام الإسلام رتَّب الثواب العظيم للمرأة بسبب طاعتها لزوجها، كذلك رتَّب الإثم العظيم على مخالفتها لأمر الزوج، واسْمَعوا أيها الإخوة وأَسْمِعوا حديثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لبناتكم ونسائكم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم قال: «والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» رواه مسلم.

وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح» رواه البخاري.

حقُّ الزوج على الزوجة عظيم في ديننا، وأجره للمرأة أعظم:

أيها الإخوة الكرام: واجب الزوجة نحو زوجها عظيم في ديننا، ويجب على بناتنا أن يَعْلَمْنَ هذا الواجب، روى أبو داود عن قيس بن سعد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال : «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدْنَ لأزواجهنَّ، لما جعل الله لهم عليهنَّ من الحق». وروى الحاكم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: أيُّ الناس أعظم حقّاً على المرأة؟ قال: «زوجها».

ولكنَّ أجرَها عند الله أعظمُ، كما حدَّثنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، روى الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «أيُّما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة».

كن حريصاً يا أخي المسلم على تربية بناتك على ذلك قبل زواجهنَّ، حتى تَضْمَنَ لهنَّ بإذن الله تعالى جنة الدنيا بحياة زوجيَّة مع رجلٍ مسلمٍ ملتزمٍ دينَ الله عزَّ وجلَّ، وتضمن لهنَّ كذلك بإذن الله جنة الآخرة بحياة فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولكن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

أيها الإخوة الكرام: لكن يجب علينا أن نعلَم وأن نعلِّم بناتنا بأنَّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» رواه مسلم عن نافع بن عمر.

فطاعة المخلوقين ممن تجب طاعتهم مقيَّدة بأن لا تكون في معصيةٍ لله عزَّ وجلَّ، روى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها: (أن امرأة من الأنصار زوَّجت ابنتها، فتمعَّط شعر رأسها، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فذكرت ذلك له، فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال: «لا، إنه قد لُعِنَ الموصلات»). فلا طاعة لزوج في وصل شعر، ولا طاعة لزوج يريد أن يأتي أهله في حيضها أو نفاسها أو في مكانٍ غير محلِّ الحرث.

من هذا الحديث الشريف يجب علينا أن نُعَلِّم بناتنا ونساءنا بأنَّ وصل الشعر لا يجوز شرعاً، ووضع الباروكات لا يجوز شرعاً، لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة» رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والعجيب في بعض النساء إن كان شعرها طويلاً تريد قصَّه والتشبُّه بالرجال، وبعد قَصِّهِ تريد أن تصل شعرها، ما هذه الفوضى في حياة النساء؟

إذاً درِّب ابنتك على طاعة زوجها في غير معصية لله عزَّ وجلَّ، فإنْ أمرها بمعصية ـ لا قدَّر الله ـ فعليها أن تتلطَّف إليه بالاعتذار، وأن تذكِّره بالكلمات التي قالها عند عقد الزواج: (قبلت زواجها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم).

فإن أصرَّ على طلب المعصية فعليها أن تُصِرَّ على الرفض؛ لأنَّ طاعة الله تعالى مقدَّمة على طاعته، ولو أدَّى الأمر إلى طلاقها ـ لا قدَّر الله تعالى ـ لأنَّ الزوج الذي يصرُّ على طلب المعصية من زوجته لا يصلح أن يكون زوجاً لامرأة مسلمة ملتزمة، لأن أمثال هؤلاء الرجال الذين تتطلَّع عيونهم إلى امرأة الشارع السافرة المتبرِّجة الكاسية العارية، وتتطلَّع عيونهم إلى أجهزة الإعلام والقنوات الفضائية الإباحية لا يمكن أن ترضيهم نساؤهم.

لذلك أؤكد على وجوب اختيار صاحب الدين والخلق الذي يبحث عن الزواج ليغضَّ من بصره، والذي سمع قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج» رواه مسلم عن عبد الله رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: بناتنا أمانة في أعناقنا، يجب علينا أن نعلمهنَّ أمور دينهنَّ، ومن أمور دينهنَّ طاعة الزوج في غير معصيةٍ لله عزَّ وجلَّ، وحقُّ الزوج على المرأة مقدَّم على حقِّ الأبوين، وخاصة الرجل الذي كان صاحب دين وخلق، والذي عرف الواجب الذي عليه قبل أن يعرف الحق الذي له.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤدي حقَّ زوجها(١)[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجب على أولياء أمور البنات أن يعلِّموا بناتهم الواجب الذي عليهنَّ قِبَل أزواجهنَّ، لأنَّ الزواج في نظر الإسلام مسؤولية، وهو بحدِّ ذاته عبادة بالنية الصالحة.

وإنَّ أول واجب على المرأة تجاه زوجها هو الطاعة، وهي طاعة مطلقة في غير معصية لله عزَّ وجلَّ، وطاعة الزوج مقدَّمة على طاعة الوالدين.

ولكن لا ننسى نحن أولياء أمور البنات بأنَّ الواجب الذي علينا هو أن نختار صاحب الدين والخلق لبناتنا، ومن خالف هذا الأمر فهو يتحمَّل نتائج هذه المخالفة، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. والنبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وصاحب الدين والخلق يعرف الواجب الذي عليه تجاه زوجته، وبقي علينا أن نعرِّف بناتنا على الواجبات التي عليهنَّ تجاه أزواجهن.

أيها الإخوة: الواجب الأول الذي على المرأة هو الطاعة في غير معصية،

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/١/٢٣هـ، ٢٠١٠/١/٨م.

وطاعتها لزوجها فريضة شرعية، وتعدل الجهاد في سبيل الله، وسبب لدخول المرأةِ الجنةَ بإذن الله تعالى.

واجب الإحصان والعفة:

أيها الإخوة الكرام: يجب على أولياء البنات أن يعلِّموا بناتهم الغاية الأساسية من هذا الزواج، ألا وهو الإعفاف والإحصان للزوج، إعفافه عن الحرام، وإحصانه حتى لا يرتكب الفاحشة، كما أنها تعفُّ وتحصِّن نفسها عن الحرام وارتكاب الفاحشة.

وحذِّر ابنتك من مخالفة أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ذلك، لأنَّ مخالفتها لأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تعرِّضها للفتنة أو العذاب الأليم عاجلاً أو آجلاً، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

حذِّر ابنتك من أن تقصِّر في هذا الواجب، وألَّا تتخذ من تركه سبباً لإغاظة الزوج وسلاحاً تشهره في وجهه، لأنها قد تدفعه إلى ارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: اسمَعوا وأَسْمِعوا توجيهات سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ذلك، وخاصة قد أصبحنا نعيش عصراً بضغطة زر يدخل فيه الإنسان العالم، حيث التوجيه الإباحي والعياذ بالله تعالى الذي نتيجته دمار آخر معقِل للمسلمين ألا وهو الأسرة.

وجِّهوا بناتكم بتوجيهات سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، واعلموا بأنكم مسؤولون يوم القيامة، فإن قصَّرنا في التوجيه عرَّضنا أنفسنا للفتنة أو العذاب الأليم لا قدَّر الله.

توجيهات النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في هذا الموضوع:

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لنسمع توجيهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في هذا الموضوع، ثم لنوجِّه بناتنا إلى ذلك:

أولاً: المرأة لا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤدي حق زوجها:

أخرج ابن ماجه عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: (لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حقَّ ربها حتى تؤدِّي حقَّ زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه»).

فوائد من هذا الحديث الشريف:

١ـ لا تتعجَّل بالحكم على المخالف بأنه كافر ومرتد، فهذا سيدنا معاذ رضي الله عنه عندما سجد للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، سأله رسول الله ما هذا؟ وعندما أخبره عن سبب هذا السجود قال له: لا تفعل.

ما نهاه إلا بعد معرفة الدافع والغاية من الفعل، فهو سجد للنبي سجود تعظيم لا سجود عبادة قطعاً، وإذا كان السجود للتعظيم دون العبادة فليس شركاً، ولكنه معصية وكبيرة من الكبائر.

٢ـ إذا كان أهل الضلال يحترمون علماءهم، فهذه الأمة من باب أولى وأولى أن تحترم علماءها، وخاصة نحن نعلم بأن هناك من يسيء إلى العلماء ويعطي الصورة المستقبحة وهم بريئون من ذلك.

٣ـ والأمر الذي يهمُّنا في موضوعنا أن نعلِّم بناتنا بأنَّ المرأة لا تؤدي

حقَّ ربها حتى تؤديَ حقَّ زوجها، عباداتها لا تُرفع، وطاعاتها لا تُقبل، حتى تؤدي حقَّ زوجها في غير معصية لله عزَّ وجلَّ.

ومن حقِّ الزوج على زوجته أن لا تمنعه نفسها ولو كانت على ظهر جمل، لأن الغاية من الزواج العفَّة والإحصان، وربما أن تكون حاجة الرجل للمرأة أعظمَ من حاجة المرأة إلى الرجل، فلا يجوز أن تمنعه نفسها في أيِّ حال من الأحوال، إلا في حال حيضها ونفاسها.

ثانياً: حذِّرها من اللعنة إذا قصَّرت:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلِّم بناتنا بأنَّ الواحدة منهنَّ إن قصَّرت في إعفاف زوجها وإحصانه، وخاصة إذا دعاها إلى فراشه، فالملائكة تلعنها، روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي رواية الإمام مسلم: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

علِّموا بناتكم هذا الواجب الذي عليهنَّ قبل الزواج، وحذِّروهنَّ من المخالفة حتى لا تُصَبَّ عليهنَّ اللعنة من الملائكة الكرام، لأن اللعنة إذا صُبَّت على المرأة لا قدَّر الله تعالى فكيف تجد السعادة؟

ثالثاً: حذِّرها من سخط الذي في السماء:

أيها الإخوة الكرام: حذِّروا بناتكم من التقصير في هذا الواجب، وانظروا إلى أهميته من خلال هذا التحذير النبوي الشريف، حيث يُقسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأن التي تأبى على زوجها في مسألة الإعفاف والإحصان يسخط عليها من في السماء.

يروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها».

رابعاً: لا تُرفع لها صلاة حتى يرضى زوجها:

أيها الإخوة الكرام: أمر آخر يجب على المرأة أن تعلمه قبل زواجها، وهو أن لا تبيت ليلة إلا وزوجها راض عنها، لأن المرأة التي تبيت وزوجها عليها ساخط لا تُرفع صلاتها إلى الله تعالى.

روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان».

وفي الغالب الأعمِّ لا يبيت الزوج ساخطاً على زوجته إلا إذا قصَّرت في حقِّه ولم تُعِفَّه عن الحرام.

ولا تنسَ أن تذكِّرها بأنك قد اخترت لها صاحب الدين والخلق الذي إذا أحبَّ المرأة أكرمها، وإذا كرهها لم يظلمها، لذلك وجب عليها أن لا تبيت ليلة إلا وزوجُها راضٍ عنها.

خامساً: لا تصوم نافلة إلا بإذنه:

أيها الإخوة الكرام: علِّموا بناتكم بأنه لا يجوز للمرأة أن تصوم نافلة إذا كان زوجها حاضراً إلا بإذنه، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره».

بل ذكر الفقهاء بأن المرأة لا تشرع في قضاء ما أفطرته في شهر رمضان إلا بإذن زوجها إلا إذا ضاق الوقت عليها، بحيث جاء شهر رمضان الآخر،

فعند ذلك تقضي ما عليها قبل دخول رمضان الثاني في شهر شعبان.

وحتى ذكر بعض الفقهاء بأنه لا يجوز للمرأة أن تؤدي فريضة الحج إلا بإذن زوجها، لأنَّ الحجَّ يجب على التراخي عند بعض الفقهاء، وأما حقُّ الزوج فيجب على الفور. أما حجُّ النافلة وعُمرة النافلة فقطعاً لا تذهب المرأة إلا بإذن زوجها، لأنَّ حقَّه مُقدَّم.

كلُّ هذا من أجل إعفاف الزوج وإحصانه، كما هو إعفاف لها وإحصان.

سادساً: دعاء الحور العين:

أيها الإخوة الكرام: أسمِعوا بناتِكم حديثَ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي يرويه الإمام الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال : «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا».

وأعظم أذية من المرأة لزوجها عدم إعفافه عن الحرام، لأنَّ الرجل المسلم يغضُّ بصره ويحفظ فرجه إلا من امرأته، فإذا آذته في ترك فراشه فماذا يفعل هذا الرجل؟ لذلك تدعو عليها زوجته من الحور العين.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: قد تقول المرأة: لماذا كلُّ هذا، لا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤدي حقَّ زوجها، وتلعنها الملائكة، ويسخط عليها من في السماء، ولا تُرفع لها صلاة، ولا تصوم نافلة إلا بإذنه، وتدعو عليها الحور العين إذا قصَّرت في حقِّ زوجها ولم تعفَّه عن الحرام؟ الجواب عن ذلك في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى. أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لا تؤدِّي حقَّ ربِّها حتى تؤدِّي حقَّ زوجها(٢)[١]

مقدَّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجب علينا أن نُعلِّم بناتنا الواجبات التي عليهنَّ تجاه أزواجهنَّ قبل الزواج، وإنَّ من الواجباتِ التي عليهنَّ واجبُ إعفاف وإحصان الزوج عن الحرام.

وقد حذَّرها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من التقصير في هذا الجانب، وبيَّن لنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أموراً ستة إذا قَصَّرت المرأة في حقِّ زوجها من هذا الجانب.

أولاً: لا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤدي حقَّ زوجها.

ثانياً: تلعنها ملائكة الرحمن إذا أبت على زوجها.

ثالثاً: ويكون الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها.

رابعاً: لا ترتفع لها صلاة حتى يرضى عنها زوجها.

خامساً: لا تصوم نافلة إلا بإذنه إذا كان حاضراً.

سادساً: تدعُو الحور العين عليها إذا آذت زوجها.

يجب علينا أن نعلِّم البنت هذه الأمور الستة قبل زواجها، وأما التي تزوَّجت فيجب علينا أن ننقل لها هذه الأحاديث الشريفة لتنقذ نفسها من سخط الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/١/٣٠هـ، ٢٠١٠/١/١٥م.

هذا الموضوع خاصٌّ بالمرأة المؤمنة الملتزمة:

أيها الإخوة الكرام: حديثنا هذا متوجِّه إلى المرأة المسلمة الملتزمة بدين الله عزَّ وجلَّ، إلى المرأة المؤمنة بالله تعالى وباليوم الآخر، إلى المرأة المؤمنة التي وصفها الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. إلى المرأة التي عرفت بأن الزواج مسؤولية دنيوية وأخروية، إلى المرأة التي عرفت بأنها آيبة إلى الله تعالى.

هذا الموضوع ليس متوجِّهاً إلى المرأة المسلمة اسماً، ليس إلى المرأة التي ما عرفت من الإسلام إلا اسمه ورسمه، ليس إلى المرأة التي تتطلَّع إلى المرأة الغربية، ليس إلى المرأة التي تسير خلف كلِّ ناعق يقول بأن الإسلام ظلم المرأة.

هذه المرأة التي تتطلَّع إلى المرأة الغربية، وتسمع لكلِّ ناعق من الغرب، ومن أذنابه من أبناء المسلمين، بأن الإسلام ظلمها، والله ـ وهذا قسم شرعي ـ ما هي إلا امرأة حمقاء.

هي حمقاء تريد أن تكون ذليلة كما هو شأن المرأة الغربية، حيث المرأة في الغرب إذا دخلت سنَّ الرشد والتمييز وجب عليها أن تعمل لتعيش، لتلبس، لتسكن، لأنَّ النفقة واجبة عليها لا على أبيها أو أخيها، وإن تزوَّجت فيجب عليها أن تعمل لتأكل، لأنَّ النفقة لا تجب على الزوج، أما إذا دخلت سنَّ الكهولة أو الشيخوخة صار أنيسها الوحيد هو كلبها الوفي، لا أب يرعاها، ولا زوج يرعاها، ولا ابن يرعاها، ولا أخ يرعاها، وهي في نهاية المطاف إما هي في بيتها الصغير، أو في دار من دور العجزة تنتظر موتها، وبعد موتها إلى جهنم وبئس المصير، إن كانت كافرة بدين الله عزَّ وجلَّ.

أليست المرأة المسلمة التي تتطلَّع إلى الغرب، وتريد أن تسير على خطى

الغرب حمقاء؟ لذلك أقول: حديثي مع المرأة المؤمنة التي ترجو الله واليوم الآخر، وليس مع هذه المرأة المخدوعة ببريق الغرب وهي متجاهلة بداية ونهاية المرأة الغربية عندهم.

لماذا هذا الترهيب للمرأة إذا قصَّرت في إحصان زوجها؟

أيها الإخوة: قد يتساءل البعض، أو تتساءل بعض النساء: لماذا هذا الترهيب إذا قصَّرت المرأة في إحصان زوجها؟ لماذا تلعنها الملائكة، ويسخط عليها الذي في السماء، ولا ترفع لها صلاة، ولا تؤدي حقَّ ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولا تصوم نافلة إلا بإذنه، وتدعو عليها زوجة زوجها من الحور العين؟

الجواب على ذلك أيها الإخوة الكرام هو:

أن الإسلام ينظر إلى الزواج بأنه بناء أسرة، والأسرة هي نواة المجتمع، فإذا باءت الأسرة بالفشل فشل المجتمع كلُّه، الإسلام ينظر إلى الزواج بأنه إعفاف وإحصان لكلٍّ من الزوجين من أجل بناء جيل مترابط فيما بين بعضه البعض، فإذا قصَّرت المرأة في حقِّ زوجها دفعته للتطلع إلى خارج البيت، وربما أن يؤدي هذا الأمر إلى ارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

وما انتشار الزنى واللواطة والخيانات الزوجية إلا بسبب التقصير من جهة الزوجات نحو أزواجهنَّ في الغالب الأعم، لذلك رهَّبَ النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المرأة، وحذَّرها من أن تُقَصِّر في حقِّ زوجها عليها ليضمن لها الأمور التالية:

أولاً: حتى تكون جنةً وسكناً لزوجها:

أيها الإخوة: عرِّفوا بناتكم بأنَّ الزوجة الصالحة هي جَنَّةُ الرجل في الدنيا

وسَكَنُه، يعيش معها حتى يرجع إلى الجنة والمسكن الخالد يوم القيامة في جنة عرضها السموات والأرض.

علِّموها هذه المقارنة اللطيفة، الجنة في الآخرة رحمة وسكن، قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فالجنة سكن لهما، والجنة رحمة قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الجاثية: ٣٠]. أي جنته.

فإذا كانت الجنة سكناً ورحمة، فكذلك الزوجة المؤمنة للرجل المؤمن سكن ورحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: ٢١]. فهي سَكَنٌ، ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ [الروم: ٢١]. والرحمة بين الزوجين جَنَّةٌ.

فإذا قصَّرت المرأة في حقِّ زوجها قَلَبَت حياتَها الزوجية إلى جحيم والعياذ بالله تعالى، ومن هذا المنطلق جاء الترهيب من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للمرأة المقصِّرة في حقِّ زوجها، وخاصة في إعفافه وإحصانه.

ثانياً: حتى لا تُخْفِقَ في حياتها الزوجية:

أيها الإخوة الكرام: علِّموا بناتكم هذا الواجب الذي عليهنَّ وعلِّموهنَّ هذا الترهيب الذي جاء على لسان الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حتى لا تُخْفِقَ المرأة في حياتها الزوجية.

أيها الإخوة الكرام: من خلال اطِّلاعي على بعض الخلافات الزوجية التي أدَّت إلى الطلاق، فإني رأيت أن ٧٠٪ من أسباب الطلاق هو تقصير المرأة في حقِّ زوجها من حيث إعفافه عن الحرام.

الرجل المسلم الذي يغضُّ بصره، ويحفظ فرجه إلا من زوجته، إذا لم تعفه زوجته عن الحرام فماذا يفعل؟

الذي يفعله أنه يُلبِس هذا الموضوع خلافاً من الخلافات بينه وبين زوجته، وربما أن يكون تافهاً، وربما أن يكون بسيطاً، فيجعل منه سبباً للشقاق بينهما حتى يؤدي إلى طلاق الزوجة.

يأتي ويشكو زوجته بأنها لا تحترمه، بأنها لا تُقَدِّر أمه، بأنها لا تستقبل أخواته فهو يريد طلاقها، فإن سألت هذا الرجل عن علاقته مع زوجته من حيث المعاشرة والقيام بواجبها نحوه، لرأيت هذا الرجل يتنهَّد ويقول لك: هذا هو بيت القصيد. ولكن حياءه يمنعه أن يتحدَّث عن هذا الموضوع.

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا عندما نعالج مشكلة أسريَّة بين زوجين أن ننتبَّه إلى هذا الجانب، كما يجب على أولياء البنات أن يركِّزوا على ذلك في حديثهم مع بناتهم، وإلا فحياتهم الأسرية في ضياع وفشل عاجلاً أم آجلاً.

ثالثاً حتى تحافظ على معقِل الأسرة:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام جاء ليحافظ على معقِل الأسرة من التفتُّت والضياع، جاء ليجعل من الزوجين روضة من رياض الجنة، لينشأ فيها الطفل ويشبَّ على الإسلام، ليكون هذا الشاب في ظلِّ عرش الرحمن، كما قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه» وعدَّ منهم: «وشاب نشأ بعبادة الله» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. فإن لم يكن البيت جنَّة فكيف يشبُّ الشابُّ على طاعة الله عزَّ وجلَّ؟

لذلك رهَّب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المرأة وحذَّرها من التقصير في حقِّ زوجها من أجل سلامتها وسلامة ذرِّيَّتها، وسلامة المجتمع كلِّه بإذن الله تعالى.

والغرب اليوم يلاحقنا في المعقِل الأخير، يريد دمار الأسرة، يريد أن يصوِّر للمرأة بأنَّ الإسلام ظلمها وما عرف قَدْرها ومِقْدَارها، يريد أن يُحلِّل هذه الأسرة من سائر القيود الشرعية التي تحافظ على الأسرة من الشتات والضياع، لأنه هو في ضياع، وصدق الله عزَّ وجلَّ القائل: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

الإسلام جاء ليجعل من الأسرة جنة تترابط أفرادها مع بعضها البعض من البداية إلى النهاية، قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. خدمة ودعاء وطلب رضا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: لقد عرفتم لماذا شدَّد الإسلام على المرأة إذا قصَّرت في حقِّ زوجها، كلُّ ذلك من أجل سلامتها دنيا وأخرى، ومن أجل سلامة أسرتها، ومن أجل سلامة المجتمع.

أيها الإخوة: كما حذَّر الإسلام المرأة من التقصير في حقِّ زوجها من حيث الإعفاف والإحصان، كذلك حرَّض الرجل على إعفاف المرأة وإحصانها.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(١)

عدم الإحسان لوالدي الزوج[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما مضمون عقد الزواج عندما يتمُّ تبادل ألفاظ العقد.

ويجب على كلٍّ من الزوجين أن يعلما بأنَّ الكلمة التي تُقال عند عقد الزواج سوف يُسأل عنها صاحبها يوم القيامة، فإن تطابقت الأفعال مع الأقوال فهذا شأن المؤمن، وإن تباينت واختلفت لا قدر الله تعالى فهذا وصف المنافق.

وجوب اتباع الهدى:

أيها الإخوة الكرام: من مستلزمات عقد الزواج الانضباط بالهدى الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من عند ربه عزَّ وجلَّ، فمن التزمه سلوكاً وعملاً سعد بإذن الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن هجره وأعرض عنه عرَّض نفسه لحياة الشقاء والضنك. قال تعالى: ﴿مَنْ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/٢/٩هـ، ٢٠١١/١/١٤م.

عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦]. فمن نسي الهدى نسيان هجر ـ والعياذ بالله تعالى ـ فإنه عرَّض نفسه لأن يُنسى ـ لا قدَّر الله تعالى ـ في نار جهنم.

خلف كلِّ مشكلة واحد:

أيها الإخوة الكرام: من الطبيعي أن يكون خلف كلِّ مشكلة واحد، فإما أن يكون الزوج، وإما أن تكون الزوجة.

فإذا كان الزوج هو الذي تسبَّب في الخلافات الأسريَّة فإنه سيتحمَّل المسؤولية يوم القيامة كما يتحمَّلها في الحياة الدنيا، وكذلك قد تكون الزوجة سبباً في وجود الخلاف في الحياة الأسريَّة، وستتحمَّل مسؤولية ذلك في الدنيا والآخرة، إذا لم تتب إلى الله تعالى من ذلك.

عدم الإحسان إلى والدي الزوج:

أيها الإخوة المؤمنون: قد تكون الزوجة سبباً في وجود الخلاف في حياتها الزوجية، والأسباب كثيرة جداً، من هذه الأسباب التي تكون المرأة فيها سبباً في وجود المشاكل في البيت، عدمُ الإحسان إلى والدي الزوج، بل الإساءة إليهما.

فكم من امرأة أساءت لوالدي زوجها ولم تُحسن إليهما، وكانت حريصة على إبعاد زوجها عن والديه، وإبعاد الوالدين عن ولدهما؟

لن تدخل الزوجة الجنَّة إلا برضا زوجها عنها:

يا عباد الله، قبل معالجة هذه المشكلة أقول: يجب على المرأة أن تعلم بأنها لن تدخل الجنة إلا برضا زوجها عنها، وطبعاً المقصود بالزوج هنا هو صاحب الدين والخلق، الذي تطابقت أقواله مع أفعاله، والذي تزوَّجته المرأة من خلال إرشاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لها بقوله: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي.

نعم المرأة لا تدخل الجنة إلا برضا زوجها عنها، لأنه صاحب دين وخُلق، لا يقول ولا يفعل، ولا يأمر ولا ينهى، إلا وفق ما أمر الله تعالى به، وأمر به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فإن كان الزوج كذلك فلتعلم الزوجة بأنها لن تدخل الجنة إلا برضا زوجها عنها. **هذا أولاً.**

ثانياً: يجب على المرأة المسلمة أن تعلم بأن زوجها لن يدخل الجنة إلا برضا والديه عنه، كما جاء في الحديث الشريف: «رضا الربِّ في رضا الوالد، وسخط الربِّ في سخط الوالد» رواه الترمذي والحاكم وابن حبان.

فمن كانت حريصة على دخول الجنة فعليها بطاعة زوجها في غير معصية لله عزَّ وجلَّ، وأن تُحسن لوالدي زوجها استدراراً لعطفهما عليه حتى يدخل الجنة، ومن سعادة العبد في الآخرة أن يجتمع مع أصوله وفروعه وزوجته في الجنة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

اعلمي أيتها الزوجة الأمورَ التالية:

أيها الإخوة الكرام: إذا أرادت المرأة أن تعالج هذه المشكلة ـ مشكلة عدم الإحسان لوالدي الزوج ـ فعليها أن تعلم الأمور التالية:

أولاً: ما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، على المرأة أن تعلم هذا، فإذا كان من الواجب على الرجل أن يبرَّ والديه، فإنه يجب على المرأة المسلمة أن تكون عوناً لزوجها على برِّهما، وهذا لمصلحتها، لأن رضا الوالدين على الولد سرُّ سعادته، وإذا سعد الولد نقل تلك السعادة إلى بيته.

يجب على المرأة أن تكون عوناً لزوجها على برِّ والديه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

ولتحذر المرأة من الإساءة لوالدي زوجها، أو التحريض لزوجها على عدم الإحسان إليهما، فإنَّ عاقبة ذلك وخيمة جداً، ولتحذر من متابعة بعض النساء اللواتي هذا وصفهنَّ، بحيث يجعلن الحياة الزوجية جحيماً بسبب إحسان الولد لوالديه.

ثانياً: يجب على المرأة أن تعلم قولَ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]، وقولَه تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤]. وقولَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «اتَّق الله حيثما كنت، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» رواه الإمام أحمد والترمذي.

إذا كان هذا في الناس عامة فكيف يجب أن يكون مع والدي الزوج؟ فمن باب أولى وأولى أن تحسن المرأة إلى والدي زوجها.

ولأن المرأة كلَّما أحسنت لوالدي زوجها فإن زوجها صاحب الدين

والخلق سوف يزيد في الإحسان إليها، لأنها حقَّقت له ما يبتغيه في هذه الحياة الدنيا من رضا والديه.

ثالثاً: يجب على المرأة أن تعلم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ليس من أمتي من لم يجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه» رواه الإمام أحمد وغيره.

ومن الإجلال والاحترام والتقدير للكبير أن تخصَّ بذلك والدي زوجها؛ لأنهما بمنزلة أبويها، فإن فعلت الزوجة هذا فإنها في الحقيقة تصنعه لنفسها وتزرع لمستقبلها، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦].

هي تفعل هذا الإجلال والاحترام والتقدير لوالدي زوجها لأنها أم لولد، وهي تريد في المستقبل من حليلة ولدها الإجلال والاحترام والتقدير، والحياة كما يقولون: دَين ووفاء، فمن زرع خيراً حصد خيراً، ومن زرع شراً حصد شراً، قال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، وجزاء الإحسان الإحسان.

فمن كانت حريصة على مستقبلها مع حلائل أبنائها، فعليها بالبرِّ والإحسان والإجلال والاحترام والتقدير لوالدي زوجها، ولتذكر هذه الزوجة حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما أكرم شاب شيخاً لسنِّه إلا قيَّض الله له من يكرمه عند سنِّه» رواه الترمذي، وقالوا: (صانع المعروف لا يقع، وإذا وقع وجد متّكأً).

رابعاً: يجب على المرأة أن تعلم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عزَّ وجلَّ» رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن.

من خلال هذا الحديث الشريف يجب على المرأة أن تعلم بأنه يجب

عليها أن تشكر والدي زوجها؛ لأنهما سبب في وجوده في هذه الحياة الدنيا، بهما نُقل من العدم إلى الوجود.

يجب عليها أن تشكرهما لأنهما ربَّياه وعلَّماه وأدَّباه ورعياه حتى صار رجلاً صاحب دين وخُلق.

يجب عليها أن تشكرهما لأنهما اختاراها زوجة لولدهما الحبيب إلى قلبيهما.

من لم يشكر السبب لم يشكر المسبِّب، ألا يستحقان شكراً واحتراماً وتقديراً بعد الجهد الذي قدَّماه لولدهما؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، انقلوا هذا إلى نسائكم وبناتكم وأخواتكم ومحارمكم، علِّموا من أرادت الزواج، وعلِّموا المتزوِّجة، وجوب احترام والدي الزوج لتكون بذلك عوناً لزوجها على برِّ والديه، ولتكون بذلك من أهل الإحسان والفضل، ولتكون بذلك ممن اهتدين بهدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولتكون بذلك شاكرة لله عزَّ وجلَّ على نعمة الزوج، ومن كان سبباً في وجوده وتربيته. اللهم وفِّقنا لما تحب وترضى يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٢)

الاستعلاء على الزوج[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

المرأة إذا غفلت عن الله عزَّ وجلَّ، وابتعدت عن منهج الله تعالى، عرَّضت نفسها لحياة الشقاء والضنك، وتصبح أداة ووسيلة لحياة الشقاء والضنك في حياتها الزوجية.

وكما أنَّ الرجل قد يكون سبباً في وجود المشاكل، فكذلك المرأة قد تكون سبباً في وجود المشاكل، ومن الأسباب التي تجعل حياة الأسرة شقاء استعلاء المرأة واستكبارها على زوجها بما أسبغ الله عليها من نعمة الجمال أو المال أو الحسب أو العلم، أو بأيِّ نعمة من النعم.

ومن الطبيعي أن يأبى الزوج أشدَّ الإباء استعلاء الزوجة عليه، وذلك لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

فإن استعلت المرأة على زوجها ببعض هذه النعم، فمن الطبيعي أن تنقلب الحياة الزوجية إلى شقاء وجحيم.

هذا ما جنته يداك:

أيها الإخوة الكرام: قبل أن أعالج مشكلة استعلاء الزوجة على زوجها

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/٢/١٦هـ، ٢٠١١/١/٢١م.

بما أسبغ الله عليها من نعم، وهي في حالة غفلة عن الله عزَّ وجلَّ، أقول للزوج: هذا ما جنته يداك.

نعم، لقد دعاك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لاختيار صاحبة الدين والخلق، ولكن أبيتَ إلا أن تختار صاحبة الجمال، أو صاحبة المال، أو صاحبة النسب، أو صاحبة العلم، مع غضِّ الطرْف عن دينها.

وقد حذَّرك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من مخالفة أمره بقوله: «تربت يداك» رواه البخاري ومسلم، وحذَّرك الله تعالى بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. فعندما خالفت أمره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وجب عليكَ أن تتحمَّل النتائج، لأن المرأة الحسناء أو صاحبة المال أو صاحبة النسب أو صاحبة العلم، بدون دين، يجعل منها امرأة مستكبرة مستعلية على الناس، حتى على زوجها.

أيها الإخوة الكرام: لقد حذَّرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الاختيار الخاطئ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من تزوَّج امرأة لعزِّها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوَّجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوَّجها لحَسَبِها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوَّج امرأة لم يتزوَّجها إلا ليغضَّ بصره أو ليحصِّن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه» رواه الطبراني في الأوسط.

إنها امرأة حمقاء:

أيها الإخوة الكرام: إن المرأة عندما تستعلي على زوجها صاحب الدين والخلق وتتكبَّر عليه، هي في الحقيقة امرأة حمقاء، لأن المرأة المسلمة لا تدخل الجنة إلا برضا زوجها صاحب الدين والخلق عنها، فإن استعلت واستكبرت عليه، وجعلت حياته شقاء وجحيماً فقد عرضت نفسها لفقد أعظم

نعمة عليها ـ لا قدَّر الله تعالى ـ ألا وهي نعمة دخول الجنة.

يجب على المرأة المسلمة أن تفكِّر فيما يلي:

يا عباد الله: يجب على المرأة المسلمة التي تسوِّل لها نفسها أن تستعلي وأن تستكبر على زوجها بسبب نعمة من النعم التي أسبغها الله عليها، من نعمة جمال أو مال أو حسب أو علم، يجب عليها أن تفكِّر بما يلي، لعلها تتوب إلى الله تعالى قبل موتها:

أولاً: النعمة لا تدوم:

أيها الإخوة الكرام: يجب على المرأة التي أسبغ الله عليها شيئاً من النعم، أن تعلم بأن هذه النعم لا تدوم لها، وإن دامت لها فلن تدوم هي لها.

هذه النعم التي أسبغها الله عليها توجب الشكر عليها، وإن لم تشكر الله على هذه النعم عرَّضتها للزوال، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وبكفر النعم ـ والعياذ بالله ـ تعرَّضها المرأة للزوال، ومن صور الكفر بالنعم الاستعلاء والاستكبار على الزوج.

على المرأة أن تفكِّر في بدايتها ونهايتها ولا تغترَّ بما بينهما، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، لتنظر المرأة إلى بدايتها وهي فقيرة ضعيفة جاهلة، ولتنظر إلى نهايتها من خلال نظرها إلى من انطبق عليها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾. لو فكرت المرأة ببدايتها ونهايتها لخفضت جناحها لزوجها، والتزمت الأدب معه، لأن نعمة الجمال والمال والعلم لا تدوم، فما هي إلا عارية مستردَّة، فطوبى لمن كان لله تعالى شاكراً على نعمه.

ثانياً: المستكبر لا يدخل الجنة:

يا عباد الله: يجب على المرأة المسلمة التي تُسَوِّل لها نفسها الاستكبار والاستعلاء على أحد من الخلق ـ وخاصة على زوجها ـ أن تفكِّر في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر» رواه مسلم.

إذا كان هذا في حقِّ الخلق جميعاً، فكيف بمن تستكبر على زوجها الذي لا تدخل الجنة إلا برضاه عنها؟

ثالثاً: المستكبر يعذَّب في باطن الأرض:

أيها الإخوة الكرام: لتسمع المرأة التي سوَّلت لها نفسها الاستكبار والاستعلاء على زوجها بجمالها أو بمالها أو بعلمها أو بثيابها، لتسمع قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

كم من امرأة اختالت واستكبرت واستعلت بثيابها، وكانت عبدة للخميصة، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» رواه البخاري.

أيها الإخوة: الحقُّ علينا، كلُّنا مقصِّر ـ إلا من رحم الله تعالى ـ في تهذيب البنات قبل الزواج على ما أدَّبنا عليه الإسلام.

رابعاً: المستكبر في نار جهنم:

أيها الإخوة الكرام: لتسمع هذه المرأة التي استكبرت واستعلت على زوجها بنعم الله عليها بأنها تعدَّت على صفة من صفات الله عزَّ وجلَّ، وتجاوزت حدَّها وقدرها، ونسيت نفسها.

لتسمع هذه المرأة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما جاء في الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار» رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه.

خامساً: المستكبر يُحشر في أرض الموقف على صور الذَّرِّ:

يا عباد الله: يجب على هذه المرأة المسكينة المغرورة بجمالها أو بمالها أو بعلمها أو بحسَبها، والتي استعلت على زوجها وجعلت حياته بؤساً وشقاء بسبب هذا الاستكبار، أن تسمع حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يُحشَر المتكبِّرون يوم القيامة أمثال الذَّرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذُّلُّ من كلِّ مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخَبال» رواه الترمذي.

نعوذ بالله تعالى من سوء الخاتمة، ونعوذ بالله من العجب والغرور والاستعلاء والاستكبار، ورحم الله عبداً عرف حدَّه فوقف عنده.

سادساً: الاستكبار مُهلك للعبد:

أيها الإخوة: لتسمع المرأة المسلمة الحريصة على نجاتها في الدنيا والآخرة إلى حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ثلاث مُهلكات: شُحٌّ مُطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه» رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان.

سابعاً: الاستكبار سبب لطرد العبد من رحمة الله تعالى:

يا عباد الله: يجب على المرأة أن تعلم سبب طرد إبليس من رحمة الله تعالى، ولعله أن يكون ذلك درساً لها إن سوَّلت لها نفسها الاستكبار والاستعلاء.

إبليس ما طُرد من رحمة الله تعالى إلا عندما استكبر على سيدنا آدم عليه السلام، وقال لربنا عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص: ٧٦].

يجب على المرأة أن تكون على حذر من الاستكبار والاستعلاء ـ وخاصة على الزوج ـ بسبب نعمة من نعم الله تعالى عليها، وإلا عرَّضت نفسها ـ لا قدر الله ـ للطرد من رحمة الله تعالى.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة المؤمنون: لتسمع المرأة المسلمة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد» رواه أبو داود.

يا أختاه، يا صاحبة النعمة، يا صاحبة الجمال والمال والنسب والعلم! اعلمي بأنك في اختبار وابتلاء، وتذكَّري قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وتذكَّري قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [المُلك: ٢].

واحذري يا أختاه من أن تجعلي من النعمة سبباً للاستعلاء والاستكبار على زوجك إن كان دونك.

تذكَّري يا أختاه تلك القصة التي يتحدثَّ بها الناس: أنَّ امرأة حسناء تزوَّجت من رجل دميم، فقالت له يوماً: أنت وأنا في الجنة إن شاء الله تعالى. قال: لمَ؟ قالت: إن نظرتَ إليَّ شكرتَ الله تعالى على ما أسبغ عليك من نعمة، وإن نظرتُ إليك صبرت، والشاكر والصابر في الجنة.

أسأل الله تعالى أن يردَّنا إلى دينه ردّاً جميلاً. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٣)

كثرة خروج المرأة من البيت[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن الإعراضَ عن دين الله عزَّ وجلَّ، والإعراضَ عن المنهج الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم سببٌ لحياة الشقاء والضنك للرجل وللمرأة، للأسرة وللمجتمع، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

وإن المشاكل في الحياة الزوجية مصدرها الوحيد هو الإعراض عن هذا الشرع الشريف؛ إنْ من الزوج، وإنْ من الزوجة، وإنْ من كليهما.

كثرة خروج المرأة من البيت مشكلةٌ كبيرة:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ كثرة خروج المرأة من بيتها سببٌ كبير من أسباب المشاكل في الحياة الزوجية.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/٢/٢٣هـ، ٢٠١١/١/٢٨م.

فعندما تُكثر المرأة الخروجَ من بيتها بالليل والنهار، بسبب وبغير سبب، لضرورة ولغير ضرورة، فإنها تكون سبباً في وجود الخلل في الحياة الزوجية، والذي يؤدي إلى خلاف وشقاق بين الزوجين، وقد يصل الأمر إلى أبغض الحلال عند الله ألا وهو الطلاق.

يا عباد الله، بخروج المرأة من البيت لضرورة ولغير ضرورة تضيِّع الواجب الذي عليها من حقِّ الزوج ومن حقِّ الولد، وإذا ضاعت الحقوق حلَّت المشاكل.

قياسات باطلة:

يا عباد الله، إنَّ من أوجب الواجبات التي فرضها علينا ربنا عزَّ وجلَّ تعليم نسائنا وبناتنا ومحارِمنا الهدي الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والذي من جملته، قوله تعالى للنساء: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقرار المرأة في بيتها هو شعار المرأة المسلمة التي عرفت دين الله عزَّ وجلَّ، لأنها عرفت المهمة والواجب الذي عليها من خلال دين الله عزَّ وجلَّ.

والمرأة إذا ابتعدت عن منهج الله عزَّ وجلَّ وقعت في الضياع، وبدأت تقيس قياسات باطلة، فَضَلَّت وأضلَّت، من هذه القياسات الضالَّة المُضِلَّة:

أولاً: قياس المرأة المسلمة على المرأة الغربية:

أيها الإخوة الكرام: يحرم على المرأة المسلمة أن تجعل المرأة الغربية والمنهج الغربي مقياساً لها، يحرم عليها أن تجعل من المرأة التي لا تدين بدين سماوي، أو التي تدين بدين اليهودية أو النصرانية المزيَّفة، أن تجعلها نبراساً لها، وتسير خلفها.

يا عباد الله: علِّموا نساءكم وبناتكم، بأنَّ المرأة الغربية إذا لم تخرج

جاعت وعريت ولن تجد لها مأوى، لأنها لا نفقة لها، لا على الزوج ولا على الأهل ولا على فرع، ولا من مال الخزينة العامة.

أما المرأة المسلمة التي كلَّفها الله تعالى بالقرار في البيت، فقد ضمن لها النفقة الكافية، من أبيها ومن زوجها ومن ابنها ومن أخيها، فإن لم يكن لها أصل حي، أو فرع، أو زوج، فالنفقة واجبة لها في بيت مال المسلمين، لأنَّ الإسلام أوصى بها بنتاً، وأوصى بها زوجةً، وأوصى بها أماً، وأوصى بها أختاً.

أما المرأة الغربية فهي امرأة مظلومة متهوِّرة، لا تنظروا إليها وهي في سنِّ الشباب والصبا، بل انظروا إليها في سنِّ الشيخوخة، حيث تجدوها إما في مصحٍّ عقلي، وإما في دار من دور العجزة، وإما في كوخ صغير، تأوي إليه.

أين زوجها ـ إذا كان على قيد الحياة ـ؟ فإنه لا يتعرَّف عليها.

أين أصولها ـ إن كانوا على قيد الحياة ـ؟ فإنهم لا يتعرَّفون عليها.

أين فروعها ـ إن كانوا على قيد الحياة ـ؟ فإنهم لا يتعرَّفون عليها إلا في يوم واحد من أيام السنة وهو عيد الأم، حيث يأتيها ولدها بهدية، ويجلس عندها ساعة من الزمن كأنه ضيف، ثم ينصرف.

هذه المرأة العجوز الهرِمَة فقدت أصولها وفروعها وفروع أصولها، وفقدت زوجها، فلم تجد لها وفياً إلا الكلب، فهو معها إذا خرجت لشراء طعامها، وهو جليسها في الحديقة العامة وفي بيتها.

فهل يُعقَل من المرأة المسلمة أن تتَّخذ هذه المرأة قدوةً ومثالاً ونبراساً لها حتى تقلِّدها؟

ثانياً: قياس القرار على السجن:

يا عباد الله، علِّموا محارمكم ونساءكم أنَّ القرار في البيت ليس سجناً لها، كما يصوِّرها الغرب لها حيث يقول لها: أنت حرَّة، أنت طليقة، لماذا القرار في البيت؟

أيها الإخوة الكرام: هذا الكلام نفثة شيطان إنسي أو جني يريد أن يجعل حياة المرأة شقاءً وضنكاً.

إنَّ قرار المرأة في بيتها ليس سجناً لها، بل بيتها هو محلُّ عملها التي كُلِّفت به من قبل مولانا عزَّ وجلَّ، وربُّنا جلَّت قدرته عندما كلَّف عباده كلَّف الجميع، وجعل لكلٍّ عمله وحدَّد له مكانه، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١-٤]. فعمل الرجل غير عمل المرأة، ومكان عمله غير مكان عملها، قال تعالى في حقِّ الرجال: ﴿يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزَّمل: ٢٠].

فالرجل يجب عليه أن يعمل بحيث يضرب في الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، يبحث عن الرزق، رزقه ورزق عياله.

والمرأة يجب عليها أن تعمل بما كُلِّفت به من تحقيق سكن لزوجها، وتربية لأبنائها، وهذا لا يكون إلا إذا كانت في قعر بيتها، قال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فإذا أخلَّ الرجل أو أخلَّتِ المرأة فيما كُلِّفَ كلٌّ منهما به وقع الخلل، وحلَّت الفوضى وكثرت المشاكل.

أيها الإخوة الكرام: تصوَّروا لو أن الرجل جلس في بيته، وجعل بيته مقرّاً له بدون عمل، كيف يحقق ما كُلِّف به من حيث الإنفاق على نفسه وعلى من يعول؟

هذا الرجل سوف يتطلَّع إلى مال زوجته ويجعل يده السفلى ويد زوجته هي العليا، وبذلك تنقلب الموازين وتضطرب الحياة الزوجية.

وكذلك تصوَّروا لو أن المرأة أكثرت الخروج من البيت كيف تحقِّق السكن لزوجها؟ وكيف تربي أولادها؟

فإذا جلس الرجل في البيت فسد وأفسد، وإذا أكثرت المرأة الخروج من

البيت فسدت وأفسدت، لذلك يحرم على المرأة أن تنظر إلى القرار في بيتها أنه سجن لها، بل يجب عليها أن تعلم أن سرَّ نجاحها في حياتها الزوجية هو قرارها في بيتها.

انظري يا أختاه إلى أصحاب الأعمال الكبيرة والخطيرة كيف يلازم كلُّ واحد مكان عمله إذا أراد أن يكون ناجحاً فيه، وكلُّ من أراد النجاح في عمله قَرَّ في مكان عمله، حتى رأينا أصحاب الأعمال الكبيرة والخطيرة يجعل على بابه حاجباً حتى لا يدخل عليه كلُّ أحد، ويجعل مقسماً للهاتف حتى لا يتكلَّم مع كلِّ أحد، وما ذاك إلا ليكون ناجحاً في عمله، وكذلك شأن المرأة التي تريد أن تكون ناجحة فيما كلَّفها به مولانا عزَّ وجلَّ.

مهمَّة المرأة كبيرة:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ معالجة مشكلة كثرة خروج المرأة من بيتها لن يكون إلا إذا عرفت المرأة ما هي مهمَّتها في هذه الحياة؟

وإنَّ مهمَّة المرأة في الحياة تستمدُّها المرأة المسلمة من كتاب الله عزَّ وجلَّ.

أولاً: تحقيق السكن لزوجها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]. هذه مهمة المرأة المسلمة، أن تحقِّق السكن لزوجها الذي يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله، لينفق على نفسه وعلى من يعول.

يجب على المرأة أن تحقِّق له السكن من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا نظر إليها سرَّتْهُ، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما. بهذه الأمور يتحقَّق السكن لهذا الزوج.

ثانياً: تربية الأبناء، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم» رواه البخاري

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. فالمرأة هي المسؤولة عن تربية أبنائها وخاصة في المرحلة الأولى من حياتها، المرأة هي المسؤولة عن تربية الأبناء وتنشئتهم على قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «وشاب نشأ في عبادة الله عزَّ وجلَّ» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

المرأة مسؤولة عن تربية الأبناء على قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. فسأل الولد اللهَ الرحمة للأبوين لأنهما ربَّياه.

فإذا أكثرت المرأة الخروج ضيَّعت تربية الأبناء، وبه ضيَّعت أمر الله تعالى الذي كلَّفها به من حيث تربية الأبناء.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: قرار المرأة في بيتها سرُّ سعادتها في الحياة الزوجية، وكثرة خروجها من بيتها سبب لحياة الشقاء في حياتها الزوجية، وخاصة إذا كانت تخرج وتهتمُّ بخروجها من أجل النظر إليها، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إنَّ المرأةَ عورةٌ، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان فتقول: ما رآني أحد إلَّا أعجبتُه».

وهذا مُشاهَد وواقع، اهتمام المرأة بلباسها عند خروجها من بيتها أكثر من اهتمامها بلباسها داخل بيتها لتحقيق السكن لزوجها.

يا أختاه: اتقِي الله، ولا تكثري الخروج من البيت لتحقِّقي السكن لزوجك، ولتقومي بتربية أبناءك، وإلَّا فالنتائج غير محمودة.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٤)

كثرة الكلام على الهاتف[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن من أعظم نعم الله تعالى علينا نعمة اللسان، فهو صغير في جِرمه، عظيمٌ في طاعته وجُرمه، ليس له مؤونة إذا أراد العبد أن يحرِّكه، ولا يتعب ولا يكلُّ ولا يملُّ في كثرة حركته.

هذا اللسان وسيلة وآلة في يد الشيطان إذا كان العبد غافلاً عن الله عزَّ وجلَّ، ويورده المهالك، ويسلك به في كلِّ ميدان، حتى يوقفه على شفا جُرُفٍ هار، فانهار به في جهنم، ولا يَكبُّ الناسَ في النار على وجوههم ومناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم.

هذا اللسان الذي نُطلق له العنان، لنعلم أننا سوف نُسأل يوم القيامة عن كلِّ كلمة وكلِّ حرف ننطق بها بهذه الجارحة.

اللسان سبب وجود المشاكل:

أيها الإخوة الكرام: ما زلنا في الحديث عن المشاكل في الحياة الزوجية والتي تكون المرأة فيها سبباً.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١/٣/١٤٣٢هـ، ٤/٢/٢٠١١م.

من أسباب الخلافات في الحياة الزوجية كثرة كلام المرأة على الهاتف الثابت والنقَّال، على سبيل المثال: يتصل الرجل بأهله على الهاتف فيجد الهاتف مشغولاً، وينتظر دقائق بل ربع ساعة، وربما نصف ساعة، وقد يتجاوز ذلك إلى الساعة، والهاتف مشغول، يتوجَّه إلى البيت مسرعاً وهو في حالة من الغضب الشديد، ليجد الزوجة تتحدَّث مع أهلها أو مع أحمائها، أو مع صديقاتها كلاماً بدون فائدة، وبذلك تحصل المشادَّة بينه وبين زوجته لهذا السبب، وقد يصل به الأمر إلى حلف يمين بالطلاق.

عارٌ على الزوج كثرة أيمان الطلاق:

أيها الإخوة الكرام! بهذه المناسبة أقول: عارٌ على الرجل أن يؤدِّب زوجته بأيمان الطلاق، عارٌ عليه أن يهدِّدها بالطلاق عند وجود أيِّ خلاف، عارٌ على الزوج الذي يعلِّق طلاق زوجته على فعل أمر أو تركه، إنَّ تأديب الزوجة لا يكون بكثرة أيمان الطلاق؛ لأنَّ الطلاق دواء لداء استعصى حلُّه.

اسمعي يا أختاه إلى ما يقوله مولانا عزَّ وجلَّ:

يا عباد الله، من خلال ما أطَّلع عليه من كثرة الخلافات الزوجية، ومن أيمان الطلاق بسبب حديث المرأة على الهاتف أقول:

اسمعي يا أختاه إلى ما يقوله مولانا عزَّ وجلَّ في كتابه العظيم:

أولاً: يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]. كلُّ كلمة وكلُّ حرف مسجَّل علينا في صحائف أعمالنا من قبل ملائكةٍ كرام، الكلام محصيٌّ علينا، قال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وما دام الأمر كذلك فالعاقل هو الذي يقلِّل كلامه، وقالوا: من عدَّ

كلامه من أفعاله قَلَّ كلامه، فكثرة الكلام توقع العبد في الإثم والعدوان، والزلل والخطيئة.

تذكَّري يا أختاه بأن هذا اللسان الصغيرَ في جِرمه كبيرٌ في جُرمه، لأنَّ أكثر الناس يُكبُّون في نار جهنم بسببه.

ثانياً: يقول الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

يا أختاه، فكِّري هل حديثك مع الآخرين على الهاتف أو غيره من خلال هذه الآية الكريمة، هل تأمرين بصدقة، أو تأمرين بمعروف وتنهين عن المنكر، أو تصلحين بين الناس؟ إن كان حديثك ضمن هذه الأمور الثلاثة فهو خير لك في الدنيا والآخرة.

أما إذا كان الحديث عن الطعام والشراب، وعلاقة المرأة مع زوجها، ومع أحمائها، ومع صديقاتها، فلا خير فيه، والمصيبة الأكبر إذا كان الحديث غيبة أو نميمة أو إفساداً بين زوجين أو بين متحابَّين.

تذكَّري يا أختاه، يا من تكثرين الحديث عن طريق الهاتف خاصة، أنك مسؤولة عن هذا الكلام، وأنه لا خير في الكلام إلا إذا كان في مرضاة الله، وتذكَّري أنَّ هذا الكلام تُدفع قيمته لمؤسسة الهاتف، قليلاً كان أم كثيراً، وسوف تسألين عن هذا يوم القيامة، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي عن أبي بَرْزَة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». يُسأل العبد عن المال إن كان قليلاً أو كثيراً.

واسمعي يا أختاه إلى أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أولاً: روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

فيا أختاه تنبَّهي إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

العبد الذي آمن بالله القائل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]. وآمن باليوم الآخر وما فيه من نعيم وجحيم، يقول خيراً أو يصمت، لأنه سيحاسب على كلِّ كلمة قالها، فإن كانت خيراً حصد خيراً، وإن كانت غير ذلك حصد شراً.

ثانياً: روى الطبراني عن الحارث بن هشام رضي الله عنه قال: (قال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: أخبرني بأمر أعتصم به، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «املك هذا»، وأشار إلى لسانه).

فيا أختاه إذا أردتِ الاعتصام بأمر من أجل سلامة الآخرة فاملكي لسانك، ولا تقولي به إلا خيراً، وعُدِّي كلامك من أفعالك التي ستُسألين عنها يوم القيامة.

ومن ملك لسانه عُصِمَ عن الزلل بإذن الله تعالى، ومن عُصِمَ عن الزلل أَمِنَ يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه، فقال: (يا لسان، قل خيراً تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم،

من قبل أن تندم، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»).

وهل تريدين يا أختاه أن يكثُرَ خطؤك يوم القيامة، ومن أعظم الأخطاء الوقوع في الكبائر، والتي من جملتها الغيبة والنميمة والسخرية وتتبُّع عورات الناس، فاتقي الله يا أختاه عند الحديث مع الآخرين على الهاتف وغير الهاتف.

رابعاً: روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال له: «ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟» قلت: بلى يا رسول اللهِ، قال: «رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذِروة سَنامِهِ الجهادُ». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كلِّه؟» قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه قال: «كُفَّ عليك هذا»، قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمُّك، وهل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم»؟

يا أختاه نحن مؤاخذون بما نقول، وأكثر أهل النار دخلوها بسبب هذا اللسان الذي لا يتوقَّف عن الكلام بمعروف وبغير معروف عند عامة الناس إلا من رحم الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. ويقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢-٩٣]. وعمل اللسان القول.

خامساً: روى الطبراني عن الأسود بن أصرم المحاربي رضي الله عنه، قال: (قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «تملك يدك»، قلت: فماذا أملك إذا لم أملكْ يدي؟ قال: «تملك لسانك»، قال: فماذا أملك إذا لم أملك لساني؟ قال: «لا تبسط يدك إلا إلى خير، ولا تقل بلسانك إلا معروفاً»).

يا أختاه: راقبي الله تعالى في جارحة اللسان، ولا تقولي إلا خيراً، والخير

في الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، لا على عكس ذلك.

سادساً: روى الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك») .

يا أختاه: قلِّلي من الكلام، وقَرِّي في البيت، وحاسبي نفسك قبل أن تُحاسبي يوم القيامة.

سابعاً: وروى الترمذي عن أمِّ حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: «كلُّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله».

يا أختاه: تعلَّمي قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الصادق المصدوق، الذي قال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]. فيبين لنا بقوله الشريف بأن كلَّ كلامٍ يكون على العبد، أي مَغْرَماً.

ثامناً: وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا تُكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوةٌ للقلب، وإنَّ أبعد الناس من الله القلب القاسي».

يا أختاه كوني حريصة على رقَّة القلب بكثرة ذكر الله تعالى، واحذري قسوة القلب بكثرة الكلام.

خاتمة نسال الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ حديث المرأة على الهاتف كثير وكثير جداً، وعالجوا هذا الموضوع مع نسائكم وبناتكم ومحارمكم بالحكمة والموعظة

الحسنة، وبتذكيرهنَّ بالآيات الكريمة التي قلناها، وبالأحاديث الشريفة التي ذكرناها، وقبل كلِّ هذا أن نكون نحن الرجال أولاً قدوةً لهنَّ بقلة الكلام من غير فائدة.

واحذروا يا عباد الله من معالجة هذا الأمر بأيمان الطلاق أو بالحرام، لأنَّ هذا ليس من شان العقلاء.

ذكِّر نساءك ومحارمك بالمال الذي يُدفع على الكلام من خلال فواتير الهاتف، والذي سنُسأل عنه يوم القيامة.

وذكِّر نفسك ومن استرعاك الله عليه بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من صمت نجا» رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٥)

عدم الاهتمام بالنظافة[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن طاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فرضٌ علينا، وهي سرُّ سعادتنا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]. وهل العبد الذي ينعم الله عليه في الآخرة بهذه المعية لا يكون منعماً في الحياة الدنيا؟

ومخالفة أمره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هي سبب للفتنة والعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

أيها الإخوة الكرام: إنَّ واقعنا مرير من حيث الأسرة، حيث لا يجد الكثير من الناس السكن، بل الشقاء والخلاف الذي يوصل في كثير من الأحيان إلى أيمان الطلاق والحرام.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/٣/٨هـ، ٢٠١١/٢/١١م.

سبب الشقاء سوء الاختيار:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الشقاء الذي يكون في الأسرة بسبب الزوجة يتحمَّل الزوجُ جزءاً كبيراً منه، لأنه ما سمع أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي وجَّهه لحسن اختيار الزوجة، جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك».

نعم لُصِقَت يدك بالتراب حسرة وندامة لأنَّك ما ظفرت بصاحبة الدين، لقد كنت حريصاً على الحسناء ولو بدون دين، حريصاً على الغنيَّة ولو بدون دين.

المرأة غير الملتزمة لن تحقِّق لك السكن، ولن تجد عندها المودة والرحمة، لأنها لا صلة لها مع كتاب ربها عزَّ وجلَّ القائل: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. ولا صلة لها مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم القائل لابن عباس رضي الله عنهما: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرَّتْه، وإذا أمرها أطاعتْه، وإذا غاب عنها حفظتْه» رواه أبو داود.

الكثير من النساء اليوم صلتها بالدين اسماً، وأما السلوك فهو تقليد لشرقٍ أو لغرب ممن لا صلة له بدين ولا أدب ولا قيم ولا أخلاق.

يا أخي الكريم: كن حريصاً على الزوجة صاحبة الدين والخلق، التي تؤمن بالله واليوم الآخر، كن حريصاً على هذه المرأة التي التزمت قول الله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾. فهي تخاف الله عزَّ وجلَّ فيك، وتحقق لك السكن، لأنَّ الله تعالى رقيب عليها وسيحاسبها إن قصَّرت، وهي التي تسرُّك إذا نظرت إليها.

من أسباب الشقاق والخلاف عدم الاهتمام بالنظافة:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من أسباب الخلاف في الحياة الزوجية تقصير المرأة في النظافة، وهذا أمر ملاحظ وبكلِّ أسف، فكم من رجل يشكو إلى الله تعالى تقصير زوجته في النظافة، إن كان في جسدها، وإن كان في ثيابها ورائحتها، وإن كان في بيتها.

مع أننا نعلم جميعاً بأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ربَّى الأمة رجالاً ونساءً على النظافة بكلِّ ميادينها، ولكن وبكلِّ أسف صارت النظافة شعاراً وعنواناً لغير المسلمين.

واقعنا مرير في مسألة النظافة، انظروا إلى شوارع المسلمين في مسألة النظافة، انظروا إلى شوارع المسلمين وإلى أسواقهم ومحلاتهم التجارية، وانظروا إلى بيوتاتهم ـ إلا من رحم الله تعالى ـ لا تجد فيها النظافة، وإن دلَّ هذا على أمر، فإنه يدلُّ على قلة الإيمان وضعفه، ألم يقل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الاهتمام بنظافة الجسد بشكل عام:

أيها الإخوة الكرام: اسمعوا وأسمعوا نساءكم ومحارمكم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي يرويه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «حقٌّ لله على كلِّ مسلم أن يغتسل في كلِّ سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده».

يا عباد الله، وإن كان ظاهر الحديث يخاطب المسلم فقط، بل هو في

الحقيقة يخاطب المرأة كما يخاطب الرجل، لأنَّ حال المرأة في ديننا مبنيٌّ على الستر، فكما يقول الله تعالى في القرآن العظيم مخاطباً الرجال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. فهو شامل للمرأة كذلك، وهكذا في هذا الحديث الشريف.

يا أختاه، إن كان الرجل مأموراً بالاغتسال في كلِّ أسبوع مرَّة، فأنتِ من باب أولى وأولى، لأن الله تعالى وصف المرأة بقوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزُّخرُف: ١٨].

يا أختاه: إنَّ الاهتمام بنظافة الجسد بشكل عام، سبب كبير من أسباب سرور الزوج، وبذلك يتحقَّق قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا نظر إليها سَرَّتْهُ». ومن أدخلت السرور إلى قلب زوجها لا شكَّ ولا ريب بأنه سيُدخل السرور إلى قلبها، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

فأولاً: الاهتمام بنظافة الجسد.

ثانياً: الاهتمام بنظافة الثياب والشعر:

يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وأخرج الإمام أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أتانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فرأى رجلاً شعثاً قد تفرَّق شعره، فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكِّن به شعره»، ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه»).

اسمعي أيتها الزوجة الصالحة إلى توجيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم للاهتمام بنظافة الشعر والثياب، فالإسلام هو دين النظافة، وبكون الإنسان ينظر إلى ظاهر الإنسان فيجب عليه الاهتمام بنظافة ثوبه

وشعره حتى لا يكون منفِّراً، فكيف بالزوجة أمام زوجها؟ فهي من باب أولى وأولى يجب عليها أن تهتمَّ بنظافة ثوبها وشعرها، وإلا نفَّرت زوجها منها.

المرأة الصالحة إذا نظر إليها زوجها سرَّتْهُ، ومن دواعي سرور الرجل أن يرى زوجته مهتمَّة بنظافة ثيابها وشعرها، وهذا ما أكَّده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: «من كان له شعر فليكرمه» رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الإخوة الكرام: كثير من النساء تهتمُّ بنظافة ثيابها وترتيب شعرها إذا أرادت الخروج من البيت، أما داخل البيت أمام زوجها فتراها مقصِّرة في هذا الجانب، وهذا ما يجعل خلافاً شديداً بينها وبين زوجها، بحيث لا تحقِّق المرأة لزوجها السكن النفسي من خلال قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا نظر إليها سَرَّتْهُ».

فاتقي الله يا أختاه بزوجك، واعلمي بأن الزوجة الصالحة هي التي تهتمُّ بنظافة ثيابها وترتيب شعرها لتحقِّق السكن النفسي لزوجها، ولتعفَّه عن الحرام، واعلمي يا أختاه بأن المرأة الصالحة هي التي تطيع ربها عزَّ وجلَّ من خلال اهتمامها بنظافتها في ثيابها وترتيب شعرها لزوجها.

ثالثاً: الاهتمام بنظافة الفم والأسنان:

أخرج الإمام أحمد عن جعفر بن تمام بن عباس عن أبيه قال: (أتوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أو أُتِي فقال: «ما لي أراكم تأتوني قُلْحاً، استاكوا، لولا أن أشقَّ على أمّتي لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الوضوء»). القَلَح: الذي يسبِّب رائحة كريهة في الفم، فكيف لا تهتمُّ المرأة المسلمة بنظافة فمها وأسنانها حتى لا يجد زوجها منها إلا الرائحة الطيبة؟

كم من مشكلة حصلت في البيت بين الزوجة وزوجها بسبب عدم اهتمام الزوجة بفمها وأسنانها، وربما دفع الزوج للنفور من زوجته وكراهيته لها؟

فاتقي الله يا أختاه في الزوج من خلال الاهتمام بنظافة الفم والأسنان، فأنت مسؤولة أمام الله عزَّ وجلَّ، وحافظي على السواك الذي هو مَطْهَرَةٌ للفم ومَرْضاةٌ للرب عزَّ وجلَّ.

رابعاً: الاهتمام بنظافة البيت:

أخرج الإمام الترمذي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: (إن الله طيِّب يحب الطيب، نظيف يحبُّ النظافة، كريم يحبُّ الكرم، جواد يحبُّ الجود، فنظِّفوا أفنيتكم ولا تشبَّهوا باليهود)، وروي هذا الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

يا أختاه اسمعي وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، واسمعي أمره، وهو يقول: «فنظِّفوا أفنيتكم ولا تشبَّهوا باليهود». واحذري من التقصير في هذا الجانب، ولا تتشبَّهي باليهود، واعلمي بأن الله تعالى يحبُّ النظافة، لأن النظافة راحة للإنسان، وإن اهتمامك بنظافة البيت يحقِّق السكن للزوج الذي ينشده من خلال حياته الزوجية، فلا تقصِّري في نظافة البيت حتى لا يكون سبباً للخلاف في حياتك الزوجية.

خامساً: التجمُّل بشكل عام:

اسمعي يا أختاه إلى ما رواه الإمام مسلم والترمذي في سننه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار يعني من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، قال: فقال له رجل: إنَّ الرجل

يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحبُّ الجمال، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ».

يا أختاه شأن المرأة المسلمة هي التي تحبُّ الجمال والتجمُّل، لأن الله تعالى يحبُّ الجمال، ولكن اجعلي هذا لزوجك حتى تصونيه عن الحرام.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، انقلوا هذا الحديث لنسائكم وبناتكم ومحارمكم، أخرج الإمام الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إن الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده».

ومن آثار النعمة التي يحبُّ مولانا أن يراها النظافة بكلِّ صورها وأشكالها، ومسؤولية هذا الأمر تقع على الرجال، لأنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته» رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما. فمن رعايتك لأسرتك أن تعلِّمهم ما سمعت، قولاً وسلوكاً، وخاصة قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا نظر إليها سَرَّتْهُ».

أيها الإخوة الكرام: عالجوا هذا الموضوع مع نسائكم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تعالجوه من خلال أيمان الطلاق والحرام إذا قصَّرت المرأة في النظافة بشكل عام، عالجوا هذا الموضوع بالتعليم لنسائكم، ولا تعالجوه بالضرب والشتم واللعن والقسوة والإهانة والتحقير.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٦)

تقصير الزوجة في حقِّ زوجها من حيث الفراش[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

تعلمون جميعاً بأن الله تبارك وتعالى أمر بالزواج بقوله جلَّت قدرته: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]. وبقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وكذلك أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالزواج بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء» رواه الإمام مسلم عن عبد الله رضي الله عنه.

بل الزواج سنَّة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بشكل عام، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/٣/١٥هـ، ٢٠١١/٢/١٨م.

مني». وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «النكاح من سنَّتي، فمن لم يعمل بسنَّتي فليس مني، وتزوَّجوا فإني مكاثر بكم الأمم، ومن كان ذا طَول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء» رواه ابن ماجه.

الزواج فطرة إنسانية:

أيها الإخوة الكرام: ربُّنا عزَّ وجلَّ الذي خلق الإنسان من ذكر وأنثى جعل الرجل يميل بفطرته إلى المرأة، كما جعل المرأة تميل بفطرتها إلى الرجل، لحكمة يريدها الله عزَّ وجلَّ، وجعل لهذا الميل بين الجنسين نظاماً، فشرع لذلك الزواج ودعا إليه، وحرَّض الأمة على ذلك، وحرَّم السفاح وحذَّر منه، بل حرَّم الإسلام قضاء الشهوة بطريق غير مشروع، وجعل فاعل ذلك من العادين.

الغاية من الزواج:

يا عباد الله، عندما أمرنا الله تعالى بالزواج، وأمرنا أن نزوِّج من لا زوج له، جعل لذلك غاية وحكمة، وعلى رأس ذلك إحصان كلٍّ من الزوجين الذكر والأنثى.

ربنا عزَّ وجلَّ حرَّم السفاح على الرجل والمرأة، وكذلك حرَّم على كلٍّ منهما قضاء شهوته عن طريق الاستمناء باليد، وحرَّم اللواطة بين الرجال، كما حرَّم السحاق بين النساء، وبيَّن لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ بنصِّ القرآن الكريم أنَّ مَنْ قضى شهوته عن غير طريق الزواج فإنَّه متعدٍّ لحدود الله عزَّ وجلَّ، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

تقصير المرأة في حقِّ زوجها من حيث الفراش:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ كثيراً من النساء تقصِّر في حقِّ زوجها من حيث نظافة الجسد والشعر، والفم والأسنان، ونظافة البيت، ومن قصَّرت في هذا الجانب فربما أن تقصِّر في الجانب الأهم والأخطر، ألا وهو تقصيرها في حقِّ زوجها من حيث حاجته الشخصية.

هناك من النساء من تمنع نفسها عن زوجها أياماً وأسابيع، وربما أن تصل إلى أشهر، وبذلك تقع في الإثم، لأنها تسبِّب بذلك مشكلة كبيرة، وربما الزوج لا يستطيع أن يصرِّح بذلك لأحد.

تنسى تلك الزوجة المقصِّرة في حقِّ زوجها من هذه الناحية أنها آثمة، كما تنسى وتتناسى الغاية من الزواج، ألا وهي الإحصان وحفظ الفرج، وربما دفع هذا التقصير الزوج لارتكاب المخالفات الشرعية والعياذ بالله تعالى.

أيتها المرأة اتقي الله في زوجك:

أيها الإخوة الكرام: هناك بعض النساء اللواتي يعرفن أزواجهنَّ بأنهم أصحاب دين وخلق، ويخافون الله عزَّ وجلَّ، ولا يسلكون طريق الانحراف، فإذا ببعض هؤلاء النسوة يهملن الزوج من هذه الناحية، ويحترق هذا الرجل احتراقاً، ولا يدري ماذا يفعل بنفسه، والزوجة كأنها متعامية عن هذا الأمر.

هذه المرأة تتجاهل واقع الأمة من حيث الفسق والفجور الذي تفشَّى في المجتمع، وقلَّ فيه حياء النساء إلا من رحم الله، وكثر التبرُّج والسفور، بل صارت الدعوة إلى ارتكاب الرذيلة جهاراً نهاراً وبدون حياء، من خلال الأجهزة المرئية والمسموعة والمكتوبة.

هذه المرأة تجاهلت وضع الشارع، ووضع الأسواق، ووضع المحلات

التجارية التي تعرض الألبسة النسائية بدون حياء على تلك الأصنام والعياذ بالله تعالى.

وإني أقول لهؤلاء التجار: يا عباد الله اتقوا الله في شباب هذه الأمة، ولا تعيثوا في الأرض فساداً، فإنَّ عرض تلك الألبسة بالشكل الذي تعرضونه هو نوع من أنواع الفساد في الأرض، واحذروا من أن يلعب الشيطان بكم فيقول لكم: إن هذا العرض نوع من أنواع الأخذ بالأسباب.

يا عباد الله! إن الأخذ بالأسباب مطلوب منا شرعاً، ولكن يجب أن تكون الأسباب مشروعة أولاً، وأن لا نعتمد عليها ثانياً، لأن الاعتماد على الأسباب شِركٌ خفي والعياذ بالله تعالى، وصدق الله القائل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

نعم يا عباد الله، إن بعض النساء تجاهلت الواقع الذي تعيشه من حيث الدعوة إلى الفساد والإفساد، وأهملت زوجها صاحبَ الدين والخلق، فما هي قائلة لله عزَّ وجلَّ؟

ويجب على المرأة أن تعلم بأن زوجها إذا وقع في معصية من المعاصي، فقضى شهوته بطريق غير مشروع، فإنها شريكة له في هذا الإثم والعياذ بالله تعالى.

تضييق على الأزواج:

أيها الإخوة الكرام: والأسوأ من ذلك، إذا أراد الزوج أن يأخذ بطريق العفاف، وأن يتزوَّج الزوجة الثانية، فإن القائمة تقوم ولا تقعد من الزوجة من جانب، ومن القانون من جانب آخر، حيث لا يتم تسجيل عقد الزواج بالمحاكم الشرعية إلا بموافقة الزوجة الأولى.

ومستحيل وألف مستحيل أن توافق الزوجة على وجود ضرَّة لها، وهذا يدفع الرجل للزواج من امرأة أخرى، ويسلكون طريق الكذب على القاضي، بحيث تدَّعي أنها زوجة لهذا الرجل، وتريد تثبيت عقد الزواج عند القاضي، فيقوم القاضي بتثبيت عقد الزواج لها، وبدون تبادل ألفاظ بينهما، وهنا تقع الطامة كذلك إذا دخل عليها الرجل بدون إجراء عقد زواج على المرأة الثانية.

كلُّ هذا تضييق على الرجل صاحب الدين والخلق، والزوجة المقصِّرة في حقِّ زوجها هي التي تتحمَّل نتائج هذا أمام الله تعالى.

الزوج لا يستطيع أن يعدِّد، والشرع يحذِّره من المخالفات، والزوجة في هذه الحالة تكون عوناً للشيطان على زوجها في ارتكاب المحرَّمات ـ لا قدَّر الله تعالى ـ وهذا ما يريده دعاة الضلالة.

علِّموا بناتكم ونساءكم دين الله تعالى:

يا عباد الله، إن المرأة التي تهجر زوجها في فراشها، أين صلاتها؟ وأين صومها؟ وأين حجُّها وعمرتها؟ أين تلاوتها للقرآن الكريم؟ بل أين إيمانها بالله واليوم الآخر؟

أما سمعت هذه المرأة أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

يا عباد الله علِّموا نساءكم وبناتكم هذه الأحاديث:

أولاً: روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح».

ثانياً: روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو

امرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها».

أين المرأة المسلمة التي تسمع أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي ما ينطق عن الهوى، وهو الصادق الأمين، يقسم بأنَّ المرأة ملعونة، وساخطٌ عليها ربنا عزَّ وجلَّ، إذا دعاها زوجها إلى فراشه وأبت عليه، أترضى هذه المرأة الانحراف لزوجها؟ أم ترضى أن يتزوَّج عليها؟ أم لا ترضى بهذا ولا ذاك، فماذا يفعل الزوج؟ اتقي الله أيتها المرأة في زوجك.

ثالثاً: روى الحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدي المرأة حقَّ الله عزَّ وجلَّ عليها كلَّه حتى تؤدي حقَّ زوجها عليها كلَّه، حتى لو سألها نفسها وهي على ظهر قتب لأعطته إياه». اعلمي يا أمة الله الغايةَ من الزواج، إنَّ الغايةَ من الزواج هي إحصان الزوج، فاحذري مخالفة أمر الزوج في هذا الجانب، فإنَّ حقَّ الزوج كبير عليك، ولا تجدين حلاوة الإيمان حتى تؤدي حقَّ زوجك وخاصة في فراشه.

احذري يا أختاه من أن يسلك زوجك طريق الفساد لا قدَّر الله تعالى إذا قصَّرت في حقه، فالإسلام حريص على طهارة الأنساب، وسلامة الأبدان، لأنَّ سلوك طريق الفواحش يضيِّع الأنساب، ويهلك الأبدان بالأمراض التي لم تكن في أسلاف هذه الأمة من مرض الزهري، والسيلان، والإيدز والعياذ بالله تعالى.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، تخلَّقوا بأخلاق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وعاملوا نساءكم أنتم أولاً بالأخلاق المحمَّدية، ولا تجعلوا بيوتكم فنادق ومطاعم فقط، لا تجعلوا بيوتكم للراحة فقط إذا تعبت أبدانكم، ولا تجعلوا نساءكم لحوائجكم إذا شعر الرجل بحاجة إلى المرأة، بل تذكَّروا قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «استوصوا بالنساء خيراً» رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وعلِّموا نساءكم حقَّكم عليهنَّ من خلال أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٧)

اعتراض المرأة على تعدُّد الزوجات[١]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ صاحب الدين والخلُق، والملتزم بدين الله، لا يقضي شهوته في طريق غير مشروع، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

التعدُّد جريمة لا تغتفر:

أيها الإخوة الكرام: إذا قصَّرت المرأة في حقِّ زوجها من حيث الفراش، وأراد الرجل أن يتزوَّج بزوجة ثانية ليعفَّ نفسه عن الحرام، فإنَّ القائمة تقوم ولا تقعد أبداً، فإن تزوَّج ثانية حلَّت الطامة، وانقلب المظلوم إلى ظالم، وصار مجرماً، وجريمته لا تغتفر، وصار القاصي والداني، والكبير والصغير، والرجال والنساء، يلومون هذا الرجل المجرم الذي تزوَّج ثانية على زوجته، ووقف أصولها وفروعها وأقاربها في وجه هذا المجرم الذي تزوَّج بثانية.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/٣/٢٢هـ، ٢٠١١/٢/٢٥م.

خطورة على الإيمان من الضياع:

يا عباد الله: إن الحديث اليوم عن تعدُّد الزوجات جريمة كبرى لا تغتفر، وهمجيَّة ورجعيَّة يستحيا منها أمام الشعوب المتحضِّرة، بل لا يجوز أن يخطر في بال الزوج خاطر التعدُّد، وكيف يخطر في باله هذا الخاطر وهو يعيش في عصر التقدُّم والحضارة والدفاع عن حقوق المرأة؟

نعم، يقول المجتمع المتحضر المتمدِّن الذي يدافع عن حقوق المرأة: لا مانع من اتِّخاذ صديقة وخليلة، لا مانع من ارتكاب جريمة الزنى ما دام بالتفاهم مع المرأة، أما أن يتزوَّج بزوجة ثانية بطريق مشروع، فهذه جريمة لا يمكن أن تتصوَّرها المرأة ولا أصولها ولا فروعها.

وليوطِّن الرجل نفسه إن تكلَّم في تعدُّد الزوجات أن ترفع عليه قضية من قبل الاتحاد النسائي، وليحاكم هذا الرجل بارتكابه هذه الجريمة إذ يتحدَّث بها جهاراً نهاراً في الملأ.

أيها الإخوة الكرام المؤمنون:

تساءلوا مع أنفسكم: من الذي شرع تعدُّد الزوجات؟

الجواب على ذلك: إن الذي شرع تعدُّد الزوجات هو القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤]، الذي شرع تعدُّد الزوجات هو الذي حرَّم السفاح واللواطة بين الرجال والسحاق بين النساء، وذلك ضماناً لسلامة المجتمع وطهارته وحفظاً للأنساب. الذي شرع تعدُّد الزوجات هو القائل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾

[طه: ١٢٣-١٢٦]. الذي شرع تعدُّد الزوجات هو الإله الذي يملك سرَّ سعادتك في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة الكرام: لقد أصبح اليوم ما شرعه الله تعالى جريمة منكرة، ولا تغتفر في قانون القوم، وفي ذلك خطورة على إيمان المرأة وعلى إيمان من يحارب فكرة التعدُّد، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أصبح بعض الناس ينظرون إلى الالتزام بدين الله على أنه جريمة كبرى، وأما فعل الكبائر والموبقات من زنى ولواطة وسحاق فلا حرج فيه، وهذا فيه خطر على إيمان المؤمن من الضياع، إذ يحرِّم ما أحلَّ الله تعالى، ويحلُّ ما حرَّم الله تعالى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

أيها الإخوة الكرام: لقد حذَّرنا ربُّنا عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم من أن يلوم إنسان آخر إذا عدَّد الزوجات، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]، لا يُلام من التزم ما أحلَّ الله، ولكن يلام من تعدَّى حدود الله تعالى بارتكاب جريمة الزنى والعياذ بالله تعالى، وكيف يلوم المؤمنُ المؤمنَ وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]؟

ما هو السرُّ في نفور القوم من التعدُّد؟

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لنبحث عن السر في نفور القوم من مسألة تعدُّد الزوجات:

أولاً: ضعف الإيمان بالله هو السبب الأول في نفور بعض الناس من مسألة تعدُّد الزوجات، وذلك بسبب تأثُّرهم من أعداء هذا الدين من خلال الأفلام والمسلسلات التي تشوِّه جمال هذه الحقيقة، والتي تدعو إلى الرذيلة وارتكاب الفاحشة.

ثانياً: من أسباب نفور القوم من التعدُّد الجهلُ بالأحكام الشرعية، والجهل بالحكمة من هذه الأحكام.

الإسلام هو الذي أباح التعدُّد، وذلك لحكم متعدِّدة، من جملتها:

١ـ لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة عانساً بدون زوج.

٢ـ لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة أيِّماً بدون زوج.

٣ـ لا يريد الإسلام أن تبقى امرأة مطلَّقة بدون زوج.

٤ـ الإسلام يريد المرأة أن تكون زوجة شرعاً، وأماً لأولاد شرعيين.

ثالثاً: من أسباب نفور القوم من التعدُّد سوء تعامل الزوج مع زوجاته، وذلك من خلال الظلم والجَور الذي يقع على المرأة، وهذا الذي دفع المرأة لكراهية فكرة التعدُّد، وفي ذلك خطورة على الرجل المسلم، حيث يفضح حاله يوم القيامة بأن يأتي شقُّه مائلاً، كما جاء في الحديث الشريف: «إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقُّه ساقط» رواه الترمذي والحاكم.

رابعاً: من أسباب نفور القوم من التعدُّد تصوُّر التعدُّد بأنه لصالح الرجل وليس لصالح المرأة، وهذا توهُّم، لأن التعدُّد هو في الحقيقة لصالح المرأة قبل أن يكون لصالح الرجل، وذلك لتحمُّل المسؤولية من قبل الرجل.

ولذلك ما كان هذا النفور في سلف الأمة، بل هو في خلفها الآن بسبب الهجمة الشرسة على دين الله تعالى، والطمع في زيادة الفسق والفجور، وعدم رغبة الغرب ببقاء حصن الأسرة قائماً بالشكل المشروع.

يا أختاه احذري الخداع:

أمةَ الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: يجب على المرأة أن تحذر من خداع دعاة الفساد والضلال الذين يريدون الشهوات، ويريدون أن تكون المرأة ألعوبة في يد الرجال، وأن تكون فريسة لهم، لأنهم لا يريدون تحمل مسؤولية الزواج.

هؤلاء حاقدون على الإسلام، هؤلاء لا ينظرون إلا للساعة التي هم فيها، يريدون المرأة لقضاء الشهوة، دون تفكير في شيخوختها وما تؤول إليه عند كبر سنِّها.

يا أختاه: المرأة عند الغرب إذا شاخت وهرمت وانقطع مطمع الرجال فيها هجروها، وصار الوفي الوحيد لها هو الكلب، هل ترضين هذا لنفسك يا أختاه؟

أنت تعلمين يا أختاه حال المرأة المسلمة إذا شاخت في دين الله تعالى حيث تصبح بركة البيت، ويُطلب منها الدعاء، والكلُّ يحاول إرضاءها.

يا أختاه: إن التعدُّد ضرورة اجتماعية، ورحمة بالمرأة، ورعاية لها، لأن الإسلام حريص على عفَّتها وطهارة ذيلها، ومن هذا المنطلق ضمن الإنفاق عليك وأنت بنت، وأنت زوجة، وأنت أم، حتى لا تحتاجي إلى الخروج من المنزل.

يا أختاه: أنت لا تعرفين مكر الرجال الفساق، ولا مكر أهل الفجور، ولذلك قيَّد الإسلام عقد زواجك بوجود وليٍّ أمرك، وهذا والله ليس انتقاصاً لقدرك، بل من أجل سلامتك من كيد الرجال الفساق، لذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا نكاح إلا بوليٍّ» رواه الترمذي. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أيُّما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحلَّ

من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان وليُّ من لا وليَّ له» رواه الترمذي. وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا تزوِّج المرأةُ المرأةَ، ولا تزوِّج المرأة نفسها، فإنَّ الزانيةَ هي التي تزوِّج نفسها» رواه ابن ماجه.

يا أختاه: سلي هؤلاء الذين يحاربون تعدُّد الزوجات: ما هو البديل عن التعدُّد؟ فإن أعطوك البديل الذي يجعلك زوجة شرعية، أو أماً لأولاد شرعيين فأخبرينا. سلي هؤلاء ما هو البديل ـ والمرأة بحاجة إلى رجل ـ؟ لقد خدعوك وربِّ الكعبة.

وصايا لمن عدَّد أو أراد التعدُّد:

أيها الإخوة الكرام: تذكَّروا حديث الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّ رجل من المسلمين على ثغر من ثغر الإسلام، اللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قبلك» رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة.

فيا أيها المسلم الذي تزوَّج أكثر من واحدة، أو يريد التعدُّد، اسمع لهذه النصائح حتى لا تكون سبباً في الإنكار على دين الله عزَّ وجلَّ:

أولاً: المساواة التامَّة والعدل بين الزوجات، وهذا واجب شرعاً على الزوج، وليس من باب التفضُّل. ويجب أن يكون العدل في المنشط والمكره، وفي الرضا وفي الغضب، وإلا وقع في الظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

ثانياً: عدم نقل الحديث عما يحدث بينه وبين إحدى زوجاته للثانية، لأن هذا يغيظها.

ثالثاً: الدفاع عن زوجته إذا ذكرتها ضرَّتها، وليعلمها أنه لا يسمح لها بذكر ضرَّتها، كما لا يسمح لضرَّتها بذكرها في غيبتها.

رابعاً: أن لا يؤدِّب إحدى زوجاته أمام ضرَّتها.

خامساً: أن يعالج الأمور بين نسائه بحكمة. ورائده في ذلك حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: علِّموا بناتكم قبل الزواج، ونساءكم، أن تتقي المرأة ربَّها عزَّ وجلَّ في زوجها، وأن لا تدفعه إلى الزواج بثانية، بسبب تقصيرها في حق زوجها من حيث الفراش.

وإن تزوَّج الرجل فيحرم على الزوجة أن تلومه، وكذلك يحرم على أصولها وفروعها هذا، لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦].

وأخيراً أذكر لكم حكمين شرعيين في هذا الموضوع:

الأول: إنَّ رفع دعوى على الزوج من قبل الزوجة لتثبيت عقد زواجها عند القاضي، وفي الحقيقة ما تمَّ العقد بينهما، هو تثبيت باطل شرعاً لا أثر له ديانة، وإن ثبت في القضاء أنهما زوجان.

الثاني: تزويج المرأة لنفسها بغير إذن وليِّها هو زواج باطل، وإن كان ولا بدَّ من إجراء العقد بدون وليٍّ، لسبب مبرِّر ومقبول، فليكن هذا العقد عند القاضي الشرعي، لأنه وليُّ من لا وليَّ له.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٨)

طلب طلاقها أو طلاق ضرَّتها[١]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ من أسباب الخلافات الأسرية التي تكون الزوجة فيها سبباً، اعتراض الزوجة أو أهلها على التعدُّد، وذلك إذا تزوَّج الرجل زوجة ثانية على زوجته، حيث تقوم قائمة الزوجة مع أصولها وفروعها ومن يلوذ بها، وفي هذا الاعتراض خطر على إيمانها وإيمان كلِّ من يعترض على مسألة التعدُّد، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ومن جملة ما قضى الله ربنا قولُه تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣].

احذروا مداخل الشيطان:

أيها الإخوة الكرام: عندما تعترض الزوجة على مسألة التعدُّد، ويعترض أصولها على ذلك، وتحدث المشاكل من خلال هذا، أقول لوليِّ الزوجة الذي اتَّخذ الموقف من زوج ابنته: هل تذكر صيغة عقد الزواج التي كانت بينك وبينه؟ هل تذكر أنك زوَّجته على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/٣١١/٢٩هـ، ٢٠١١/٣/٤م.

آله وصحبه وسلم؟ هل خالف زوج ابنتك كتاب الله تعالى في تعدُّده؟ أم ابنتك هي التي خالفت؟ أيُّهما الظالم الذي يؤخذ على يديه؟ وأيُّهما المظلوم الذي يجب أن نقف معه؟

يا عباد الله: إن الاعتراض على حكم من أحكام الشريعة يجعل للشيطان مدخلاً وسبيلاً على المعترض، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]. فالشيطان سلطانه على أهل المعاصي، وخاصة على المعترضين على الأحكام الشرعية.

وإنَّ أقصى ما يتمناه الشيطان هو التفريق بين الأزواج، لأنَّ التفريق بين الأزواج هو التفريق بين الأمة كلِّها، لأنَّ الأسرة هي نواة المجتمع، وهذا ما أكَّده لنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نِعْمَ أنت» رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وإذا تدخَّل الشيطان في هذه القضية حرَّك إخوانه من شياطين الإنس، قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وإني أقول لهؤلاء الذين يعترضون على مسألة التعدُّد من عالم الإنس: اسمعوا يا من يحرِّض المرأة على الشقاق إذا تزوَّج زوجها عليها، ماذا يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «خيار عباد الله الذين إذا رُؤُوا ذكر الله، وشرار عباد الله المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبة، الباغون البرآء العنت» رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه.

هل سمع هذا النمَّام المفرِّقُ بين الأحبة حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل سمع هذا الذي يحرِّض المرأة على الشقاق وطلب الطلاق هذا الحديثَ الشريف؟ وهل يرضى أن يكون هذا وصفه؟

المعصية تجرُّ أخرى:

أيها الإخوة الكرام: اعلموا بأن المعصية تجرُّ للعبد معصية أخرى، كما أن الطاعة تجرُّ للعبد طاعة أخرى، عندما تعترض الزوجة ومن معها على مسألة التعدُّد، فإنَّ هذا الاعتراض معصية يجرُّ إليهم معصية أخرى ألا وهي مسألة طلب الطلاق، إما طلاق الزوجة الأولى أو طلاق الزوجة الثانية.

طلب الطلاق من غير بأس معصية:

أيها الإخوة المؤمنون: إنَّ الجهل في دين الله عزَّ وجلَّ يوقع العبد في المعاصي من حيث يدري ومن حيث لا يدري، ومن جملة الجهلِ الجهلُ في أحكام الطلاق. يجب علينا أن نعلم الأمور التالية:

أولاً: الطلاق حلال، ولكنه ليس محبوباً عند الله تعالى إذا كان من غير مبرِّر شرعي مقبول، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق» رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما.

هذا إذا استُخدِم في غير محله، لأنَّ الطلاق الذي شرعه الله تعالى هو في الحقيقة شُرع لداء استعصى حلُّه على الزوجين، وإن التعدُّد ليس بداء، بل هو دواء.

ثانياً: الحياة الزوجية لا تخلو من منغِّصات، لأنَّ الرجل ما تزوَّج معصومة، والمرأة ما تزوَّجت معصوماً، وهذا ما أكَّده النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: «كلُّ ابن آدم خطاء، وخير الخطَّائين التوَّابون» رواه الإمام الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فإذا تزوَّج الرجل ثانية فيجب على المرأة أن لا تقع في خطأ جسيم وكبير،

ألا وهو طلب الطلاق من زوجها، لأنَّ هذا لا يجوز شرعاً، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أيُّما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة» رواه الترمذي عن ثوبان رضي الله عنه، وفي رواية الحاكم في المستدرك عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أيُّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، حرم الله عليها أن تريح رائحة الجنة». من يرضى هذا الحرمان لنفسه أو من يلوذ به؟

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «المختلعات والمنتزعات هنَّ المنافقات». وفي رواية الإمام البيهقي: «إنَّ المختلعات هنَّ المنافقات». يعني هذا من أفعال المنافقين الذين تباينت أقوالهم عن أفعالهم، أما المؤمن فلا؛ المؤمن والمؤمنة تطابقت أقوالهم مع أفعالهم، ولا يخرجون عن حدود الشريعة قيد أنملة، وإنَّ طلب الطلاق بسبب التعدُّد لا يجوز شرعاً، المؤمن والمؤمنة يقولان للأحكام الشرعية: سمعنا وأطعنا، أما المنافق والمنافقة فيقولان: سمعنا وعصينا.

طلب طلاق الضرَّة حرام شرعاً:

أيها الإخوة الكرام: من الجهل في أحكام الطلاق، أن تطلب المرأة أو من يلوذ بها أن يطلِّق الزوج ضرَّة زوجته، وهذا حرام شرعاً، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، ولتنكح فإنَّ لها ما قُدِّر لها» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يحلُّ لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها، فإنَّما لها ما قدِّر لها».

العلة في هذا:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام حريص كلَّ الحرص على سلامة المجتمع

وطهارته، الإسلام لا يريد أن تبقى امرأةٌ عانساً، ولا امرأةٌ أرملةً، ولا امرأةٌ مطلقةً، وإلا عاث الفساد في المجتمع، ولا يسع المرأةَ إلَّا ما شرعه الله تعالى، وإنَّ بقاءها في عصمة زوجها إذا عدَّد خير لها من الطلاق، والواقع أكبر شاهد على ذلك.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: لنعلِّم نساءنا وبناتنا أنَّ التعدُّد هو لصالح المرأة قبل أن يكون لصالح الرجل، والمرأة التي تَضِيقُ ذرعاً من مسألة التعدُّد، لتنظر إلى أمهاتنا أمهات المؤمنين، فلقد تزوَّج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعدَّد نساءه، ألا يكفي المرأةَ شرفاً أن تكون أمهاتُ المؤمنين أسوةً صالحة لها؟ وعارٌ على المرأة المسلمة أن تجعل من المرأة الغربية أو الشرقية غير المسلمة قدوةً لها.

يا عباد الله: إنَّ الإسلام حذَّر المرأة أن تطلب طلاق نفسها إذا عدَّد زوجُها النساء، كما يحرم عليها طلب طلاق ضرَّتها، وإلا فلا تشمُّ رائحة الجنة، إذا كان طلب طلاقها من غير مبرِّر.

أما إذا كان الرجل لم يعدل بين نسائه، وأخذت المرأة تتضرَّر بسبب جَوْرِ زوجها وظلمه لها، ولم تبق عندها المقدرة على الصبر، وخشيت على نفسها من الوقوع في عقوق زوجها، أو خشيت على نفسها من الفتنة في دينها لا قدَّر الله تعالى، فلا حرج عند ذلك من طلب الطلاق والله تعالى أعلم.

أسأل الله تعالى أن يبصِّرنا بأحكام ديننا، وأن يجعلنا من الوقَّافين عند حدود الله تعالى، وأن لا يحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، إنه خير مسؤول وخير مأمول.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(٩)

تدخُّل الزوجة في شؤون زوجها المالية[١]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد فطر الله عزَّ وجلَّ الإنسان على حبِّ المال، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]. وقال جلَّت قدرته: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

ويقول النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب وفضة لابتغى إليهما آخر، ولا يملأ بطن ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» رواه الإمام أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وقال بعضهم: المال شقيق الروح، وكأنَّ هذا مشتقٌّ من قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من قُتِل دون ماله فهو شهيد» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. الإنسان يحبُّ المال ويعشقه بالفطرة، وهذا النوع من أنواع الاختبار والابتلاء له، ويجب عليه أن يطهِّر قلبه من حبِّ الدنيا بكلِّ صورها، والتي من جملتها حبُّ المال، وأن لا يكون هو الشاغل له.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٦/٤/١٤٣٢هـ، ١١/٣/٢٠١١م.

تدخُّل الزوجة في شؤون زوجها المالية:

أيها الإخوة الكرام: من خلال هذه المقدِّمة، أقول:

إنَّ من أسباب الشقاق والخلاف في الحياة الزوجية تدخُّل المرأة في شؤون زوجها المالية، وكم من مشكلة وقعت في الأسرة لهذا السبب، وبعض المشاكل وصلت إلى طلاق المرأة، وتهديم الأسرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

صور تدخُّل الزوجة في شؤون زوجها المالية:

يا عباد الله، بعض النساء إذا شعرت وعلمت بأنَّ زوجها ينفق من ماله على والديه صلة ومحبة، وينفق على إخوته وأخواته تقرُّباً إلى الله تعالى، فإنَّ قائمة هذه الزوجة تقوم ولا تقعد، وتعترض أشدَّ الاعتراض، وتُحدث المشاكل بينها وبين زوجها لهذا السبب، وتتذرَّع بالأمور التالية:

أ ـ نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تأمين السكن وتوسيعه.

ب ـ نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تغيير أثاث البيت.

ج ـ نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تأمين مستقبل أولادنا.

د ـ نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل تزويج أبنائنا وبناتنا.

هـ ـ نحن بحاجة إلى جمع المال من أجل أن تشتري لي بيتاً وسيارة.

تحاول هذه المرأة جاهدة أن تصرف زوجها عن النفقة على والديه وإخوته وأخواته.

أقول لهذه المرأة: يا أختاه، تذكَّري أساس عقد الزواج، أنَّ العقد كان على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فهل هذا التدخُّل بإذن من الله تعالى ومن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ هل هذا التدخُّل يرضي الله عزَّ وجلَّ ويُرضي رسولَ الله صلى

الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟ أما تحفظين قول ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: من علامات النُّجح في النهايات، الرجوع إلى الله في البدايات؟ ومن لم يرجع إلى الله في بداياته، كان خاسراً في نهاياته.

يا أختاه: هل تذكرين حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إن إعطاء الرجل لأبويه أو لإخوته هذا أمر خاصٌّ به، وهو مسؤول عنه يوم القيامة، بشرط أن لا يكون هذا العطاء على حساب الواجب الذي ألقاه الله تعالى على عاتقه نحو الزوجة وأولاده.

يا أختاه: أما تعلمين بأنَّه من الواجب على الولد أن يكون بارّاً بوالديه، وأن يصل رحمه، ومن البرِّ والصلة العطاء، وخاصة إذا كانوا بحاجة؟

الإسلام ربَّى الأبناء على برِّ الوالدين والإحسان إليهما، كما ربَّى على صلة الأرحام، والمرأة السعيدة هي التي تكون عوناً لزوجها على برِّ الوالدين، وصلة أرحامه، والشقيَّة ـ لا قدَّر الله تعالى ـ هي التي تحرِّض على عقوق الوالدين وقطيعة الرحم.

يا أختاه: تذكَّري أنك ستكونين أماً لأولاد، وسوف تزوِّجي أبناءك، فهل ترضين أن تُعامَلي من قبل أبنائك ونسائهم، كما أنت تطلبين من زوجك أن يتعامل مع والديه؟ وهل ترضين أن يتعامل أبناؤك مع بعضهم البعض، كما تطلبين من زوجك أن يتعامل مع إخوته؟

كوني على حذر أن يكون عندك مكيالان، مكيال لأبوي زوجك، ولإخوته، ومكيال لنفسك ولأبنائك، تذكَّري قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ

أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفِّفين: ١-٦].

حرِّضي يا أختاه زوجك على برِّ والديه والصلة لهما، وحرِّضيه على صلته للأرحام، وخاصة الإخوة والأخوات، وحرضيه على الإنفاق عليهما وعليهم من غير مضرَّة لك ولأبنائك.

وتذكَّري وذكِّريه بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما نقص مال عبد من صدقة» رواه الترمذي عن أبي كبشة وقال: حسن صحيح.

أخذ المرأة من مال زوجها بدون علمه:

أيها الإخوة الكرام: بعض النساء تتعدَّى على حقوق الزوج في أموره المالية، فتأخذ منه بدون علمه، وهذا نوع من أنواع الخيانة الزوجية ـ إلا في حالات استثنائية ذكرها الفقهاء ـ.

هذه المرأة، هل نسيَتْ قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله» رواه أبو داود وابن ماجه؟

والأسوأ من ذلك، عندما تأخذ المرأة من بيت زوجها لتدفع ذلك لأهلها بدون علم زوجها، وهذا نوع من أنواع السرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، وكيف يرضى أهلها بذلك، وهم يذكرون قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]؟

أنسيَتْ هذه الزوجة وأهلها حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به» رواه الترمذي؟ وهذا الأخذ من مال الزوج بدون علمه هو أمر غير مشروع، وهو يؤدي إلى خلاف أسري.

طلبها من زوجها المال بغير حق:

أيها الإخوة الكرام: من الأسباب التي تجعل الخلاف بين الزوجين طلب الزوجة المال من زوجها بغير حقِّها، متذرِّعة بتأمين مستقبلها، وكأنَّها تضمن لنفسها الحياة بعد زوجها، مع العلم بأنَّ حقَّ المرأة على زوجها طعامها وشرابها ولباسها وسكنها، وهذا الأمر يؤدي إلى نشوب الخلاف بين الزوجين، والمرأة ليس لها مستند شرعي في ذلك.

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلِّم نساءنا وبناتنا هذه الأحكام الشرعية، لنضمن لأنفسنا سعادة الدنيا والآخرة.

كن على حذر من التدخُّل في شؤون زوجتك المالية:

أيها الإخوة الكرام: كما أنه لا يحقُّ للزوجة أن تتدخَّل في شؤون زوجها الماليَّة، كذلك لا يحقُّ للرجل أن يتدخَّل في شؤون زوجته الماليَّة.

هناك من الأزواج من يتدخَّل في شؤون زوجته المالية من تركة أو مرتَّب أو ذهب، ويغضب إن تصرَّفت في مالها، وخاصة إذا أعطت لأهلها منه شيئاً.

يا أخي الكريم، إذا كنت تغضب من تصرُّف زوجتك في مالها الخاص بها، فلا تستغرب أن تغضب زوجتك في تصرُّفاتك الماليَّة الخاصَّة بك.

وهناك من الأزواج من يتلفَّظ بأيمان الطلاق والحرام ليقيِّد زوجته في أمورها الماليَّة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: كونوا قدوة صالحة لنسائكم، ولا تتدخَّلوا في أمورهنَّ الخاصَّة بهنَّ، وخاصة الماليَّة، وتلطَّفوا إليهنَّ إذا تدخَّلن في شؤونكم، ولنحفظ جميعاً قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [المُلك: ٢].

وختاماً يا أختاه اتقي الله في زوجك، فهو جنَّتك ونارك، ولا تتدخَّلي في أموره المالية، وكوني صاحبة خلق حسن، فالخلُق الحسن ما وُجد في شيءٍ إلا زانه، وما فُقد من شيءٍ إلا شانه.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مشاكل أسرية تكون الزوجة فيها سبباً(١٠)

سوء الظن بزوجها[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ أشدَّ الآفات فتكاً في الأسرة والمجتمع سوء الظن، بسوء الظن يُقضى على روح الألفة، وتُقطع المودَّة، وتتولَّد الشحناء والبغضاء، وتنقلب الأسرة والمجتمع إلى جحيم وشقاء.

سوء الظن لا يصدر إلا من مرضى القلوب، الذين لا ينظرون إلا بمنظار أسود، الكلُّ عندهم مُدان ومتَّهم، وكما قالوا: يظنُّون بالآخرين كما يظنُّون بأنفسهم.

هؤلاء أسوتهم ذاك الرجل الذي بلغ به سوء الظن إلى أن يظنَّ بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ظناً سيّئاً، عندما قال بعد تقسيم الغنائم: (والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله) رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

هذا شأن وحال مرضى القلوب، أما القلوب السليمة الصافية النقيَّة فهي

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٣/٤/١٤٣٢هـ، ١٨/٣/٢٠١١م.

التي تُحسن الظنَّ، وتلتمس الأعذار لغيرها، كما قال بعضهم: إني لألتمس لأخي المعاذير من عُذرٍ إلى سبعين، ثم أقول: لعلَّ له عذراً لا أعرفه.

حسن الظنِّ من شيم الكرام، من شيم أصحاب القلوب النقيَّة، أما سوء الظنِّ فهو من شيم اللئام، من شيم أصحاب القلوب المريضة التي ابتدأت بسوء الظنِّ بالله، حتى وصلت إلى سوء الظنِّ بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والأخطر من هذا كلِّه سوء الظنِّ بالله تعالى، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

سوء ظنِّ الزوجة بزوجها:

أيها الإخوة الكرام: ما زال حديثنا عن المشاكل الأسريَّة التي تكون المرأة فيها سبباً.

من أسباب الشقاق والخلاف بين الزوجين سوء ظنِّ الزوجة بزوجها، إن تأخَّر الزوج عن البيت قليلاً أساءت الظنَّ به، إن رأته يتحدَّث على الهاتف بصوت منخفض أساءت الظنَّ به، إن رأته متطيِّباً متعطِّراً أساءت الظنَّ به، إن رأته شارداً بذهنه أساءت الظنَّ به، إن سافر مع صديق له أساءت الظنَّ به، إن ذهب بنزهة أساءت الظنَّ به، وهكذا...

وعندما يكون هكذا حالها، فإنها تجعل المشاكل في الأسرة، بل تقلب الحياة الأسريَّة إلى شقاء وجحيم، وربما أن يصل الأمر إلى الطلاق، ويُتْمِ الأطفال، بعد أن تُرَمِّل نفسها.

النساء أمانة في أعناقنا:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ النساء أمانة في أعناقنا، يجب علينا أن نتعلَّم الكتاب والسنة، وأن نعلِّم هذا لبناتنا وأخواتنا، ونسائنا ومحارمنا، روى

البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «كلُّكم راع ومسؤول عن رعيته» وعدَّ منهم: «والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته».

جهل نسائنا طامَّة عليهنَّ وعلينا، وربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أيَّتها الزوجة الكريمة:

أيها الإخوة الكرام، خاطبوا نساءكم، وقولوا للواحدة منهنَّ: أيتها الزوجة الكريمة، تعالي واسمعي كلام الله تعالى وكلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أولاً: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحُجُرات: ١٢]. اتركوا الظنَّ الكثير حتى لا تقعوا في الظنِّ السيئ الذي يوقعكم في الإثم.

ثانياً: يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٨]. لا يجوز للمسلم ولا للمسلمة أن يبني قراراته وأحكامه على أساس من الظنِّ السيئ، كم من امرأة حكمت واتخذت القرار السيئ بناء على ظنٍّ سيئ؟

ثالثاً: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عبادَ الله إخواناً».

سوء الظنِّ يفسد العلاقة الزوجية، ويفسد علاقة الآباء بالأبناء، ويفسد علاقة الإخوة بالأخوات، ويفسد علاقة الأفراد بالأفراد.

رابعاً: يا أختاه الإسلام جاء ليعلِّمنا حسن الظنِّ، لأنَّ فيه سلامتَنا دنيا وأخرى، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حُمر، قال: «هل فيها من أَوْرَق؟» قال: نعم: قال: «فأنَّى كان ذلك؟» قال: أراه عِرْق نزعه، قال: «فلعل ابنك هذا نزَعه عِرْق».

انظروا أيها الإخوة كيف عالج الإسلام هذه المشكلة، لأنَّ كلام الرجل هذا كلامٌ مُبَطَّنٌ، فيه اتهام للزوجة بطريق غير مباشر، ولا دليل عنده ولا برهان.

لقد ردَّه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إلى حسن الظن الذي فيه سلامة دينه وآخرته، وذلك بضرب المثل الواقعي، ولا غرابة أن يكون هذا السواد الذي أصاب الولد هو من أصول أبيه، أو أصول أمه.

سوء الظنِّ كبيرة من الكبائر:

أيها الإخوة الكرام: علِّموا نسائكم ومحارمكم أنَّ سوء الظنِّ بشكل عامٍّ، وبالزوج خاصةً من قبل الزوجة، كبيرةٌ من الكبائر، وهذه الكبيرة توقع المرأة في كبائر أخرى، منها:

أولاً: بسوء الظن تحتقر المرأة زوجها والعياذ بالله تعالى، واحتقار المسلمين بشكل عام لا يجوز، فكيف بالمرأة التي تحتقر زوجها، وهي تعلم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لو كنت آمراً بشراً يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ثانياً: بسوء الظن تقصِّر المرأة في واجباتها نحو زوجها، وهذا ما يفسد

العلاقة بينهما، وكم من امرأة قصَّرت في حقِّ زوجها بسبب سوء ظنِّها، فبات زوجها عليها غضبان، وبذلك تلعنها الملائكة ومن في السماء؟

ثالثاً: بسوء الظنِّ يطول لسان الزوجة على زوجها بالإيذاء له، وكلُّنا يعلم حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، عندما ذُكرت عنده المرأةُ التي تُكثر من الصلاة والصيام، إلا أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «هي في النار» رواه الإمام أحمد.

هذا إذا كان في حقِّ جيران المرأة، فكيف بمن تؤذي زوجها بلسانها؟

رابعاً: بسوء الظنِّ تقع المرأة في التجسُّس على زوجها، وتتبُّع عوراته، والنبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حذَّر من هذه الكبيرة بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتَّبع عوراتهم يتَّبع الله عورته، ومن يتَّبع الله عورته يفضحه في بيته» رواه الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

انظروا أيها الإخوة الكرام، إلى هذه الكبيرة التي جرَّت من ورائها كبائر وموبقات ومهلكات، وقد يؤدي هذا إلى إفلاس العبد يوم القيامة.

لو أحسنت المرأة ظنَّها لكان خيراً لها، لأنَّ حسن الظنِّ تؤجر عليه يوم القيامة، وإن كانت الحقيقة خلافَ ذلك، أما سوء الظنِّ فقد يوقعها في الإثم يوم القيامة إذا كانت الحقيقة خلاف ذلك، وصدق الله القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجُرات: ١٢].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: طوبى للمرأة لو اشتغلت بعيوب نفسها فأقبلت على إصلاحها، ورحم الله من قال: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الآخرين.

طوبى للمرأة التي تقرأ القرآن بتدبُّر، وكذلك أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم التي تحضُّ على حسن الظنِّ بالآخرين، وطوبى للمرأة التي استحضرت الوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وهي تتذكَّر قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفِّفين: ٤-٦].

وإذا وقعت المرأة في سوء الظنِّ نحو زوجها فعليها أن تتفكَّر في هذه الكلمات التي ذكرناها، فإن لم تستطع على حسن الظنِّ فلا أقلَّ في أن لا تعمل بسوء الظنِّ، وذلك باتخاذ القرارات وإصدار الأحكام على زوجها، حتى لا تقع في الإثم الذي يجعلها لا قدَّر الله تعالى في نار جهنم، إذا لم يسامحها زوجها، ولم يغفر لها ربُّنا عزَّ وجلَّ.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرزقنا حسنَ الظنِّ بالله تعالى، وحسنَ الظنِّ بالناس.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كيفية معالجة نشوز المرأة(١)[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لقد جاءنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بشرع يعلِّمنا من خلاله الإحسانَ بين الزوجين، والمعاشرة بالمعروف بينهما، ويحذِّر من التسرُّع في الطلاق، لأنه كارثة على الأسرة، به تنهار البيوت على من فيها، فيعيش الأبناء كأنهم يتامى، وتعيش المرأة كأنها أرملة، ولأنَّه يؤدي إلى شقاق وخلاف لا بين الزوجين فقط، بل بين العائلتين المتصاهرتين.

جاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليعلِّم الأمة ـ ورجالها خاصة ـ كيف يكون علاج نشوز المرأة، وجعل الطلاق آخرَ علاج، وذلك إذا استعصت الأمور، وجعل للطلاق آداباً وشروطاً.

اعلم قبل الشروع في معالجة النشوز:

أيها الإخوة الكرام: يجب على الرجل قبل أن يعالج المشاكل الأسريَّة، وقبل أن يعالج نشوز المرأة عليه، أن يتذكَّر قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢٠/٤/١٤٣٢هـ، ٢٥/٣/٢٠١١م.

أيها الرجل، أيها الزوج الكريم! تدبَّر هذه الآية تدبُّراً جيداً، لقد رفعك الله تعالى على الزوجة درجة، فجعلك القائد والأمير، وجعلك سيداً في بيتك، بما فضَّلك الله تعالى من قوة في العقل والجسد، وقيام بالنفقة.

ولكن يجب عليك أن تعلم بأنَّ هذا الرفع هو رفع تكليف، لا رفع تشريف وتكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات: ١٣]، فالأكرم والأشرف والأفضل هو الأتقى.

هذا الرفع على المرأة هو في الحقيقة نوع من أنواع الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

هذا الرفع لا من أجل أن يكون الرجل فرعونياً في بيته ظالماً جباراً، هذا الرفع اختبار وابتلاء، وقد جسَّد ذلك سيدنا سليمان عليه السلام بقوله: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

النساء على قسمين:

أيها الإخوة الكرام: يجب على هذا الرجل الذي رفعه الله تعالى درجة، أن يعلم بأنَّ الله تعالى قسم النساء في القرآن العظيم على قسمين، وعرَّف الرجل كيف يتعامل مع كلِّ قسم منهنَّ.

القسم الأول: النساء الصالحات الطائعات:

قال الله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. هذا القسم من النساء هنَّ العاملات بالخير، المراعيات حقَّ الله

تعالى، ثم حقَّ الأزواج، هنَّ اللواتي أصلحن العلاقة فيما بينهنَّ وبين الله عزَّ وجل، وبينهنَّ وبين أزواجهنَّ.

هنَّ القانتات الطائعات لأمر الله تعالى، ولأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ثم لأمر أزواجهنَّ في غير معصية لله تعالى.

هنَّ الحافظات لحدود الشرع في الغيبة والحضور، في السرِّ والعلن، والحافظات لأسرار البيوت، فلا يفشينه لأقرب الناس إليهنَّ، والحافظات لأعراضهنَّ في غياب الزوج، وكذلك لماله.

هذا القسم هنَّ خير النساء اللواتي قال عنهنَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» رواه أبو داود. وفي رواية لابن ماجه: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرَّته، وإن أقسم عليها أبرَّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله».

أيها الزوج الكريم: تعاملْ مع هذا القسم من النساء من خلال قول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ومن خلال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

تعامل مع هذا القسم بالفضل لا بالعدل، أعطها أكثر من حقِّها، أحسن إليها في كلِّ شيء، تكريماً لها وتودُّداً ووفاء ومكافأة.

القسم الثاني: النساء الناشزات العاصيات المتمرِّدات:

والمرأة الناشز هي التي ارتفعت واستعلت على زوجها بجمالها أو مالها أو حسبها أو علمها، أو بأيِّ نعمة من النعم التي أسبغها الله تعالى عليها.

وإني أقول لهذه المرأة: يا أختاه، ما حباك الله تعالى إياه من نعم هو في الحقيقة اختبار، كما كان الرفع للرجل على المرأة درجةً اختباراً وابتلاء.

تذكَّري يا أختاه قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢]، فلا تجعلي نعمة الله تعالى عليك سبباً للاستكبار والاستعلاء، وخاصة على الزوج الذي هو جنَّتك ونارك.

يا أختاه: النشوز كبيرة من الكبائر، ومعصية لله عزَّ وجلَّ، وهو حرام على المرأة المسلمة، لأنه يولِّد الشحناء والبغضاء، ويوجب النفور بين الزوجين، ويُلحق البلاء بالزوجين، ويؤدي إلى ضياع الأولاد، ووجود الأسوة السيئة بينهم.

كيف يعالَج نشوزُ المرأة؟

أيها الإخوة الكرام: لقد رسم لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ ـ الذي يعلم طبيعة الرجل والمرأة ـ طريقَ معالجة نشوز المرأة، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

أيها الزوج الكريم: قالوا: درهم وقاية خير من قنطار علاج، عالج نشوزَ المرأة قبل وقوعه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، عليك بمراقبة الزوجة، فإذا رأيت منها بوادر الاستعلاء والتمرُّد، وبوادر العصيان ومخالفة الأمر، فعالج ذلك بالطريق الذي رسمه الله تعالى لك، ألا وهو الموعظة الحسنة.

عالج نشوز المرأة بالطريق الذي رسمه الله لك لتضمن سلامة الدنيا والآخرة، لأنَّ الكلَّ مرجعه إلى الله تعالى، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

احذر أن تعالج نشوز المرأة من غير هذا الطريق الذي أوضحه الله عزَّ وجلَّ لك، لأنَّ في ذلك خسارة لدنياك وآخرتك.

عالج نشوز المرأة بالموعظة الحسنة، والموعظة الحسنة هي التي تنبع من قلب شفوق رحيم، بأسلوب حسن لطيف، كما أرشد الله عزَّ وجلَّ إلى ذلك سيدَنا موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

لأنَّ الأسلوب الفظَّ الغليظ مرفوض، وهو سبب من أسباب النفور، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لتكن موعظتك بليغة تنفذ إلى القلوب وتحرِّكها، ويظهر أثر ذلك على العين حين تذرف خوفاً وخجلاً وحباً وتقديراً.

وهذا بعض أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظةً بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب) رواه الترمذي.

ومن صور الموعظة الحسنة:

١ـ ذكِّرها بآيات الله تعالى في القرآن العظيم، وبأحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، التي تحرِّضها على القيام بواجباتها نحو زوجها.

٢ـ ذكِّرها بثمرة الوفاق بينك وبينها، وذلك من خلال تربية الأبناء الذين يكونون ذخراً لكم في الدنيا والآخرة.

٣ـ ذكِّرها بالوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، الذي يعلم السر وأخفى، وبأن الله تعالى سائل كلًّا من الزوجين عن حقِّ صاحبه.

٤ـ ذكِّرها بأنَّ الطلاق دمار للأسرة، وتيتيم للأطفال، وإفساد للأسرة التي هي نواة المجتمع، فبصلاحها صلاح الأسرة وبفسادها فساد الأسرة.

هذه الأسرة أمانة في عنق الزوجين، فدرِّب نفسك أيها الزوج الكريم على القول الحسن، على القول بالمعروف، على القول الذي يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

درِّب نفسك على قول لا تندم من بعده، ولا يلجئك إلى الاعتذار.

أسأل الله تعالى أن يحفظ الجميع من جميع الفتن، وأن يصلح أحوال بيوت المسلمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كيفية معالجة نشوز المرأة(٢)[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

من خلال قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] نعلم بأنَّ الله تبارك وتعالى خلق الزوجين الذكر والأنثى، وربط بينهما برباط شرعي ألا وهو الزواج الذي سنَّه لنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما سنَّه الأنبياء والمرسلون من قبل.

شرع ربُّنا عزَّ وجلَّ الزواج، وأراد بذلك تحقيق السكن للزوجين، وهدوء الأعصاب، وطمأنينة الروح، وراحة الجسد، ثم جعله ستراً وإحصاناً وصيانة، ثم مزرعة للنسل، وامتداداً لحياة الزوجين، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

القوامة للرجل بأمر الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: ربُّنا عزَّ وجلَّ الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢٧/٤/١٤٣٢هـ، ١/٤/٢٠١١م.

به نفسه، ويعلم ظاهره وباطنه، لم يجعله معصوماً، بل جعل العصمة للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فقط، وما عداهم خطاء، كما جاء في الحديث الشريف: «كلُّ ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون» رواه الإمام أحمد والترمذي.

وصيانة للأسرة من التفكُّك والضياع، جعل القوامة بيد الرجل قوامة تكليف لا تشريف، فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤]، وجعل حقَّ تأديب الزوجة الناشز لزوجها، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، وهذا من أجل سلامة الأسرة التي هي نواة المجتمع، ومن أجل سلامة دين المرأة ودنياها وآخرتها.

ربُّنا عزَّ وجلَّ شرع حقَّ التأديب كإجراء وقائيٍّ عند خوف نشوز المرأة للمبادرة بالإصلاح، لا لزيادة إفساد القلوب، وملئها بالبغض والحقد والحنق.

حقُّ التأديب ليس معركة بين طرفين:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ حقَّ التأديب الذي أعطاه ربنا عزَّ وجلَّ للرجل ليس من أجل إنشاء معركةٍ بين الرجل والمرأة، يُراد من خلال هذا الحق تحطيم رأس المرأة حين تهمُّ بالنشوز، لا أبداً، لأنَّ المرأة مكرَّمة في دين الله عزَّ وجلَّ، وما بين الرجل والمرأة هو تكامل لا تنافر وتباين، الرجل يكمِّل المرأة، والمرأة تكمِّل الرجل.

المراد من هذا التأديب بشروطه أن ترجع المرأة إلى جادَّة الصواب، من أجل سلامة دينها ودنياها وآخرتها، وطبعاً هذا لا يفقهه من الرجال إلا من فهم دين الله عزَّ وجلَّ، أما الذي لا يفقه دين الله تعالى، فقد يظنُّ أنَّ الله

تعالى أعطاه حق التأديب، من أجل أن يحطِّم رأس المرأة وأن يذلَّها، والعياذ بالله تعالى.

كيف يعالج نشوز المرأة:

أيها الإخوة المؤمنون: إنَّ أول طريق لمعالجة نشوز المرأة هو الموعظة، وأن تكون هذه الموعظة من خلال قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. وتأديب المرأة الناشز هو نوع من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من أجل سلامة دين المرأة، ومن أجل سلامة دنياها وآخرتها.

والموعظة يجب أن تتحقَّق فيها شروط النصيحة، وهي:

أولاً: أن تكون النصيحة والموعظة سراً.

ثانياً: أن تكون بلطف من الناصح والواعظ للمنصوح.

ثالثاً: أن تكون بدون استعلاء من الواعظ الناصح على المنصوح.

ولكن قد لا تنفع الموعظة لأنَّ هناك هوىً غالباً، أو انفعالاً جامحاً، أو استعلاءً بجمال، أو بمال، أو بمركز عائلي، أو بقيمة من القيم، تنسي الزوجة أنها شريكة لزوجها في هذه الأسرة، وليست ندَّاً له في صراع ومقاومة، وإثبات وجود، عند ذلك ينتقل الزوج إلى الطريق الثاني من طرق التأديب.

الهجر في المضجع وشروطه:

أيها الإخوة الكرام: يقول تبارك وتعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤]. والمضجع: هو موضع الإغراء والجاذبية الذي تبلغ المرأة فيه قمة سلطانها، ومن خلاله تتحكَّم بزوجها.

وإذا لم تتعظ بالموعظة ولم تنفعها ينتقل الزوج إلى الهجر في المضجع.

وهذا يعني أنَّ الزوج يهجر زوجته في الفراش فقط لا في البيت، ولا في الحجرة الخاصَّة به وبزوجته، ينام بجانبها ويوليها ظهره.

لماذا الهجر في المضجع فقط؟

أولاً: حتى لا تفضح ما بينك وبين زوجتك للآخرين، ولو كانوا من أقرب الناس إليك.

ثانياً: حتى لا تزيد في عنادها، لأنَّك إن هجرت في البيت فضحتها، وإذا علم من حولك أنَّك تنام لوحدك، فقد ينظر إليها نظرة احتقار، وهذا يدفعها لمزيد من العناد والموقف الصلب، ظنَّاً منها أنها تدافع عن كرامتها.

ولن ينفعها هذا الهجر بعد فضيحتها، وكيف ينفعها الهجر مع فضيحتها أمام أهلك أو أهلها وأقاربكما، وهي لم تتَّعظ بالموعظة الحسنة التي ذكرناها بشروطها؟

ثالثاً: حتى لا تخرج الخلافات خارج البيت، لأنَّ الخلافات إذا وصلت لأهل الزوج، أو أهل الزوجة، أو الأقارب والأصدقاء، تعسَّر حلُّ هذه الخلافات، لأنه تتدخَّل الأهواء والآراء والمختلفة، ويكون الزوجان هما الضحيَّة.

رابعاً: الزوجة عندما ترى زوجها ضيَّقَ الخلاف بينها وبينه حتى جعلها في المضجع فقط، دون أن يعلم أحد ولو من أقرب المقرَّبين إليها، فإنَّ العاطفة تتحرَّك نحو زوجها، وبذلك تنتهي الخلافات بينهما.

اعلم هذه الأحكام أيُّها الزوج المُؤَدِّبْ:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلِّ زوج يريد أن يُؤدِّب زوجته الناشز، أن يتعلَّم طرق التأديب، وآداب تلك الطرق، حتى لا يقع في المخالفات الشرعية، وهو يمارس حقَّه الذي منحه الله تعالى إياه، فمن آداب هجر الزوجة:

أولاً: أن لا يهجر الزوج زوجته أكثر من ثلاثة أيام، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يحلُّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال» رواه البخاري عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ثانياً: أن يكون هجره في الظاهر فقط، وأن يكون قلبه منكسراً على زوجته الناشز، وهذا من كمال الشفقة والرحمة، يهجرها ظاهراً ويَدْعُو الله عزَّ وجلَّ لها سرّاً؛ لأنَّ قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، كما جاء في الحديث الشريف: «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، يقلِّبها كيف يشاء» رواه الترمذي، فقلبك وقلبها بيد الله تعالى، فليكن هجرك في الظاهر، والقلب منكسر لله تعالى من أجل إصلاح ما فسد.

أما إذا امتلأ القلب غيظاً وحقداً وبغضاً، فإنَّ هذا يؤجِّج النار، نار الخلافات ولا يطفئها.

أيها الإخوة الكرام: عندما هجر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نساءه شهراً كاملاً، كان هجره في الظاهر فقط، والقلب الشريف هو القلب الشفوق الرحيم، حتى رأينا عندما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]، ماذا قال للسيدة عائشة رضي الله عنها ولكلِّ واحدة منهنَّ؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا عائشة إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، ثم قرأ عليَّ الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ..﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]». قالت عائشة: قد علم والله أنَّ أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: فقلت:

أَوَفي هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. رواه البخاري ومسلم.

هذا الموقف يدلُّ على ما قلناه بأنَّ الهجر كان ظاهراً لا باطناً.

ثالثاً: لا يجوز للزوج أن يتحدَّث لأحد عن الخلافات بينه وبين زوجته، ولا عن نشوزها إلا لمن يعلم أنَّه قادر على التدخُّل للإصلاح بينهما، وإلا فهو نوع من أنواع الغيبة المحرَّمة شرعاً، ونوع من أنواع التشهير في الزوجة التي حرَّمها الإسلام.

ليتساءل الزوج إذا تحدَّث عن نشوز زوجته لأمه وأبيه أو لأخيه أو أخته، أو لأقاربه ما الغاية من ذلك؟

تذكَّر أيها الزوج الذي يتكلَّم عن نشوز زوجته، أنَّ زوجتك شريكةُ حياتك، وأنها أمٌّ لأولادك، فكيف ترضى هذا لنفسك؟

حديثك عن زوجتك أمام أولادها وأهلك وأقاربك يورِّث في نفوسهم الفساد والكراهية والبغضاء، إما لك وإما لها، وهذا يثير كرامة الزوجة، فتزداد نشوزاً وعناداً، وهذا ليس من مصلحة الأسرة المسلمة.

أسأل الله تعالى أن يردَّنا إلى دينه ردّاً جميلاً، وأن يجعلنا ممن انضبط بضوابط الشريعة ظاهراً وباطناً في سائر أحوالنا. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كيفية معالجة نشوز المرأة (٣)[١]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ما زال حديثنا عن الأسرة ومشاكلها، وقد طال الحديث عنها، وربَّما البعض تضايق من ذلك، وقال في نفسه أو لإخوانه: إلى متى هذا الحديث والعالم اليوم يتطلَّع إلى الصلاح والإصلاح؟

أيها الإخوة الكرام: أنا فردٌ من أفراد هذا المجتمع، وأتطلَّع إلى الصلاح والإصلاح كما يتطلَّع الآخرون، ولكن تعلمون بأنَّ الأسرة هي نواة المجتمع، صلاحُها صلاحُ المجتمع وفسادُها فسادُ المجتمع، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا صلح المجتمع صلح الحكَّام، لأنَّ الحكام هم من هذا المجتمع، أما إذا فسدت الأسرة فقد فسد المجتمع، وإذا فسد المجتمع فسد الحكَّام.

تدبَّروا يا عباد الله جيداً قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]. فصلاح الأعمال بالتقوى وبالقول السديد، وإذا صَلَحَت الأعمال صَلَحَ الحكَّام، جاء في الحديث الشريف الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي بكرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كما تكونوا كذلك يؤمَّر عليكم».

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٥/٥/١٤٣٢هـ، ٨/٤/٢٠١١م.

فيا مريدي الصلاح والإصلاح عليكم بالتقوى والقول السديد، ففيهما الصلاح، صلاحُ الأوضاع وصلاحُ الحكام، ومن التقوى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]. فالصادق في الصلاح والإصلاح عليه أن يهتمَّ بالأسرة، هذه الأسرة التي تكالب عليها الشرق والغرب لتقويضها.

علاج المرأة الناشز:

أيها الإخوة المؤمنون: لقد رسم لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ في كتابه العظيم السبيل الواضح لعلاج المرأة الناشز، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. وقد ذكرنا في الخطبتين الماضيتين كيف يكون الوعظ والهجر الذي شرَّعه الله تعالى لتأديب المرأة الناشز، واتفق جمهور الفقهاء على وجوب الترتيب في التأديب، فأولاً الوعظ بشروطه، فإن بقيت المرأة ناشزاً انتقل إلى الهجر في الفراش بشروطه، فإن بقيت ناشزاً انتقل إلى المرحلة الثالثة وهي الضرب كذلك بشروطه التي سنذكرها.

قوله تعالى: ﴿واضربوهنَّ﴾:

يا عباد الله: بعض الناس الذين انتعلهم الشرق أو الغرب، عندما يمرُّ على هذه الآية الكريمة يعضُّ على شفتيه ويُنَكِّسُ رأسه أمام الناس، ويرجو من الآخرين أن لا تُذكر هذه الآية، لأنَّه يعتبر هذا عاراً على المسلمين، ومطعناً في دين الله تعالى، ويقول: هل من المعقول ونحن في هذا العصر أن يتكلَّم أحد بضرب المرأة؟

يقول: الزمنُ زمنُ التقدُّم والحضارة والرقي، زمنٌ تُرعى فيه حقوق

الإنسان، ومن الحقوق التي يجب أن تُرعى: عدم ضرب المرأة، بل عدم التعرُّض لذِكرِ هذا الموضوع، لأنَّ فيه طعناً في دين الله عزَّ وجلَّ.

من هو الآمر بالضرب:

أيها الإخوة الكرام: قولوا لهؤلاء بدايةً: هل تعلمون من هو المشرِّع لهذا القانون؟ الذي شرَّع الضرب هو الله عزَّ وجلَّ القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحُجُرات: ١٣]. المشرِّع للضرب هو الخالق عزَّ وجلَّ القائل في كتابه العظيم: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ [المُلك: ١٤].

هذا القرار من الله تعالى، وما دام العبد المؤمن آمن بالله تعالى ربَّاً فلا يَسَعُ هذا العبد إلا الاستسلام لما شرَّعه الربُّ عزَّ وجلَّ، الذي يربِّي عباده بما شرَّع لهم، وبما رسم لهم من منهجٍ ليسلكوه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

يا عباد الله، ارفعوا رؤوسكم عالياً، وأعلنوا هذا القرار الإلهي في تأديب المرأة الناشز: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]. وإياك من الاستحياء فيما شرَّعه الله تعالى.

أيها الإخوة الكرام: بعض المسلمين البُسَطاء يتحرَّجون من ذكر هذه الآية ظنَّاً منهم بأنَّ هذا يخدش الإسلام والمسلمين، ينسى هؤلاء البسطاء من المسلمين بأنَّ الشرق والغرب الذي اتفقت كلمتهم على محاربة الإسلام، عندما يتخذون قراراً، ويقولون: لقد صدر قرار من مجلس الأمن بضرب دولة من دول المسلمين، وذلك من أجل تأديب طاغية من الطغاة، فيضربون الأمة، وأيُّ ضربٍ يضربونها؟ يضربون ضرباً يحرق الأخضر واليابس، ويقتلون

الرجال والنساء والأطفال، ولا يُمَيِّزون بين طالحٍ وصالحٍ، ولا بين شابٍ وشيخ فانٍ.

عندما يصدر قرار من مجلس الأمن بالضرب بالأسلحة المدمِّرة والفتَّاكة، وعندما يصدر قرار من مجلس من مجالس الغرب، الذين نصَّبوا أنفسهم أوصياء على العالم كله بالضرب لدولة مسلمة، يُصفِّق لهم الناس، ويقولون: هذا لا بدَّ منه من أجل القضاء على الدكتاتورية في العالم، وعندما يأتي الحديث عن قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾. لتأديب المرأة الناشز يتحرَّجون في ذلك، ما هذه البساطة عند هؤلاء الذين غُشِّيت أبصارهم؟

كيف تُضْرَبُ المرأة الناشز:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الذين يحاولون الطعن في الإسلام في مشروعية ضرب المرأة الناشز نقول لهم: لا تأخذوا كلمة الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾. بدون معرفة كيفية الضرب وشروطه، وتجعلوها سبباً للطعن في دين الله عزَّ وجلَّ.

عباد الله: كما قلت: لقد شرع الله تعالى تأديب المرأة الناشز على مراحل:

الأولى: الوعظ بشروطه.

الثانية: الهجر بشروطه، فإذا بقيت المرأة ناشزاً فماذا يفعل الرجل؟

هل نترك هذه الأسرة لتتحطم، ويقع الطلاق، ويعيش الأولاد في حكم اليتامى، والزوجة في حكم الأرملة؟ هل نضحي بالأسرة بهدمها؟ أم ننتقل إلى علاج آخر هو أشدُّ وأعنف من المرحلتين السابقتين؟ أما يجب على العقلاء أن يأخذوا بأخفِّ الضررين، ألا وهو الضرب؟

أما قالوا في المثل: عند العمى يُستحسن العَوَرَ؟ لا شَكَّ بأنَّ العاقل يرتكب أخفَّ الضررين، ألا وهو الضرب بالشروط التالية:

أولاً: أن لا يكون الضرب مبرِّحاً، فيجب على الزوج أن يتَّقي الوجه، وأن لا يخدش لحماً، وأن لا يكون مؤلماً، ولا يشين جارحة، لأنَّه ضربٌ للتأديب وليس للإيلام والإذلال والتحقير.

ثانياً: أن يكون الضرب نابعاً من قلب شفوقٍ رحيم، لا من قلبٍ حقودٍ، أن يكون ضربه ضربَ الوالدِ لولده، وضربَ الأستاذِ لتلميذه، وليسَ ضربَ عدوٍّ لعدوه، فالرجل ليس جلاداً ولا سجَّاناً، لأنَّ المرأة ليست رقيقة، بل هي شقيقة الرجل، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إنما النساء شقائق الرجال».

ثالثاً: أن يكون الضربُ سراً، لأنَّه إذا كانت الموعظة سراً، والهجر سراً، فمن باب أولى وأولى أن يكون الضرب سراً، لأنَّ الزوج المُؤَدِّب مثله مثل الطبيب الذي يجري عمليةً جراحيةً لمريض فيها شيء من الإيلام، ألا تكون العملية سراً؟ فكذلك الضرب غير المبرِّح يجب أن يكون سراً.

رابعاً: أن يغلب على ظنِّ الرجل بأنَّ الضرب غير المبرِّح يؤدِّبُ الزوجة الناشز، أما إذا علم أنَّ الضرب غير المبرِّح لا يؤدِّبُها فيحرم عليه ضربها، وكذلك إذا علم الزوج بأنَّ الضرب المبرِّح يُؤدِّب الزوجة الناشز فإنَّه يحرم عليه ضربها، لأنَّ الإسلام لم يبح له ذلك.

وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أيها الإخوة الكرام: اسمعوا إلى وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في ذلك:

أولاً: روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح».

ثانياً: روى الترمذي عن عمرو بن الأحوص الجُشميّ رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكّر ووعظ، ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهنّ ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقّاً، ولنسائكم عليكم حقّاً، فحقّكم عليهن أن لا يوطئْنَ فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقُّهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ».

ثالثاً: روى أبو داود والنسائي عن إِياس بنِ عبدِ الله بنِ أبي ذُباب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا تضربوا إماء الله»، فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فقال: ذَئِرْنَ النساء على أزواجهنَّ، فرخص في ضربهنَّ، فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهنَّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهنَّ، ليس أولئك بخياركم».

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: وفي الختام: لقد شرع الإسلام للرجل في تأديب المرأة

الناشز أن يضربها ضرباً غير مبرِّح، وقال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في حق من يضرب المرأة: «ليس أولئك بخياركم».

على الرجل أن يعاشر الزوجة بالمعروف وأن يصبر على أذاها، وأن يؤدبها بالطرق التي شرعها الله تعالى مع مراعاة الأدب والشروط، فإن اتَّعظت الزوجة فبها ونعمت، وإلا انتقل إلى مرحلة رابعة، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٥].

أسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً سعادة الدنيا والآخرة، وأن يوفِّقنا للالتزام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. إنه نعم المجيب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لا تُخرِجوهنَّ من بيوتهنَّ ولا يخرجْنَ[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنني اليوم أتوجَّه إلى نفسي وإليكم بأن نركِّز على أمر مهم، ألَّا نكون فيه من الظالمين، لأنَّ هذا الأمر فيه تعدٍّ لحدود الله عزَّ وجلَّ، وتعلمون أيها الإخوة قول الله عزَّ وجلَّ في حقِّ الذي يعصي الله ورسوله ما هي نتيجته يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، وتعرفون قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

هل علَّمت ولدك ما له وعليه قبل الزواج؟

أيها الإخوة: هذا الأمر تساهل فيه الكثير من الناس، وخاصة بالنسبة لشبابنا الذين نُزوِّجهم دون أن نعرِّفهم ونعلِّمهم أحكام الله عزَّ وجلَّ في مسألة الزواج، مَنْ منكم أيها الإخوة ـ وأنا أخاطبكم أنتم السامعون ـ زوَّج ولده وأجلسه وعرَّفه على أيمان الطلاق التي ينبغي عليه أن يجتنبها؟ من منكم ـ أنتم روَّاد بيوت الله عزَّ وجلَّ ـ زوَّج ولده وقال له: يا بني أتعرف ماذا يترتب على الطلاق إذا خطر في بالك يوماً من الأيام أن تتلفَّظ بكلمة الطلاق؟ سامحوني أن

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٩/١/٢٤هـ، ٢٠٠٨/٢/١م.

أجيب بأن جُلَّنا ما تنبَّه إلى هذا، ولكن عندما نتحدث عن الزواج يجلس الآباء والإخوة والأخوات جلسات عديدة، ويخطِّطون: أين ستكون حفلة الرجال وحفلة النساء؟ من هو المنشد؟ ومن هي المنشدة؟ لمن ندعو إلى عقد الزواج وإلى الزواج؟ ما هي الضيافة؟ أينبغي أن تكون هناك ضيافة في حفل الزواج أم لا؟ نجلس سويعات فيما بين بعضنا البعض في مجلس أسري نتحدَّث عن هذا، أما عن مسائل خطيرة تتعلَّق بديننا وبآخرتنا فالكلُّ نائم إلا من رحم ربي.

أين تقضي المرأة عدَّتها؟

أيها الإخوة: صورة من الصور تتعلَّق بالطلاق ينبغي علينا أن نتوب إلى الله عزَّ وجلَّ منها، هل سمعتم بأنَّ مسلماً في بلدتنا هذه طلَّق زوجته وألزم زوجته بأن تجلس في بيت الزوجية لقضاء عدتها؟ تساءلوا أيها الإخوة فيما بينكم وبين أنفسكم، الطلاق كثير أيها الإخوة، إن سألت طلبة العلم يقولون لك: الطلاق كثير وكثير، وكذلك المحاكم الشرعية، ولكن أين تقضي المرأة عدتها؟ ظلم ما بعده، وتعدٍّ لحدود الله أيما تعدٍّ، وهذا ليس من كلامي أيها الإخوة، وإنما هو من كلام الله عزَّ وجلَّ، يا أخي أنت عبدٌ لله، وأنت مسؤول يوم القيامة عن هذا القرآن العظيم، هل حلَّلنا الحلال وحرَّمنا الحرام ووقفنا عند حدوده؟ ما أنت قائل لمولاك.

تعال واسمع يا أخي وأسمع أولادك وبناتك وأصهارك وكنَّاتك ومن حولك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]؟ تعالوا أيها الإخوة على مستوى الأزواج

والزوجات، وعلى مستوى أولياء الزوجات وأولياء الأزواج، الله يقول: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾، والخطاب لكلِّ من سوَّلت له نفسه أن يُخرج الزوجة بعد الطلاق من بيت الزوجية، أيها الزوج! لا تُخرج زوجتك، ويا ولي الزوجة! لا تُخرج ابنتك وإن وقع الطلاق، ويا ولي الرجل! لا تأمر ولدك أن يُخرج زوجته بعد الطلاق من بيتها حتى تنقضي عدَّتها.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾، أثبت الله عزَّ وجلَّ البيت لها، وقد يقول قائل: البيت لي، من قال لك: إن البيت لك؟ تقول: أنا أذهب إلى السجل العقاري وآتيك بالسند، أقول لك: هذا السند من السجل العقاري يثبت أن البيت لك، وأنا آتيك بنصٍّ من كتاب الله يقول لك: البيت للزوجة، فأيُّهما أصدق؟ قرار الله أم قرار السجل العقاري؟ لأنَّ الملك لله، وليس لك ولزوجتك، أثبت الله لها ملك البيت في فترة العدة وإن كان مسجَّلاً باسمك، لأنَّ النتيجة أنَّك ستخرج من هذا البيت إلى قبرك، وستخرج المرأة من بيتها إلى قبرها، وأنت وإياها ستقفان بين يدي الله عزَّ وجلَّ.

ويتوجَّه الخطاب للمرأة: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾، أنت أيتها المرأة يحرم عليك الخروج، لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيت الزوجية، وإنما تقول لزوجها المطلِّق: الله يأمرني بالبقاء هنا وأنت تأمرني بالخروج، فأيَّ الأمرين أقدِّم؟ أين نحن من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. قد تقول: طلَّقتها وتبقى في بيت الزوجية؟ نعم، وربما أن يكون الطلاق بائناً بينونة كبرى، أي لا تحلُّ المرأة لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره، أتبقى في بيت الزوجية؟ نعم، لأنَّ ربَّنا ما فرَّق بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾، بين طلاق رجعي وبين طلاق بائن بينونة صغرى، وبين طلاق بائن بينونة كبرى. ولكن قال الفقهاء: إذا كان الطلاق ثلاثاً ولا تحلُّ المرأة لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره، ولم

يكن عنده إلا غرفة واحدة، أوجب عليه الشرع من خلال قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ أوجب الشرع على الزوج أن يخرج من البيت، حتى لا تتمَّ الخلوة بينه وبين هذه المرأة التي لا تحلُّ له حتى تتزوَّج غيره، يأمره الله بالخروج لأنَّ البيت بنصِّ القرآن هو بيت المرأة، وأما هذا البيت في السجل العقاري فسيرجع إليك بعد أيام عندما تنقضي عدتها، تخرج من بيتك المسجَّل في السجل العقاري، وتسلِّم هذا البيت لهذه المرأة حتى تنقضي عدَّتها.

أين نحن أيها الإخوة من هذا؟ أين نحن من حدود الله عزَّ وجلَّ؟ لماذا نتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى؟ لماذا لا نعلِّم أولادنا هذه الأحكام حتى يحسب أحدهم ألف حساب إذا أراد أن يتلفَّظ بكلمة الطلاق؟ ولكن عندما هانت كلمة الطلاق على ألسنتنا، فإنك ترى الكبير والصغير والقاصي والداني: عليه الطلاق، وعليه الحرام، وهي طالق، وعليه الطلاق بالثلاثة، وما شاكل ذلك، ولا يخشى الله والعياذ بالله. وكثير أيها الإخوة من يطرد زوجته، وكثير من يأتي بابنته من بيت الزوجية بعد الطلاق، هذا عاص، وذاك عاص، والمرأة عاصية، وتصوَّروا كم تتعدَّد المعاصي وكم يتعدَّد العُصاة؟ وكل معصية تجرُّ وبالاً على الأسرة وعلى الأمة، وينبغي علينا أن يذكِّر بعضنا بعضاً بحدود الله.

المسألة خطيرة أيها الإخوة، بعد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [الطلاق: ١]، التعدِّي لحدود الله قائم أيها الإخوة، من منكم يجترئ أن يتعدَّى حدود القانون إذا كان فيه عقوبات صارمة؟ أتخشون الناس ولا تخشون الله؟ يا سبحان الله، الله يقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ويتعدى الإنسان حدَّ الله عزَّ وجلَّ، فما أنت قائل لله سبحانه وتعالى؟

أيها الزوج: أرجو الله تعالى ألا يحيجك إلى الطلاق، ولكن أقول لمن راودته نفسه أن يطلِّق: إنك تطلِّق لأنَّ حياتك جحيم، فلا تزد حياة الجحيم جحيماً بأن تتعدَّى حدود الله عزَّ وجلَّ بعد الطلاق، فتخرج زوجتك من بيتها، وأسأل الله أن يجعل من الآباء والأمهات عوناً للأبناء على الوقوف عند حدود الله.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الأب، أيتها الأم، إذا كان الواحد منكم حريصاً على ولده فليُلزم ولده بالتزام الحدود، والتي من جملتها: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾، هذا فضلاً عن دفع مهر المرأة المقدَّم والمؤخر، والذهب واللباس وما شاكل ذلك، مع نفقة العدة. أرجو الله عزَّ وجلَّ أن نلتزم بذلك، ونحن نتضرَّع إلى الله أن يصرف البلاء عن المسلمين في العراق وفلسطين، وأن يغيثنا مولانا، فيا من هو صادق في دعائه لله! كن وقَّافاً عند حدود الله، لأنَّ التزامنا بحكم شرعي خير لنا من أن نُمطَر أربعين صباحاً وربِّ الكعبة، ولكن إذا عطَّلنا حدود الله عزَّ وجلَّ، ولو أُمطرنا صباحاً ومساء، فإنَّ الحسرة ستكون يوم القيامة عندما يقول بعضهم ـ والعياذ بالله ونرجو الله ألا نكون منهم ـ: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، أو يقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

اللهم لا تجعلنا من النادمين عند سكرات الموت، واجعلنا يا ربنا من الوقَّافين عند حدود شريعتك.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عقوق الوالدين[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إسلامنا عندما عرَّفنا على الواجبات التي علينا تجاه أبنائنا، عرَّفنا على ذلك من أجل مصلحتنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، عرَّفنا الإسلام على واجباتنا نحو أبنائنا ليكون الأبناء ذخراً لنا في الحياة الدنيا، وفي عالم البرزخ، وفي يوم القيامة، ولكنَّنا أهملنا هذا الواجب وأعرضنا عنه أيَّما إعراض، فإذا ما وقع الأبناء في العقوق، تألَّم الآباء وعضُّوا على أياديهم من الندم لأنَّهم ما أحسنوا التربية، ولأنَّهم ما أحسنوا القيام بالواجب الذي عليهم، والذي كلَّفهم به مولانا سبحانه وتعالى، وبالتالي نرى العقوق ينتشر في المجتمع أيَّما انتشار، تجاوز الأبناء مراحل عدَّة في عقوقهم لآبائهم، حتى وصل الأمر في بعضهم إلى قتل أبيه من أجل عرض من أعراض الدنيا، من أجل أن يتعجَّل في الميراث، ارتكب هذه الجريمة النكراء، التي ما سمع بها إنسان عاقل إلا اقشعرَّ بدنه، وجاشت عواطفه غضباً وانتقاماً وحزناً من هذا الذي يقع في مجتمعنا.

طبعاً الولد الذي ارتكب جريمة القتل في حقِّ أبيه ما جاء هكذا دفعة واحدة، إنما تعدَّى حدود الله عزَّ وجلَّ شيئاً فشيئاً، بدأ بالعقوق من المرحلة الأولى، وبدأ ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، ومن حالة إلى حالة، حتى وصل

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٨/٢/٢٠هـ، ٢٠٠٧/٣/٩م.

إلى أسوأ حالة وإلى أسوأ ختام في العقوق الذي سيؤدي به لا قدر الله إلى سوء خاتمته عند سكرات الموت.

لا تعص الله فيمن عصى الله فيك:

أيها الإخوة: لعلنا أن نتنبَّه نحن الأبناء، قد يقول أحدكم وخاصة أرى أكثركم شباباً: لِمَ لَمْ تحدِّثنا عن عقوق الآباء، عن واجبات الآباء نحو الأبناء، أقول لهذا الشاب الذي يقول هذا القول، والذي يعترض هذا الاعتراض: يا أخي لا تعص الله فيمن عصى الله فيك، إن كان أبوك أو أمك وقعا في العقوق وفي ترك الواجب الذي عليهما، فلا تقابل المثل بالمثل، إنما انظر إلى ما كلَّفك الله عزَّ وجلَّ به، ألا تريد سلامة الدنيا والآخرة أيها الولد؟ الجواب: نعم، أقول لك: يا أخي إذا وقع أبواك في معصية الله، فلم يعرفا الواجب الذي عليهما نحو أبنائهم، فعليك أن تكون بارّاً أنت بوالديك امتثالاً لأمر الله عزَّ وجلَّ.

فلا تقل لهما أُفٍّ:

أيها الولد: ربُّنا عزَّ وجلَّ حرَّم علينا العقوق نحو الآباء في أدنى كلمة، وحذَّرك أن تصدر منك تلك الكلمة، فقال ربنا عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] أبوك يأمرك وأمك تأمرك، وينهاك أبوك وتنهاك أمك، فلا تقل لهما أفٍّ، لأنك إذا وقعت في العقوق بكلمة أفٍّ، فربما أن تنتقل إلى عقوق من الدرجة الثانية، عندما تتأفَّف من أبويك من خلال مراقبتهما لك في سلوكك، وانظروا إلى الأبناء، ولعلك أن تنظر في نفسك، تأفَّفت أولاً، فإذا بك تضجر وتتضايق عندما ترى أبويك يتابعانك في سيرك وفي سلوكك، يتابعانك في لقائك مع أصحابك، وفي حِلِّك وترحالك، يتابعانك بأقوالك وأفعالك، إن وقعت في العقوق بكلمة أفٍّ، فإنك تنتقل إلى التأفُّف من مراقبتهما لك في سلوكك، فإن وقعت في ذلك فإذا بك تتأفَّف من نصحهما لك لأنك انشغلت

بنفسك عن أبويك، فإذا ما وقعت في هذا العقوق وانشغلت بنفسك عنهما، وانصرفت عن إعانتهما، وقعت في عقوق من نوع آخر، فانصرفت عنهما بالكليَّة، ولم تلتفت إلى النفقة عليهما انشغالاً بنفسك وزوجك وأولادك عنهما، فإذا بك تقع في العقوق شيئاً فشيئاً، فإذا بك تُغلظ القول لهما، فإذا وقعت في غلاظة القول فربما أن تنتقل إلى مرحلة ثانية، ألا وهي السبُّ والشتم لهما. وكم سمعتُ من أبناء يشتمون آباءهم وأمهاتهم بدون استحياء من الله عزَّ وجلَّ.

أيها الإخوة: تنبَّهوا إلى أنفسكم ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾، كيف وصلت إلى درجة في غلاظة القول، ثم بعد ذلك في السبِّ والشتم إن كان سراً أو علانية، مواجهة أو في غيابهما؟ إن وقعت في السبِّ والشتم وصلت إلى مرحلة في العقوق يُخشى عليك أن تنتقل إلى مرحلة ما بعدها مرحلة، وهي أسوأ المراحل، أن ترتكب جريمة القتل في حقِّهما، وهذا أسوأ العقوق الذي يدفع صاحبه والعياذ بالله تبارك وتعالى إلى سوء الخاتمة.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

أيها الإخوة: لعلكم أن تتفكَّروا! ما من واحد منا إلا وله أبوان، بأيِّ شيء تقابل إحسان والديك؟ المروءة التي عرفناها أنَّ الولد يقابل الإحسان بالإحسان، ولا يقابل الإحسان بالإساءة، هذه من المروءة والرجولة، ومن كمال الأدب والأخلاق، أين المروءة في مجتمعنا بين الأبناء والآباء؟ يا ترى هل يفكِّر أحدنا فيما عاناه الأبوان عندما كان جنيناً في بطن أمه، وعندما ولد فكان طفلاً رضيعاً؟ هل فكَّر أحدنا فيما عاناه الوالدان حتى أصبح رجلاً؟ هل فكَّرت في المعاناة التي مرَّت عليها أمك وأبوك حتى طرَّ شاربك، وأصبحت رجلاً بين الرجال؟ هل من المروءة أن تنسى إحسانهما وعطفهما، وأن تنسى الشفقة والرحمة التي كانت تنبع من قلبيهما؟! كلُّ واحد منهما يريد لك طول العمر،

والسلامة والكرامة والعفة والطهارة، ويريد لك أن يُشار إليك بالبنان، هل قابلت هذا الإحسان بإحسان؟ أم أنك قابلت تلك الشفقة والرحمة بالإساءة، فتمنَّى الولد موت أبيه وأمه، بل ما تمنَّى فقط موتهما، إنما تعجَّل لتسوء خاتمته في سوء خاتمة العقوق بارتكاب جريمة القتل في حقِّ والديه والعياذ بالله تبارك وتعالى.

أيها الأبناء: لا ينظر أحدكم إلى مسألة المادة والإنفاق عليه عندما كان جنيناً إلى أن أصبح رجلاً، ولكن لينظر إلى الشفقة والرحمة والعاطفة التي كانت تشعُّ من قلبيهما نحوه، يسهران الليل من أجله، وفي ساعة غضب منهما عليه إذا سمعا عنه أمراً سيئاً ذرفت الدموع من أعينهما حزناً عليه، ويتمنَّى كلُّ واحد منهما إن كانت له دعوة مستجابة عند الله أن يحمل الله من أعمارهما ويضع ذلك في عمره، ألا يفعل الآباء والأمهات هذا أيها الإخوة، كيف نقابل هذا الإحسان؟ أين المروءة؟ أين هؤلاء الذين يعرفون الآداب والقيم والأخلاق.

العقوق من أكبر الكبائر:

أيها الإخوة: من خلال هذا ربُّنا عزَّ وجلَّ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، علمانا بأنَّ العقوق من أكبر الكبائر. اقرأ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٣-١٤] التوصية من الله بالوالدين بعد أن حذَّر لقمان ولده من مسألة الشرك. ما قيَّد الوصية بالوالدين إن كانا مسلمين مؤمنين طائعين، إنما أطلقها ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ ولو كانا كافرين، ولو كانا عاقين، ولو كانا فاسقين، ولو كانا فاجرين، ولذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما حدثنا عن أكبر الكبائر، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أكبر الكبائر: الشرك بالله وعقوق

الوالدين» [رواه البخاري ومسلم]، وانظر كيف قرن بينهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الإخوة: قد يبرِّر أحدُنا العقوقَ لوالديه بسبب المتابعة، أو بسبب الشدَّة من الآباء والأمهات على الأبناء، لعلكم تسمعون أيها الأبناء، كم وكم سمعنا من شباب كان آباؤهم وأمهاتهم يشدُّون عليهم، وربما يُغلِظون القول، وربما أن تكون القسوة ظاهرة، فإذا بالولد عندما تقدَّم به العمر انكشفت له حكمة الأبوين من شدَّتهما عليه، فإذا بالولد يقول: رحمة الله عليهما عندما كانا شديدين علينا، عرف بعد ذلك الحكمة من تلك الشدة، لقول الشاعر:

فقسا ليزدجروا، ومن يكُ راحماً فَلْيَقْسُ أحياناً على مَنْ يرحم

ولذلك لو عرفت الحكمة لالتزمت الأدب، وهب جدلاً بأنَّ أبويك ظالمان، وعندهما الظلم والتعدي، إحسانهما لك منذ أن كنت جنيناً إلى أن أصبحت رجلاً ألا يشفع لهما عندك، فتقابل الإحسان الماضي بإحسان، تقابل إحسانهما لك عندما كنت ضعيفاً، بإحسان عندما صارا ضعيفين، ألا يكون هذا بهذا، كنت ضعيفاً وكانا قويين، كيف كان سيرهما معك؟ الآن أنت أصبحت قوياً وهما الضعفاء، ألا تقابل هذا بهذا، وتتقي الله سبحانه وتعالى؟!

الجزاء من جنس العمل:

لذلك أيها الإخوة: كونوا على ثقة بأنَّ الجزاء من جنس العمل، يا من يقع في عقوق الأبوين، وطِّن نفسك لسماع قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كما يروي ذلك الحاكم والطبراني، «برُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم» [رواه الطبراني والحاكم]. وطِّن نفسك يا أيها الولد العاقُّ في يوم من الأيام أن يكون الانتقام في الدنيا قبل الآخرة، أن ترى ولدك أنت عاقاً لك، الله أوصاك بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [لقمان: ١٤] بدون قيد وبدون شرط، فلا تعص الله فيهما وإن عصيا الله فيك.

لذلك يا أخي المسلم، يا أيها الابن، ويا أيها البنت، تذكَّروا قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، كما يروي الإمام البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقال له: يا رسول الله، مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟

انظروا أيها الإخوة إلى الأبناء كم يحسنون الصحبة مع أصدقائهم ورفاقهم، الأصدقاء والرفقاء كبيرهم وصغيرهم قاصيهم ودانيهم يشهد لهذا الولد بحسن الصحبة، ولكنَّك إن سألت أمَّه وأباه عن حسن الصحبة، جاء الجواب على العكس من ذلك تماماً، فيقول لك الأب وتقول لك الأم: بئس الولد هذا. ليعمل العاق ما شاء فلن يدخل الجنة، ليشهد لك الجميع بحسن أخلاقك وبحسن صحبتك فلن تنفعك يوم القيامة.

الصادق المصدوق سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يسأله الرجل: (مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»).

اسمعوا أيها العاقُّون لأمهاتهم بسبب نسائهم، اسمعوا أيها العاقُّون لأمهاتهم بسبب لعاعة الدنيا، بسبب دريهمات وقع في العقوق وأساء الصحبة مع والديه، اسمع أيها العاقُّ الذي لا يبالي بكلام أمه ولا بكلام أبيه من أجل شهوة عاجلة في الدنيا.

(مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك») [رواه البخاري ومسلم]. هل عرفت هذا أيها الشاب؟ أحقُّ الناس بحسن صحابتك أمك التي حملتك وأرضعت وعطفت عليك، وسهرت الليل من أجلك، لأنَّ الذي لا يعرف حسن الصحبة مع مَنْ حَمَله وربَّاه، فلا خير في حسن صحبته مع الآخرين، لأنَّ حسن صحبته مع الآخرين معلولة، له غرض من تلك الصحبة، هو بحاجة إلى مال أو عمل أو جليس يجالسه من أجل اللعب بالورق، ومن

أجل تقضية الوقت في القيل والقال، فيحسن الصحبة من أجل مصلحته الذاتية، ولو كان محسناً الصحبة مع الآخرين من خلال قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: «اتَّقِ اللهَ حيثما كنت، وأتبع السيِّئةَ الحسنةَ تمحها، وخالق الناسَ بخُلُق حسن» [رواه الترمذي]، لو كان حسن صحبته مع الآخرين امتثالاً لأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «وخالق الناس بخلق حسن» لكان أولى الناس بالخلق الحسن أبواه!

رضا الله في رضا الوالد:

لذلك روى الترمذي عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد» [رواه الترمذي والحاكم وابن حبان]. كيف تستطيع أن تنام بملء جفونك وأبوك في حالة سخط عليك؟ أو أمك في حالة سخط عليك؟ كيف تستطيع أن تضحك بملء فيك مع أصحابك وخلانك وأبوك وأمُّك يشكوانك إلى الله عزَّ وجلَّ؟! تذكَّر أيها الابن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، إذا شكت المرأة أمرها إلى الله عزَّ وجلَّ في حقِّ زوجها سمع الله لشكايتها، فكيف إذا شكت الأم وشكا الأب أمرك إلى الله عزَّ وجلَّ، هل عندك المقدرة على سخط الله عزَّ وجلَّ عليك؟ ولذلك روى الإمام البخاري عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إنَّ الله حرَّم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» [رواه البخاري ومسلم]. يا أيها العاقُّ ماذا ستقول لربك عزَّ وجلَّ غداً يوم القيامة؟

لذلك روى الإمام أحمد عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بعشر كلمات، منها

قال له: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتلت وحُرِّقت، ولا تعقَّنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك».

أيها الأبناء! ازرعوا لأنفسكم:

أيها الأبناء: نصيحة لوجه الله عزَّ وجلَّ، ازرعوا لأنفسكم، واعلموا بأنَّ الآمر هو الله، وطالما أنَّ الآمر هو الله، فاعلم أنَّ الآمر رقيب عليك، ما أمرك وتركك، إنما أمرك وقال لك بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. لذلك لا يسعني أن أنصح الأبناء بكلمة أبلغ من كلمات القرآن الكريم، إذ يقول مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

أيها الأبناء: ألا ترون أبناء يطبِّقون هذه الآية؟ الجواب: نعم، نرى الكثير والكثير، فلم أنت عاقٌّ، ولم هو بارٌّ بوالديه؟ هل هو عاقل وأنت غير عاقل، إذا قلت: نعم، أذكِّرك بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك: ١٠].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الأبناء: عليكم ببرِّ الآباء والأمهات وإن ظلما، وإن ظلما، وإن ظلما، لأنَّ المؤمن لا يعصي الله فيمن عصى الله فيه، اللهم اجعلنا بررة بآبائنا وأمهاتنا، في حال حياتهما وبعد موتهما، وارحمهما كما ربَّياني صغيراً.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الوالد أوسط أبواب الجنة[1]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الخلاص في سرِّ الإخلاص، فيجب على البارِّ لوالديه أن يكون برُّه لهما خالصاً لوجه الله عزَّ وجلَّ، وألا يكون معلولاً بعلة دنيوية، كطمع بما في يدي والديه، أو محبة أن يقال عنه: بارٌّ.

ولكنَّ المفاجأة ـ والحقيقة ليست مفاجأة ـ أنَّ كثيراً من الآباء والأمهات تبكي قلوبهم قبل عيونهم، ويشكون إلى الله عزَّ وجلَّ من عقوق الأبناء بأبشع صور العقوق وأخسِّها.

زواج أحد الوالدين جريمة:

يا عباد الله: هل تعلمون أنَّ من جملة أسباب العقوق زواج أحد الأبوين؟ نعم، هناك بعض الأبناء وقع في العقوق بسبب زواج أمه، إذ تزوَّجت بعد طلاقها أو بعد وفاة زوجها، جريمة كبرى في نظر بعض الأبناء، كيف تتزوَّج؟ يجب أن تبقى بدون زوج مهما كلَّف الأمر، ولو دقَّقنا في السبب لوجدناه سبباً مادياً، لأنَّ الأمَّ ربما أن تكون غنية، فإن تزوَّجت قاسمهم الزوج في التركة إن ماتت، وهذا المال في نظرهم من حقِّهم فقط.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٥/٦/١٤٣٠هـ، ٢٩/٥/٢٠٠٩م.

أما الحديث عن زواج الأب بعد وفاة زوجته أو بعد طلاقها فحدِّث عنه بلا حرج، إن تزوَّج الأب فجريمة وأيُّ جريمة؟ إنها من أكبر الجرائم، هذا إذا كان الزواج بعد الطلاق أو بعد الوفاة، أما أن يتزوَّج في حياة أمِّهم وهي في عصمته، فهيهات هيهات، لا يمكن أن يتصوَّر الأبناء هذا، ولا يمكن أن يقبلوا هذا بشكل من الأشكال، لأنَّ الأب ارتكب جريمة لا تُغتفر إلا بطلاق هذه الزوجة التي صارت ضرَّة لأمِّهم.

أين شرع الله عزَّ وجلَّ فينا؟

أيها الإخوة: أين نحن من تشريع الله عزَّ وجلَّ لنا؟ أين نحن من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أيها الأبناء: ماذا تريدون من أمِّكم إذا طُلِّقت أو توفي عنها زوجها؟ أتريدون أن تسلك طريق الانحراف لا قدر الله؟ أليست هي من البشر؟ أليس لها أحاسيس ومشاعر نحو رجل ليعفَّها عن الحرام؟

ماذا تريدون من أبيكم إذا توفيت أمُّكم أو طُلِّقت؟ هل ترضون له الانحراف لا قدر الله؟

ماذا تريدون أيها الأبناء من آبائكم إذا شعر أحدهم بأنه بحاجة إلى أن يعدِّد في حال حياة أمِّكم؟

هل إذا تزوَّجت الأمُّ بعد طلاقها أو وفاة زوجها ارتكبت إثماً؟ الجواب: ربما تركها للزواج هو الإثم.

هل إذا تزوَّج الأب زوجة ثانية، أو تزوَّج بعد طلاق زوجته أو وفاتها يرتكب إثماً؟ الجواب: ربما تركه الزواج هو عين الإثم.

أما أنت أيَّتها الأم التي تزرعين الحقد والضغينة في قلوب الأبناء نحو

أبيهم بسبب زواجه بالثانية، فما أنت قائلة لله عزَّ وجلَّ؟ هل زوجك خالف أمر الله تعالى؟ هل ارتكب معصية لله عزَّ وجلَّ بالزواج الثاني؟ قطعاً لا.

أما أنت فقد وقعت في المعصية وأوقعت أولادك فيها، فسوف تتحمَّلين وزرك ووزر أولادك يوم القيامة.

يا أمة الله تذكَّري قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفِّفين: ٤-٦].

أيها الولد! اعلم بأنك ستكون أباً:

أيها الأبناء: تذكَّروا أنكم في يوم من الأيام ستكونون آباء بإذن الله تعالى، وربما أن تحتاجوا إلى ما احتاجه آباؤكم، فهل ترضون أن يفعل الأبناء بكم كما تفعلون أنتم بآبائكم من العقوق والتمرُّد؟

وصايا للأبناء:

أيها الأبناء الكرام: وها أنا أقدِّم لكم هذه الوصايا لأني على ثقة بأنكم من أهل الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن أهل الإيمان بيوم القيامة، ومن أهل الإيمان بأنَّ الجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ.

أيها الأبناء الكرام: خذوا مني هذه الوصايا من كتاب الله عزَّ وجلَّ، ومن حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أولاً: برُّ الوالدين من صفات الأنبياء والمرسلين:

ألا تريد أن تتشبَّه بالأنبياء والمرسلين الذين هم صفوة الخلق عند الله عزَّ وجلَّ، ألا تريد أن تتشبَّه بالكُمَّل من الرجال؟

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلَهم إنَّ التشبُّه بالكرامِ فلاحُ

هذا سيدنا يحيى عليه السلام يقول الله تعالى فيه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ

بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٢-١٤].

وهذا سيدنا عيسى عليه السلام يقول الله تعالى فيه: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٢٧-٣٢].

فكن باراً بوالديك تأسِّياً بالأنبياء والمرسلين، وإيَّاك والعقوقَ، فإنَّ العقوق مَهْلَكة لك عاجلاً أم آجلاً.

وفكِّر في نفسك أين أنت من سيدنا إسماعيل عليه السلام عندما قال له سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ثانياً: برُّ الوالدين من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى:

أيها الإخوة: إنَّ برَّ الوالدين من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، كما جاء في الحديث الصحيح المتَّفق عليه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «برُّ الوالدين» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

حافظوا أيها الأبناء على أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، **وأولها**: الصلاة على وقتها، لا تقصِّر ولا تسوِّل ولا تسوِّف إلى آخر الوقت، بل صلِّ في أول الوقت، وأن تكون صلاتك في جماعة، وأن تكون الجماعة في المسجد، وخاصة بالنسبة لصلاة الفجر والعشاء.

وثانيها: برُّ الوالدين من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، ألا تحبُّ أن تتقرَّب إلى الله بأحبِّ الأعمال إليه، البرُّ من أحبِّ الأعمال إلى الله، كما أنَّ العقوق من أبغض الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ.

وثالثها: الجهاد في سبيل الله، الذي كاد أن يموت بين صفوف المسلمين إلا من رحم ربي عزَّ وجلَّ، وأوَّل الجهاد الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثالثاً: يد الوالد مبسوطة في مال ولده:

أيها الأبناء الأعزاء: اعلموا بأنَّ يد الوالد مبسوطة في مال ولده يأخذ منه ما يشاء من أجل حاجته، وليس العكس، فالولد يده ليست مبسوطة في مال والده، فلا يحلُّ للولد أن يأخذ من مال والده إلا برضاه.

واليوم حالنا معكوس، يد الولد مبسوطة في مال والده كيفما شاء، ومع ذلك ترى الولد عاقاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الأبناء: اسمعوا ما يقوله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: أتى أعرابيٌّ رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال: إن أبي يريد أن يجتاح مالي، قال: «أنت ومالك لوالدك، إنَّ أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإنَّ أموال أولادكم من كسبكم، فكلوه هنيئاً».

هل سمعت يا من هو حريص على مستقبل آخرته؟ هل سمعت يا من هو حريص على التخلُّص من الشدائد والمِحَن؟

رابعاً: وصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ببرِّ الوالدين:

أيها الإخوة: إنَّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

أوصى ببرِّ الوالدين، فهل تعمل بوصية الله عزَّ وجلَّ وبوصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

هل تقبل وصية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أم لا؟

أخرج الإمام أحمد في مسنده، والإمام البخاري في الأدب المفرد عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إن الله عزَّ وجلَّ يوصيكم بأمَّهاتكم، إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب».

هل سمعت هذه الوصية يا من قال الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]؟ ما أنت قائل لربك عزَّ وجلَّ إذا كنت عاقاً لوالديك؟

خامساً: الوالد أوسط أبواب الجنة:

أيها الإخوة: هل تعلمون أنَّ الوالد أوسط أبواب الجنة؟ فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أنَّ رجلاً أتاه فقال: إنَّ لي امرأة، وإنَّ أمي تأمرني بطلاقها، فقال أبو الدرداء: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك البابَ أو احفظه».

وفي رواية قال: كان فينا رجل لم تزل به أمه أن يتزوَّج حتى تزوَّج، ثم أمرته أن يفارقها، فرحل إلى أبي الدرداء بالشام فقال: إنَّ أمي لم تزل بي حتى تزوَّجْتُ، ثم أمرتْني أن أفارق، قال: ما أنا بالذي آمرك أن تفارق، وما أنا بالذي آمرك أن تمسك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فأضع ذلك الباب أو احفظه» قال: فرجع وقد فارقها.

نعم أيها الإخوة نحن لا نأمر بالعقوق، ولا نأمر بطلاق الزوجة إن طلب الأب، ولكن اسمع وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذا إذا كان الأب وقَّافاً عند حدود الله عزَّ وجلَّ، يخاف الله تعالى في السر والعلن.

سادساً: لا يمكن أن تؤدي حقَّ والديك:

أيها الإخوة: هل تعلمون أنَّ تأدية حقِّ الوالدين صعبة جداً، ولا يمكن للواحد أن يؤدِّيهما حقَّهما مهما قدَّم لهما، أخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه شهد ابن عمر رضي الله عنهما ورجل يماني يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره، يقول:

إنـــي لهـــا بعيرُهـــا المـــذللْ إنْ أُذْعِـرَتْ رِكابُهـا لـم أُذْعَـرْ

ثم قال: يا بن عمر أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة.

وعن سليمان بن بريدة، عن أبيه، أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال: يا رسول الله، إني حملت أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة، لو ألقيت فيها بضعة من لحم لنضجت، فهل أدَّيت شكرها؟ فقال: «لعله أن يكون بطلقة واحدة» رواه الطبراني في المعجم الصغير.

هل سمعت يا من تسوِّل له نفسه العقوق؟ يا من هجر أمه وأباه ساعات وأياماً وأسابيع وأشهر بل سنوات، ما أنت قائل لربك عزَّ وجلَّ يوم القيامة؟

أما حقُّ الوالد:

اسمع يا من يتبرَّم من أبيه لعرَض من أعراض الدنيا، أو لكونه تزوَّج على

أمه في حال حياتها أو بعد موتها، أو بعد طلاقها، هل تدري بأنَّك لن تستطيع أن تعطي والدك حقَّه، ولن تستطيع أن تجازيه مهما قدَّمت له، لقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه».

أيها الأبناء: لا تستطيعوا أن تكافئوا آباءكم إلا أن تجدوهم عبيداً أرقاء، فتشترونهم فتعتقونهم بعد ذلك، وهل يمكن هذا؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام، أيها الأبناء: كونوا بررة بآبائكم وأمهاتكم، وخاصة إذا كان كلٌّ واحد منهما ملتزماً شرعَ الله عزَّ وجلَّ، فإن تزوَّج أو تزوَّجت فإنَّهما ما فعلا معصية، فعليك ببرِّهما، وإياك أن تقف مع الظالم منهما، بل عليك بالنصح، فإن استجاب فبها ونعمت، وإلا فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع.

أيها الأبناء، فستذكرون ما أقول لكم، وإني أرجو الله عزَّ وجلَّ أن يجعلني وإياكم بررة بآبائنا وأمهاتنا أحياء وميتين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عيد الأم لمن؟؟[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ من العادات الوافدة إلينا من الغرب عادة سماها الناس: عيد الأم، وإنني أرى الكثير من المسلمين من صار عنده الاهتمام بيوم عيد الأم، وخاصة من التجار، الذين بدؤوا قبل الواحد والعشرين من هذا الشهر الشمسي يجعلون دعايات كأنَّهم يُذكِّرون الأمَّة بعيد الأم، شفقة منهم ورحمة، ولكنَّ هذه الشفقة والرحمة هل هي نابعة من أجل أن يكون الأبناء بررة بأمهاتهم، أم إنَّ هذه الشفقة والرحمة على تجارتهم، وعلى الأموال التي يكسبونها من وراء ذلك؟ أكثر التجار لا يفرِّقون بين الفساد والصلاح، إن جاء عيد الحب الذي وفد إلينا من الغرب كذلك من أجل الفساد، رأيت التجار المسلمين يتسابقون في ذلك، وإن جاء عيد الميلاد للنصارى رأيتَ المسلمين يتسابقون في ذلك، وإن جاء عيد الأم رأيت المسلمين يتسابقون في ترويج بضائعهم تحت عنوان: عيد الأم، وكأنهم يُذكِّرون الأمة بارتباط الأبناء مع الأمهات.

أيها الإخوة: نحن كلُّنا مع احترام الأم، ومع تقديرها، ولكنَّ احترامها وتقديرها في ديننا ليس يوماً واحداً في العام كلِّه، إنما هو بكلِّ نفس من أنفاس أعمارنا، مهما كانت الأم طائعة أم عاصية، وفيَّة أم غير وفيَّة، مستقيمة أم غير

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٥/٣/١٤٢٨هـ، ٢٣/٣/٢٠٠٧م.

مستقيمة، محسنة أم غير محسنة، فالمسلم يتذكَّر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

لماذا جعلوا للأم عيداً؟

احترامنا للأم وتقديسنا لها من صلب ديننا، وليس يوماً من الأيام في العام كلِّه يتعرَّف الولد على أمِّه بهدية رمزية، إن كان لها ثمن وإن لم يكن لها ثمن كبير. لا أيها الإخوة، هذا العيد ليس لأبناء المسلمين، عيد الأم ليس لأتباع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، عيد الأمِّ لأمٍّ غربيَّة طعنت في سنِّها، وتقدَّم بها العمر، فإذا بها فقدت الزوج والأب والولد، وصارت مسكينة يتيمة لا يرعاها إلا كوخها الصغير، أو دور العجزة هناك، وصار الوفي الوحيد لها الذي لا يعرف الغدر كلبها، في حِلِّها وفي ترحالها تصحب كلبها، أين أبوها وأخوها وزوجها وأين ولدها الذي حملته في بطنها فكان بطنها له وعاء، وثديها له سقاء، وحجرها له وطاء؟ لا تعرف شيئاً عن ولدها، فجعلوا يوماً في العام لهؤلاء الأبناء الذي قطَّعوا أواصر الصلة بينهم وبين أمَّهاتهم، أن يتذكَّر هذا الولد أنَّ له أماً حملته في يوم من الأيام وربَّته.

من تشبَّه بقوم فهو منهم:

هذا هو عيد الأم، لهؤلاء الأمهات، عيد الأم لمن فقدت الوفيَّ لها فلم تجد إلا الكلب، أما نحن يا أمة الإسلام، يا أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فبمن نتشبَّه، «من كثَّر سواد قوم كان معهم» [رواه أبو يعلى والديلمي عن ابن مسعود رضي الله عنه]. نحن أمة يُقتدى بها ولا تقتدي بأمة من الأمم. نحن

أمة أكرمنا الله عزَّ وجلَّ بتشريع، وببركة هذا التشريع قال لنا مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] نحن أمة قدوة للشرق وللغرب، بالقيم والأخلاق والسلوك والوفاء، الغرب لا يعرف القيم، ولا يعرف الأخلاق، ولا يعرف الوفاء، والواقع يصدِّق هذا، فلمنْ نقلد؟

فتشبَّهوا إنْ لم تكونوا مثلهمْ إنَّ التَّشبُّه بالكرامِ فلاحُ

بمن نتشبَّه؟ بمن لا يعرف أمَّه إلا في العام يوماً واحداً، نحن أسوتنا وقدوتنا سيد الخلق، وحبيب الحق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، القائل: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة» [رواه الترمذي وأحمد]، قدوتنا المعصوم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أنقذ الأمة من الضلال إلى الهدى، وأخرجها من الظلام إلى النور، الذي كرَّم الأمهات أيَّما تكريم، عندما جاءه رجل وقال: يا رسول الله، مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك» [رواه البخاري ومسلم].

قدوتنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي ضرب أروع الأمثلة في الوفاء للنساء عامة، وللأمهات خاصة، وللزوجات كذلك، فكان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وفياً لأمه بعد موتها، عندما كان يمرُّ على قبرها. وكان وفياً لنسائه وخاصة للسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها.

أسوتنا وقدوتنا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وليس هؤلاء الأسوة والقدوة لنا، لأنَّ الأبناء في الغرب لا يعرفون آباءهم، ولأنَّ أكثرهم أبناء زنى وأبناء حرام، لأنَّ الرجل يتعرَّف على المرأة، وتنجب ولداً أولاً وثانياً وثالثاً، وبعد ذلك إذا ارتأيا أن يجريا عقد زواج بين بعضهما البعض أجريا هذا العقد! هؤلاء الذين لا يعرفون أواصر المودة والمحبة، نحن لسنا كذلك،

ولسنا بأغبياء أن يستغلَّنا التجار بدعاياتهم أن نكون بررة بأمهاتنا، من أجل أن يأخذوا أموالنا.

دار عقوق الآباء والأمهات:

أقول لك أيها المسلم: أتقلِّد هذا الرجل الأجنبي الغربي الذي لا يعرف أمَّه إلا في العام مرَّة واحدة؟ نحن أمة بكلِّ نفس من أنفاسنا نرعى أمهاتنا، وخاصة أيام الشيخوخة والضعف الثاني، لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. نحن أمة نعمل في حاضرنا مع التفاتنا إلى ماضينا، ونأمل لمستقبلنا أن نعيش مكرمين. المسلم يربط نفسه بالأزمنة الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل، ينظر إلى ماضيه فيجد أباه وأمه، ويجد الحق جلَّ وعلا يقول لهذا الولد ليغتنم من حاضره، ليحترم ماضيه، فيقول له: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

أين أمه؟ في دار العجزة والمسنين، عندما يكتب البعض دور الرحمة، عوضاً من أن يكتبوا دور الرحمة، ليكتبوا عليها دور عقوق الأمهات والآباء، أن تذهب إلى تلك الدار لترى الأم والأب ملقى في هذه الدار، التي أسماها الناس دار الشفقة والرحمة، لا أيها الإخوة، هي دار العقوق، الله عزَّ وجلَّ يقول لنا بنصِّ القرآن الكريم: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ هل انتبهت إلى كلمة عندك؟ وأسمع زوجتك هذا، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ لماذا؟ انظر إلى الماضي، وتطلَّع إلى المستقبل، لأنَّ الذي جرى على أبيك سيجري عليك، الشيخوخة ستأتيك، والضعف والعجز سيأتيانك،

قل هذا لزوجتك التي تصر على ألَّا تكون أمك في بيتها، لأنها تتدخَّل، قل لها: يا زوجاه، ربما أن تكوني في يوم من الأيام هذه الأم التي لا يتفقَّدها ولدها، ألم تسمعوا أيها الإخوة قول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: «برُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم» [رواه الطبراني والحاكم].

أيها المسلم! ازرع لنفسك:

المسلم يعمل في الحاضر وهو مرتبط بالماضي، من أجل أن يزرع لمستقبله، لأنَّ غيبنا ما أطلعنا اللهُ عزَّ وجلَّ عليه، ألم يقل مولانا جلَّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] أتدري ما هو غيبك؟ أتدري ما هو مستقبلك؟ أتدري هل في المستقبل سيبقى مالك أو قوتك أو عافيتك؟ هل عمرك طويل أم قصير؟ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ماذا أعمل يا رب؟ ماذا أعمل يا رسول الله؟ «اغتنم خمساً قبل خمس» [رواه الحاكم]، اغتنم فترة الشباب، وفترة حياتك، اغتنم فترة وجود أبويك، والحسرة على من مات أبوه وماتت أمه وهما غاضبان عليه، و«رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد» [رواه الترمذي والحاكم وابن حبان] وكذلك الوالدة، العاقل هو الذي يغتنم اللحظة التي هو فيها، أبوك وأمك على قيد الحياة ولا تتعرَّف عليهما إلا من العام إلى العام؟ وأنت الذي تقدم هدية لأمك في الواحد والعشرين من آذار؟ نعم، لم؟ أنا بارٌّ بأمي، وهل أكلتَ ميراثها بعد وفاة أبيك؟ نعم، ما أعطيتُها حقَّها من الميراث. وأنت العاقُّ لأمِّك، طوال السنة تقول لها: أف، وتنهرها، وتعبس في وجهها، ويكفهرُّ وجهك، لأنها بدأت تتكلَّم، كثر كلامها، وربما مع خِفَّة في عقلها، لأنه كما قال مولانا: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠] فإذا رُدت إلى أرذل العمر، فربما أن تتكَّلم بغير وعي، وتتدخَّل في الشاردة والواردة، والله يحذِّرك

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] ربما أن تقع في العقوق وينتهي أجلها بعد ساعة.

حدثني بعضهم والله، أنه كان من أشدِّ الناس عقوقاً لأمه ولأبيه، وفي يوم من الأيام دخل على أبيه، وبعد التأفُّف والنَّهْر قام بضرب أبيه، وبعد أن ضرب أباه وتفل عليه ذهب إلى بيته لينام مع زوجته، مع صاحبته بيته، لأنَّ السيدة صاحبة البيت هكذا تريد، لا تريد الأم ولا الأب، وما هي إلا سويعات حتى اتصل به إخوته وقالوا له: أعظم الله أجرك لقد مات أبوك، وجاء الولد مسرعاً يبكي وقال لي: لقد قضيت الليلة كلَّها في فراشه وأنا بجانبه أبكي، هل يتوب الله عزَّ وجلَّ عليَّ؟ هيهات هيهات يا أيها المسكين. إيَّاك أن تقول كلمة أفٍّ، لأنه بعد كلمة أف قد ينتهي أجلها، وإذا انتهى أجلها والإيمان في قلبك، ماذا ستفعل في داخلك عندما يتمزَّق فؤادك، لأنَّ أمَّك ماتت وهي ساخطة عليك؟!

لسنا بحاجة لعيد للأم:

أيها الإخوة: نحن لسنا بحاجة إلى الواحد والعشرين من آذار لنتعرَّف على أمِّنا، نحن في كلِّ نَفَس من أنفاسنا نكون بَرَرَة بأمهاتنا وبآبائنا، لأنَّ أمَّنا كلَّما تقدَّم بها العمر كانت هي البركة في بيتنا، كانت هي الرحمة في بيتنا، لأننا نُرحم بالآباء وبالأمهات، وورد بأنَّ الأم إذا ماتت نادى مناد للولد: ماتت التي كنا نكرمك من أجلها، فاعمل صالحاً نكرمك من أجله.

الغرب لا يعرف هذا، أنحاكي الغرب ونقلِّده، فأفٍّ على أمَّة وعلى شباب لا يعرفون أمهاتهم إلا في الواحد والعشرين من هذا الشهر، نحن أمة إذا تقدَّم العمر بآبائنا وأمهاتنا فنحن في خدمة نعالهم، بررة بهم، مهما كان حالهم

لأنَّنا نفوِّض أمرنا وأمرهم إلى الله ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

أيها الإخوة: المسلم هو الإنسان العاقل، الذي يعمل في حاضره بعد أن نظر إلى ماضيه، نظر إلى أمه وإلى أبيه، فاستغلَّ اللحظة التي هو فيها، لأنَّ اللحظة التي هو فيها هو في فترة القوة، تجاوز مرحلة الضعف الأول ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] من رعاك في ضعفك الأول؟ أمك وأبوك. أنت الآن في مرحلة القوة، وأمك وأبوك دخلا في مرحلة الضعف في المرة الثانية، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ولذلك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول: «ما أكرم شاب شيخاً ـ وهو الذي تقدَّم به العمر فصار عجوزاً ـ لسنِّه، إلا قيَّض الله له من يكرمه عند سنِّه» [رواه الترمذي].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الأبناء: أناشدكم الله كونوا بررة بآبائكم وأمهاتكم، هذا ديننا.

أيها الشاب، اغتنم الحاضر وأنت تنظر إلى الماضي، لتتفاءل في المستقبل، وإلا فوطِّنْ نفسك لمستقبل مظلم لا قدر الله عندما لا تجد حولك ولداً يرعاك، أو بنتاً ترعاك، وربما أن تُلقى في دور الشفقة والرحمة، في دور العجزة، ومن الذي يرعاك في دور العجزة؟ إن كان ولدك لا يرعاك فهذا الذي يتقاضى أجراً شهرياً ضعيفاً أتتوقَّع أنه يرعاك؟ لا وربِّ الكعبة، لا يرعاك إلا صاحب الإيمان، فأدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبِّ نبيِّكم، وآل بيته، وتلاوة القرآن.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا بررة بآبائنا، وأمهاتنا، وأن يجعل أبناءنا وبناتنا بررة بنا، وأن يجعلنا جميعاً بررة بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الغاية من صلة الأرحام[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

العيد نعمة من نعم الله تعالى أسبغها على عباده المؤمنين، وذلك بعد أداء عبادتين عظيمتين، عبادة الصوم وعبادة الحج، وأنت في الحقيقة في عيد عندما تكون لله عزَّ وجلَّ طائعاً، لأنَّ الطاعات تولِّد فرحاً وسروراً عند الطائع، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. إذا انتفى عنك الخوف والحزن فأنت في فرح وسرور.

فمن جاءه شهر رمضان فصامه حقَّ الصيام وقامه حقَّ القيام، فإنه يستحقُّ أن يعيش في اليوم الأول من شهر شوال يوم عيدٍ مبارك عليه، حيث يُدخل الله تعالى الفرحة في قلبه، وآثار هذه الفرحة ينقلها للآخرين عندما يلتقي بهم يوم العيد.

صلة الأرحام مظهر من مظاهر العيد:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من أعظم مظاهر العيد السعيد صلةَ الأرحام التي تكون بين المؤمنين، لأنَّ العبد الذي خرج من شهر رمضان المبارك بعد صيامٍ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢/١٠/١٤٣١هـ، ١٠/٩/٢٠١٠م.

وقيامٍ وقربٍ من الله تعالى، يسرع لامتثال أمر الله تعالى وخاصةً في صلة الأرحام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

وقد حذَّر الله تعالى من قطيعة الرحم بقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٢-٢٤].

الواصل ليس هو المكافئ:

أيها الإخوة المؤمنون: يجب علينا أنْ نعلم بأنَّ صلةَ الرحم واجبةٌ علينا، وصلة الرحم تعني أن نصل من قطعنا، وأن نُحسن إلى من أساء إلينا، وأن نحلُم على من جهل علينا، لأنَّ واصل الرحم التي تصله لا يسمى واصلاً لها، إنما هو المكافئ، وذلك لقوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

لذلك بيَّن لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم هذا الفارق بين الواصل والمكافئ بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكنَّ الواصل مَنْ إذا قطعت رحمه وصلها» رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وهذا ما يجب على المسلم الملتزم أن يجسِّده سلوكاً وعملاً، بحيث يعامل الآخرين بالفضل لا بالعدل، وخاصة الرحم.

تعامل مع رَحِمك بالفضل، فَصِلْهم إذا قطعوك، وأحسن إليهم إذا أساؤوا إليك، واحلُم عليهم إذا جهلوا عليك، فإن فعلت ذلك فأنت الواصل للرحم حقيقةً، وأنت المُؤَيَّد من الله تعالى، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون

علي، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك».

يا عباد الله لنصل أرحامنا مكافأة، ولنصل أرحامنا إذا قطعوا، لنكون من المتنافسين في العمل الأحسن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك: ٢].

يا عباد الله: إن كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» رواه مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

إن كان هذا في حقِّ العامة من المؤمنين، فهو يتأكَّد أكثر في حقِّ الرحم المؤمن، لأنَّ هذا له حقُّ الرحم وحقُّ أخوة الإيمان، فكونوا خيراً من رحمكم إذا أساؤوا ـ لا قدَّر الله تعالى ـ فإذا عصى رَحِمُك اللهَ فيك، فأساؤوا إليك وجهلوا عليك وقطعوك، فلا تعصِ الله عزَّ وجلَّ فيهم، يكفي وجود عاصٍ واحد، لا يكن العصاة متعددين، وخير ما تكافئ به العاصيَ أن تطيع الله تعالى أنت فيه.

تذكَّروا يا عباد الله قول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. فاعفوا واصفحوا عن أرحامكم إذا أساؤوا، وتذكَّروا قول الله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦].

الغاية من صلة الأرحام:

أيها الإخوة المؤمنون: ربُّنا عزَّ وجلَّ عندما أمرنا بصلة الرحم أمر بذلك لغاية، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح فيما بين الأرحام، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

أمر بذلك لكي نكون متناصحين، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم» رواه الإمام مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه. وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فلا نجعل من صلتنا للأرحام مجالس غفلة عن الله عزَّ وجلَّ، مجالس لهو ولغو، لأننا سوف نُسأل يوم القيامة عن ذلك، وربما أن يتحسَّر الإنسان يوم القيامة على تلك المجالس التي كانت مليئة باللهو والغفلة واللغو، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «ما اجتمع قوم فتفرَّقوا عن غير ذكر الله، إلا كأنَّما تفرَّقوا عن جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة».

ولنعلم جميعاً ونحن نزور الأرحام قول الله تعالى عندما يصف عباده المفلحين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣]. وكما وصف ربنا عزَّ وجلَّ عباد الرحمن بقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

المخالفات الشرعية عند زيارة الأرحام:

أيها الإخوة الكرام: ربُّنا عزَّ وجلَّ ما شرع لنا الطاعات لتكون سبباً للوقوع في المخالفات، ربنا عزَّ وجلَّ عندما شرع لنا زيارة الأرحام حذَّرنا من الوقوع في المخالفات والمحظورات أثناء زيارة الأرحام، ومن جملة ذلك:

أولاً: الدخول على النساء من غير المحارم:

يا عباد الله، كثيرٌ من الناس الذين يقومون بصلة الأرحام يقعون في بعض

المخالفات الشرعية، والتي من جملتها الاختلاط بالنساء من غير المحارم، بحيث يدخل الرجل على زوجة عمِّه وخاله، يدخل على بنت خاله وخالته، وبنت عمِّه وعمَّته، وكلُّ هذا حرام لا يجوز شرعاً، وذلك لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إيَّاكم والدخولَ على النساء» [يعني غير المحارم]، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت» رواه الإمام مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ويتأكَّد هذا التحريم إذا صارت هناك خلوة بهؤلاء النساء اللواتي يحلُّ للرجل الزواج منهنَّ، حيث يلعب الشيطان بين الرجل والمرأة، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: «إيَّاكم والخلوة بالنساء، والذي نفسي بيده، ما خلا رجل وامرأة إلا دخل الشيطان بينهما، وليزحم رجل خنزيراً متلطِّخاً بطين، أو حمأة، خير له من أن يزحم منكبُه منكبَ امرأة لا تحل له».

وكم سمعنا من ارتكاب الفواحش بسبب هذا الاختلاط، كم من رجل خان أخاه في زوجته، وكم من رجل خان عمه في زوجته أو ابنته، وكم من رجل خان خاله في زوجته أو ابنته وهكذا... فاحذروا عباد الله الدخول على النساء الأجنبيات خشية الوقوع في المخالفات، ودرءُ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح.

ثانياً: الغيبة والنميمة:

أيها الإخوة المؤمنون: كثيرٌ من الناس عندما يقومون بصلة الأرحام يقعون في كبيرة من الكبائر وهم لا يشعرون، والتي من جملتها الغيبة والنميمة وتتبُّع العورات، وكلُّنا يعلم حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه» رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أما حديث تتبُّع العورات فالكلُّ يعلمه، وذلك عندما يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنه من يتَّبع عوراتهم يتَّبع الله عورته، ومن يتَّبع الله عورته يفضحه في بيته» رواه الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

احذروا يا عباد الله الغيبة وتتبُّع العورات أثناء زيارات الأرحام، فلا تجعلوا من الطاعة سبباً للمعصية، ودرءُ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح.

ثالثاً: كشف العورات:

يا عباد الله، الكثير من النساء يتساهلْنَ في كشف العورة، إما بالثياب الضيِّقة، وإما بالثياب الرقيقة، وإما بالثياب القصيرة، وربما يدخل الرجل على بعض أرحامه ويرى هذا بعينه، وهو من جملة المنكرات ولا يتغيَّر وجهه لله تعالى، يرى كشف العورات وهو ساكت، والساكت عن الحقِّ شيطان أخرس.

يا عباد الله، احذروا هذه المعصية أثناء زيارة الأرحام، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وذكِّروا محارمكم بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسْنِمَة البُختِ المائلة، لا يدخلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

احذروا هذه المنكرات التي نتائجها وخيمة، ولقد سمعنا عن زنى المحارم الشيء الكثير، ودرءُ المفاسد مقدَّم على جلب المصالح.

استغلُّوا زيارة الأرحام بالتبليغ عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وتذكَّروا قوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «بلِّغوا عنِّي ولو آية» رواه البخاري.

ثمرات صلة الأرحام:

أحبابَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، احذروا المخالفات الشرعية أثناء صلة الأرحام، لأنه من تمام فضل الله عزَّ وجلَّ علينا أنه رتَّب لنا على صلة الأرحام ثمرات منها:

أولاً: الله تبارك وتعالى يصل واصل الرحم:

أعظم ثمرة من ثمرات صلة الأرحام هي أنَّ الله عزَّ وجلَّ يصل واصل الرحم، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٢-٢٤].

ثانياً: واصل الرحم يبارك الله تعالى في عمره ورزقه:

عبادَ الله: إنَّ واصل الرحم يكرمه الله تعالى بالبركة في عمره والبركة في

رزقه، كما جاء في الحديث الشريف عن أنس رضي اللهُ عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «من أحبَّ أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسَأ له في أثره، فليصلْ رحمه» رواه البخاري.

ثالثاً: واصل الرحم لا يخزيه الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ واصل الرحم لا يخزيه الله تعالى، وكيف يُخزي الله عبداً يعامل الناس بالفضل لا بالعدل، وهذا ما أكَّدته أمُّنا السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها، عندما رجع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من غار حراء في المرة الأولى وفؤاده الشريف يرتجف، وقال لأمِّنا السيدة خديجة رضي الله عنها: «زمِّلوني زمِّلوني»، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: «أي خديجة ما لي»، وأخبرها الخبر، قال: «لقد خشيت على نفسي»، قالت له خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم...» رواه مسلم.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

عباد الله: لنكن من الواصلين لأرحامنا وإن قطعت وأساءت وجهلت، لنكن واصلين لأرحامنا مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنحذر الاختلاط بالنساء والخلوةَ بهنَّ، لنحذر الغيبة وتتبُّع العورات، ولنبلِّغ الأحكام الشرعية عند زيارتنا للأرحام، راجين المولى عزَّ وجلَّ أن يكرمنا بثمرات صلة الأرحام، نسأل الله تعالى أن يصلنا برحمته ويبارك لنا في أعمارنا وأرزاقنا. آمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

العدل بين الأولاد[1]

مقدِّمة الخطبة: ماذا بالعدل:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبالعدل قامت السماوات والأرض، وبه يصلُحُ حال الدنيا، وبه تكون الأُلفة، وبه تَعْمُر البلاد، وبه يُدْفع إلى الطاعة، وبه تنمو الأموال، وبه تُحفظ الأعمال، وبه تأمن الرعية والراعي، وبه يكون القبر روضة من رياض الجنة، وبه تَبيضُّ الوجوه، وبه تَثقُل الموازين، وبه تُزحزح عن النار وتَدخل الجنة.

بالعدل تُحبِّبُ الناسَ بالإسلام، بالعدل تُحبِّبُ الناسَ بالقرآن، بالعدل تُحبِّبُ الناسَ بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، بالعدل تُحبِّبُ الناسَ فيك، بالعدل تَكبُرُ في أعين الناس، بالعدل يخلد ذكرك بعد موتك.

هكذا تربى أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أيُّها الإخوة الكرام: ربَّى النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أصحابَه على خُلُق العدل، ربَّاهم على العدل بين الناس جميعاً، ربَّاهم على أنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبع مهما كانت العواطف في نفوسهم من حبٍّ أو بغض.

هذا سيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يبعثه النبي صلى الله عليه

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٩/١١/٢هـ، ٢٠٠٨/١٠/٣١م.

وعلى آله وصحبه وسلم إلى أهل خيبر ـ وما أدراك ما أهل خيبر! أهل خيبر منهم تلك المرأة التي قدَّمت الذراع المسموم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، هذه امرأة من نسائهم فكيف برجالهم؟ ـ أرسل النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عبدَ الله بنَ رواحة رضي الله عنه إليهم ليخرص عليهم ـ ليقدِّر عليهم ـ ثمارهم وزروعهم، فأرادوا أن يرشوه ليَرفُقَ بهم.

فقال: (يا أعداء الله تطعموني السحت؟ والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إليَّ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدَّتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إيَّاكم وحبِّي إيَّاه على أن لا أعدل بينكم) فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. رواه البيهقي.

المجالات التي يدخل فيها العدل:

معشر المسلمين: إنَّ المجالات التي يدخل فيها العدل كثيرة جداً منها:

في الولاية العامة، والولاية الخاصة، وفي القضاء، وفي الشهادة، وفي الكتابة، وفي معاملة الزوجات، وفي معاملة الأولاد، وفي الكيل والأوزان إلى غيرها من المجالات.

العدل بين الأولاد:

أيُّها الإخوة المؤمنون: أريد أن أقف معكم في هذه الخطبة مع مسألة العدل بين الأولاد، حيث أرى الكثير من الأبناء وقع في العقوق لوالديه بسبب جور الأب أو الأم أو كليهما في تعاملهما معه، وأسمع كثيراً من النساء مَنْ وقعت في العقوق لوالديها بسبب الجور والظلم منهما، حتى وصلت بعض النساء إلى درجة اللعن لوالديها بعد موتهما، وأما الشقاق والنزاع وتقطيع الأرحام فيما بين الإخوة والأخوات بسبب جور الآباء، فحدِّث عنه بلا حرج.

أيُّها الآباء أيَّتُها الأمهات: أريد أن أذكِّر نفسي وأُذكِّركُم ببعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تحثُّنا على العدل.

أولاً: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. الله يأمرك بالعدل بشكل عام، فيجب عليك أن تعدل مع جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، فكيف لا تعدل بين أولادك؟

ثانياً: يقول تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۡۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۡۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]. تنبَّه إلى قوله تعالى: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۡ﴾. وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾. فما أنت قائل لربك إذا جمع بينك وبين ولدك؟ سيسأل الله الولد: لماذا عققتَ والديك؟ هيِّئ الجواب لله تعالى أيُّها العاقُّ لوالديه! وسيسألك الله تعالى أيُّها الأب لماذا لم تعدل وقد أمرتك بالعدل؟ هيِّئ الجواب لمولاك أيُّها الأب!

ثالثاً: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١]. هذه وصية الله عزَّ وجلَّ لكم أيُّها الآباء والأمهات، ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾. بدون قيد ولا شرط ما داموا مؤمنين، ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾. فلماذا الجور والظلم في وصيتكم؟ وهذا لهذا، الذهب للبنات... المعمل والمصنع للذكور... البيوت والمزارع للذكور... والنذر اليسير للبنات... لا تقسم التركة بعد موتي، كلُّ شيء على حاله حتى تموت أمُّكم...!!

اسمع يا أخي: إنَّ وصيَّتك هذه أبطلها الشرع، لأنه ما بقي لك حقٌّ في مالك بعد موتك، وأعطى الله عزَّ وجلَّ الحقَّ لورثتك فهم ينفذونها أَوْ لا، فإن كانوا أبراراً فلا حاجة لوصيتك لأنَّهم سيلتزمون شرع الله تعالى في القسمة فلا يضيِّعون حقَّ أحد، وإن كانوا غير ذلك فلا قيمة لوصيَّتك لأن الذي كان عاقَّاً لوالديه في حال حياتهما فهو من باب أولى أن يكون عاقَّاً لهما بعد موتهما إلا إذا تاب إلى الله.

فيا أيُّها الإخوة الكرام لماذا هذا العبث في الأحكام؟ لماذا هذا الهوى الذي مالَ بنا عن جادة الإسلام؟ والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥].

لماذا هذا الجور في التعامل؟ لا تقل: أنا حرٌّ في مالي، أنت لست حراً، بل أنت عبد مملوك لله عزَّ وجلَّ، والمال مال الله تعالى استأمنك عليه، فلا تتصرَّف فيه إلا بما رسم لك مولانا عزَّ وجلَّ في القرآن العظيم

رابعاً: تعال واسمع يا من جُرْتَ في وصيتك إلى ما يحدِّثُك به الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى حافَ في وصيته، فيختم له بشرِّ عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشَّرِّ سبعين سنة، فيعدل في وصيته، فيختم له بخير عمله، فيدخل الجنة» رواه الإمام أحمد.

قال: ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث: واقرؤوا إن شئتم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: «إنَّ الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضرهما الموت فيُضارَّان في الوصية، فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٢-١٣] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

هذه الآيات جاءت بعد آيات المواريث في سورة النساء، والتي ابتدأت بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١].

خامساً: اسمعوا أيُّها الإخوة الأعزاء، يا من يقسمون أموالهم في حال حياتهم، عن عروة، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنَّ أباه أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال: (إني نَحَلْتُ ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أَكُلَّ ولدكَ نَحَلْتَهُ مثل هذا؟» فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «فارجعه») رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم قال: تصدَّق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهِد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فانطلق بي أبي إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليُشهِده على صدقتي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أَفَعَلْتَ هذا بولدك كلِّهم»؟ قال: لا، قال: «اتَّقوا الله واعدلوا في أولادكم» قال: فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة.

وفي رواية لمسلم: قال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

«يا بشير، ألك ولدٌ سوى هذا»؟ قال: نعم، فقال: «أكلَّهم وهبْتَ له مثلَ هذا»؟ قال: لا، قال: «فلا تُشْهِدْني إذاً، فإني لا أشهد على جَوْرٍ».

وفي رواية لمسلم قال النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أيسرُّك أن يكونوا إليك في البِرِّ سواءً»؟ قال: بلى، قال: «فلا إذاً».

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيُّها الإخوة الكرام: عليكم بالعدل بين الأبناء، وإياكم والجورَ والظلم بسبب العواطف، عواطف الحب أو عواطف البغض، فالحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع، أعينوا أبناءكم على البرِّ، ورحم الله والداً أعان ولده على برِّه، لا تزرع الحقد في قلوب أبنائك عليك ولا فيما بينهم، اعدل بينهم في حال الحياة وسوِّ بين جميع أبنائك في العطاء للذكر مثل حظِّ الأنثى، وإياك أن تجور في الوصية عند موتك، واسمع أخيراً واحفظ: العقوق لا يمنع من الحقوق.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيها الأب كن واعظاً وإلا ...[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

هذه هي أيام العيد قد انتهت بعد انتهاء شهر رمضان المبارك، ولو دقَّقنا النظر في وضع شبابنا وشاباتنا لوجدنا أثر تربية أجهزة الإعلام، التي هي اليوم موجَّهة كلُّها لفساد عقيدة المسلمين ولفساد أخلاقهم، عرف هذا من عرف وجهله من جهله، وعلى كلِّ حال الواقع يصدِّق هذا.

لقد فسد الشباب والشابات، فرأينا المتخنِّثين من الرجال، والمترجلات من النساء إلا من رحم الله تعالى، كادت العقيدة أن تفسد، وكادت العبادات أن تضيع، وكادت الأخلاق الإسلامية أن تنقرض، وسبب كلِّ هذا غياب دور الآباء في التربية، وظهور أثر أجهزة الإعلام في التربية، حتى عاد كثير من الآباء مهمته في البيت تأمين الطعام والشراب واللباس والسكن لا أكثر ولا أقل، أما التربية فتركها لأجهزة الإعلام إلا من رحم ربي عزَّ وجلَّ.

الفطرة في الإنسان لن تموت بإذن الله:

أيها الإخوة الكرام: لكن بفضل الله عزَّ وجلَّ فطرة الإنسان التي فطره الله عزَّ وجلَّ عليها لن تموت بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٦/١٠/١٤٣٠هـ، ٢٥/٩/٢٠٠٩م.

ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]. لن تموت هذه الفطرة مهما حاول أعداء هذه الأمة في القضاء عليها، وإذا أردنا مصداق هذا فإنا نأخذه من قصة فرعون عندما أدركه الغرق، نطق بالفطرة رغماً عن أنفه فقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. ولكن نطق بها بعد فوات الأوان.

الفطرة لن تموت بإذن الله تعالى في نفوس هذه الأمة مهما تآمر المتآمرون وتكالب المتكالبون عليها، ومصداق هذا تراه في المقصِّرين من أفراد هذه الأمة في حقِّ الله عزَّ وجلَّ، عندما يريد أحدهم أن يتزوَّج يصرُّ على أن يتزوَّج من صاحبة الدين، يصرُّ أن يتزوَّج من صاحبة الحجاب، مهما كان عاصياً، بل ربما كان شارب خمر فاسقاً فاجراً، ومع ذلك تراه يبحث عن صاحبة الدين المتجلبِبَة.

عندما يريد أحدهم أن يزوِّج ابنته تراه مصرّاً على أن يبحث عن دين هذا الرجل وأخلاقه قبل أن يزوِّجه ابنته، مع أنه هو المقصِّر في حقِّ الله قبل غيره، فلو جاءه صديق له يشرب الخمرة معه، ويقترف الفاحشة معه، وطلب منه ابنته أو أخته ليتزوَّج منها، وفي نفس الوقت جاءه صاحب دين وخلق، فإنه يزوِّج ابنته أو أخته لصاحب الدين والخلق ولو لم يكن صديقاً له، ويقدِّمه على صديقه العاصي لله معه، لماذا؟ لأن الفطرة ما ماتت بين جوانحه.

وهكذا إذا أراد العاصي التجارة والمعاملات المالية بكلِّ صورها وأشكالها فإنه يحاول أن تكون مع صاحب الدين والخلق، لأنَّ الأمان عنده، لأنَّ الفطرة ما ماتت عنده.

لذلك نقول بكلِّ صراحة ووضوح: الفطرة لن تموت في نفوس المؤمنين بإذن الله تعالى مهما ركَّز أعداء هذه الأمة عليها، ولكن يجب علينا نحن

أيها الإخوة أن نصحوَ من غفلتنا، وأن نرجع إلى ديننا بالاختيار قبل أن نرجع إليه بالاضطرار.

كن واعظاً في بيتك ولا تكن سجَّاناً:

أيها الإخوة الكرام: يجب على كلِّ أبٍ فينا أن يكون واعظاً في بيته لأبنائه وبناته ولزوجته، لا أن يكون سجَّاناً، لا أن يكون جلَّاداً، لا أن يكون عنيفاً، لا أن يكون فظّاً غليظ القلب، يجب أن يكون واعظاً ومربِّياً وحكيماً، يجب على كلِّ أبٍ فينا أن يتعلَّم الوعظ من سيدنا لقمان عليه السلام الذي ذكره الله تعالى لنا في القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

انتبه إلى كلمة: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾:

أيها الأب انتبه إلى كلمة: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ والموعظة لا تكون إلا من قلب رحيم شَفُوق، الموعظة لا تكون من قلبٍ فظٍّ غليظ.

إن لم تكن أيها الأب واعظاً لأبنائك وبناتك، فسوف تتلقَّطهم أجهزة الإعلام الهدَّامة للدين والقيم والأخلاق.

كن واعظاً لأبنائك الذين ستُسأل عنهم يوم القيامة، كن واعظاً لهم بترسيخ الأمور التالية في نفوسهم.

الأمر الأول: العقيدة:

انظر إلى أسلوب الواعظ كيف يخاطب المربَّى بكلمة الحنان النابعة من قلب رحيم: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾. ثم قال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾.

ركَّز على العقيدة أولاً، لأنَّ كلَّ توجيه بدون ترسيخ للعقيدة في نفس المربَّى لا يفيد، العقيدة هي الأساس الذي يُصلِح داخلَ الإنسان، لأنَّ صلاح الظاهر دون صلاح الباطن وَهْمٌ، صلاح الباطن أولاً بالعقيدة بحيث يراقب المربَّى مولاه جلَّ وعلا الذي هو معه أينما كان.

فكلُّ عبادة وكلُّ خلق كريم بدون عقيدة صحيحة فهي فاسدة، وسريعة الزوال، عبادة بدون عقيدة نفاق، وأخلاق بدون عقيدة هي أخلاق تجارية سرعان ما تزول.

نشِّئ أولادك على العقيدة أولاً، كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يربِّي أصحابه وأهل بيته، وانظر كيف يوجِّه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ابنَ عمِّه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت

فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفَّت الصحف» رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الأمر الثاني: العبادة:

الأمر الثاني الذي يجب عليك أيها الأب نحو أولادك: أن تَعِظَهم بالعبادة بعد العقيدة، لأنَّ العبادة بعد العقيدة الصحيحة تعين على الأخلاق الحسنة، لذلك قال الواعظُ سيدُنا لقمان عليه السلام بعد أن رسَّخ العقيدة في نفس ولده: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

كن واعظاً لولدك بحيث تحرِّضه على العبادة منذ نعومة أظفاره، كما قال الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع» رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب رضي الله عنه. مره بالصلاة بالعبادة وهو ابن سبع سنين، واضربه عليها ضرباً غير مبرِّح وهو ابن عشر سنين، لأنَّ من شبَّ على شيء شاب عليه.

الأمر الثالث: الأخلاق:

الأمر الثالث الذي يجب عليك أيها الأب نحو أولادك: أن تَعِظَهم بحسن الأخلاق، كما قال تعالى عن الواعظِ سيدِنا لقمان عليه السلام وهو يعظ ولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨-١٩].

كن واعظاً وإلَّا...

أيها الأب الكريم: كن واعظاً لأبنائك وبناتك وإلَّا خسرت أولادك دنيا وأخرى، أما في الدنيا فمُلاحظ عند الجميع، عندما يكون الأب سجَّاناً أو جلَّاداً ولم يكن واعظاً، كم هو العقوق؟

العقوق انتشر انتشاراً واسعاً بسبب فقدان الموعظة في البيوت، وهذه خسارة ما بعدها خسارة في الحياة الدنيا، ما قيمة حياتك عندما ترى فلذة كبدك عاقاً لك؟

أما في الآخرة فتدبَّر قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]. لماذا هذا الفرار يوم القيامة من الأبناء؟

الجواب: لأنَّ الأب ليس واعظاً في بيته، وليس مربياً لأولاده على الفطرة التي فطرهم الله عليها، لذلك خسرهم دنيا وأخرى، شقي بهم دنيا وأخرى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سعادة الدارين بسبب الموعظة:

أيها الإخوة: سعادة الدارين لنا بالموعظة الحسنة التي تكون منا لأبنائنا، من كان واعظاً لأبنائه في الدنيا ربح بِرَّهم في الدنيا، واجتمع معهم في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤]. وكما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

فكِّروا بما تشاهدون:

أيها الإخوة: فكِّروا بما تشاهدون من وضع الشباب والشابات، هل يرضيكم هذا؟ لقد أصبح كلُّ شاب مريداً للزواج يتعب في البحث عن صاحبة الدين والخلق، وأصبح كلُّ وليٍّ فتاة يتعب في البحث عن صاحب الدين والخلق لبناته، سرُّ هذا التعب تخلِّينا عن الموعظة في بيوتنا إلا من رحم الله تعالى.

فكِّروا بما تشاهدون هل يرضيكم هذا؟ لقد أصبح كلُّ واحد منا يخشى على نفسه وعلى ذريَّته من هذا الوضع المتدهور الذي وصل إليه شبابنا وشاباتنا بسبب أجهزة الإعلام، وغياب دور الأب الواعظ في بيته.

فكِّروا بما تشاهدون هل يرضيكم هذا؟ لماذا انتشرت الفاحشة في المجتمع حتى بدأنا نسمع بزنى المحارم والعياذ بالله تعالى؟ السرُّ في هذا هو غياب الأب الواعظ في بيته، وترك التربية لأجهزة الإعلام التي تحاول تمزيق العقيدة والعبادة والأخلاق.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: لقد شاهدتم الذي شاهدتموه في أيام العيد من سفور وتبرُّج واختلاط بين الرجال والنساء، والمصافحة بين الرجال والنساء الأجنبيات، من بنات عم وعمة، وخال وخالة، وزوجة أخ، وزوجة عم، وزوجة خال، ما هي نتيجة ذلك؟

ضياع عقيدة وضياع عبادة وضياع أخلاق، فهل يرضيكم هذا؟

الجواب: قطعاً لا يرضيكم، فإذا كان هذا لا يرضي العقلاء فلنرجع إذاً إلى دور الواعظ في البيت مع الأبناء والبنات والزوجات لترسيخ العقيدة، ثم العبادة، ثم الأخلاق.

أسأل الله تعالى لي ولكم ولأصولنا وفروعنا سلامة العقيدة وصحة العبادة وحسن الأخلاق لنحقِّق سعادة الدنيا والآخرة معهم، ولنفوز بقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيها الأب! صدِّر موعظتك بكلمة حبٍّ[1]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ أثر تربية أجهزة الإعلام صار واضحاً على شبابنا وشاباتنا، لقد صار واضحاً عليهم من خلال العقيدة والعبادة والأخلاق، فكادت عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم تتلاشى لا قدَّر الله تعالى، لأننا قصَّرنا في الواجب الذي علينا.

فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أجمعينَ:

أيها الإخوة: تذكَّروا جميعاً قول سيدنا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّكم راع، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، والإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلُّكم راع ومسؤول عن رعيته» رواه مسلم عن ابن عمَر رضي الله عنهما. فذكرَ الرجلَ والمرأةَ في الحديث ليتحمَّل كلُّ واحد منهما مسؤوليته نحو أبنائه.

نعم إن وزراء الإعلام سيتحمَّلون المسؤولية يوم القيامة عما يبثُّون في أجهزة الإعلام، وذلك لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٣/١٠/١٤٣٠هـ، ٢/١٠/٢٠٠٩م.

يَعْمَلُونَ﴾ [الحِجر: ٩٢]. ولقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. ولقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «فكلُّكم راع ومسؤول عن رعيته».

ومسؤولية أجهزة الإعلام ووزراء الإعلام والقائمين على الإعلام لا تعفيك عن مسؤوليتك أيها الأب وأيتها الأم، ولتتذكروا أيها الآباء وأيتها الأمهات قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]. لماذا هذا القرار؟ هذا القرار بسبب تقصيرنا في تربية أبنائنا.

فمهمَّتنا ليست الإنجاب فقط، مهمَّتنا التربية وفق المنهج الذي رسمه لنا القرآن العظيم، والسنَّة النبويَّة المطهَّرة، هذا إذا أردنا أن ننتفع من أبنائنا بعد موتنا بدعوة صالحة، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. والولد الصالح هو الذي يقول بعد موت أبويه: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. ولم يقل: كما خلَّفاني، فلا تُغيِّب أيها الأب وأيتها الأم دور تربيتكما نحو أبنائكما.

أيها الأب! صدِّر موعظتك بكلمة حبٍّ:

أيها الأب: كن واعظاً، كن مربِّياً، وحتى تكون موعظتك نافعة ومؤثرة في نفس ولدك، صدِّر هذه الموعظة بكلمة حبٍّ، بكلمة عطف وحنان، بكلمة تدلُّ على ارتباط ولدك بك، فقل له عند بداية الموعظة: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾.

إياك أن تصدِّر الموعظة بكلمة قاسية، بكلمة تجرح الفؤاد، بكلمة نابية، بكلمة لا تليق أن تصدر من إنسان مؤمن، إياك أن تصدِّر موعظتك وتربيتك بكلمة تشبِّه فيها ولدك ببعض الحيوانات.

موعظة سيدنا لقمان خير شاهد:

أيها الإخوة: هذا سيدنا لقمان عليه السلام عندما أراد أن يعظ ولده ويعلِّمه التوحيد والعبادة والأخلاق صدَّر موعظته بكلمة ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، التي تُشعر الولد بارتباطه بوالده، نَسَبَهُ إلى نفسه، وهذا شرف عظيم للولد، وكرَّر هذه الكلمة مرات قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]. ثم قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٧-١٩].

ما أجملها من كلمة، ووالله إنها لتملك قلب الولد بذلك، فهل نخاطب أبناءنا بذلك عند توجيههم؟ كلُّ واحد منا يعرف كيف يخاطب ولده.

فهل الخطاب الذي نخاطب به أبناءنا ونصدِّره بكلمة، هل هذه الكلمة ترضي الله عزَّ وجلَّ، وتدخل إلى قلب الولد، أم أنها تُنَفِّر قلب ولدك منك، وإذا نفر قلب الولد من والده كيف ستؤثِّر الكلمة فيه تأثيراً إيجابياً؟ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

مهما كان ولدك قل له: يا بنيَّ:

أيها الإخوة الكرام: لا تتركوا كلمة ﴿يَٰبُنَيَّ﴾. عند تربية الأبناء مهما كان حالهم، لأنها خير كلمة تصدِّر بها موعظتك لأبنائك، لأنها ذُكرت في القرآن العظيم.

خاطب ولدك بذلك إن كان بارّاً تقيّاً صالحاً، فقل له: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾. وإن كان لا قدَّر الله فاسقاً فاجراً كافراً زنديقاً فصدِّر موعظتك له بـ ﴿يَٰبُنَيَّ﴾.

تعلَّم هذا من القرآن العظيم، حيث ذكر لنا ربنا عزَّ وجلَّ نموذجين من الأبناء: الأول: عبد تقي صالح نقي، والثاني: عبد فاجر كافر فاسق.

فالمربي الوالد قال لولده البار الصالح: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢] أراد أن يشركه في أجر امتثال أمر الله عزَّ وجلَّ، فقال المربَّى للمربي: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. ما أجمل هذا التبادل: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾. ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾.

والمربي الثاني قال لولده العاق: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣]. الأسلوب واحد من كليهما، لأنَّ أسلوب التربية الصحيح واحد.

وهذا شأن صاحب القلب الرحيم الشَّفوق، فإياك أن تدوس على شفقتك بقدميك إذا ما رأيت ولدك عاصياً، فإنَّ الرحمة لا تُنزع إلا من شقيٍّ، فلا تغيِّر أسلوبك في الموعظة مهما كان حال ولدك، لأنَّك والد، ولأنه مولود لك، وأنت مسؤول عنه يوم القيامة.

أيها الإخوة: لقد حُرِم أكثر الأبناء هذه الكلمة من الآباء، لذلك رأينا البَون الشاسع بين الأبناء والآباء، ورأينا العقوق، لأننا استبدلنا كلمة يا بني بكلمة جارحة توجَّه للأبناء سراً وعلانية، حتى وصل البعض أن يقول لولده إذا خالفه: إني أتبرَّأ منك.

أيها الأب الكريم: هل وصل ولدك إلى درجة الفسق والزندقة؟ وهل وصل إلى درجة الكفر والشقاق والنفاق حتى حرمته من كلمة: يا بني؟ إن قلت: نعم، فأقول لك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ

ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وهذا سيدنا نوح عليه السلام وصل ولده إلى ما وصل إليه، وما ترك كلمة: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾.

أيها الآباء: بفضل الله عزَّ وجلَّ أبناؤنا ما وصلوا إلى درجة الفسق والزندقة، وما وصلوا إلى درجة الكفر والشقاق والنفاق، الإيمان ما زال في قلوبهم، الخير ما زال فيهم، ولكن أين المحرِّك لهذا الخير الدفين فيهم؟

أيها الآباء: لا تتخلَّوا عن تربيتهم بالموعظة المصدَّرة بكلمة العطف والحنان بكلمة النسبة إليكم، لا تتركوا أولادكم لأجهزة الإعلام الضالِّة المُضِلَّة إلا ما رحم الله عزَّ وجلَّ.

لا تنس وصفَك ووصفَ ولدك:

أيها الإخوة الكرام: لا يجوز أن ننسى وصفنا، ووصفُ أبنائنا من وصفنا، ألم يقل النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التَّوَّابون»؟ رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه، فإذا كان هذا وصفنا، فلنكن متعاونين على البرِّ والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وخير عون على البرِّ والتقوى موعظة مصدَّرة بكلمة طيبة.

الخطأ من أبنائنا لا يجوز أن يدفعنا لإهمالهم وتركهم لأجهزة الإعلام الموجَّهةِ والموجِّهةِ لضياع العقيدة والعبادة والأخلاق من نفوس شبابنا وشاباتنا.

الدعوة بالموعظة الحسنة سنَّة الأنبياء والمرسلين:

أيها الإخوة: الدعوة بالموعظة الحسنة المصدَّرة بكلمة العطف والحنان هي سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذين هم قدوة البشر، الدعوة إلى الله تعالى رسم طريقها مولانا عزَّ وجلَّ في القرآن العظيم بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وهذا ما سلكه الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام. خذوا على سبيل المثال:

أولاً: هذا سيدنا موسى عليه السلام يخاطب قومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]. فكِّر في كلمة: ﴿يَٰقَوْمِ﴾. كم لها وقع في القلب.

ثانياً: هذا سيدنا هود عليه السلام يخاطب قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٧]. انظر كيف يخاطبهم ويخاطبونه، هو يقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ﴾. وهم يقولون له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، ومع هذا ما ترك قوله لهم: ﴿يَٰقَوْمِ﴾، فقال: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ثالثاً: هذا سيدنا صالح عليه السلام يخاطب قومه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٩]. تدبَّر هذا الخطاب من سيدنا صالح لقومه، والأسلوب ما تغيَّر حتى جاءت الرجفة.

وهذه سيرة جميع الأنبياء والمرسلين والتي خُتمت برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي قال له مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أيها الأبّ لا تكن فظّاً غليظ القلب، بل كن واعظاً رحيماً ولا تدع كلمة يا بني مهما كان حال ولدك.

وهو أسلوب الدعاة الحق:

أيها الإخوة الكرام: هذا الأسلوب هو أسلوب كلِّ داع إلى الله عزَّ وجلَّ، هو أسلوب كلِّ واعظ سلك طريق النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، خذوا على سبيل المثال:

أولاً: قول مؤمن أصحاب القرية، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١]. انظر إلى كلمة يا قوم منه، لقد كان حريصاً على البعيد منهم، فكيف لا تكون أنت حريصاً على القريب منك؟ حتى عندما قتله قومه قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧]. فما ترك الرحمة بهم حتى بعد قتله.

ثانياً: قول مؤمن آل فرعون، قال تعالى فيه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ

ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٨-٤٤].

تدبَّر هذا الخطاب، تدبَّر قول هذا المؤمن: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: نحن بأمسِّ الحاجة إلى الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة بالنسبة لأبنائنا، فإن كان لهم في علم الله نصيب من الهداية، وصل إليهم من طريقنا بحسن الموعظة وحسن الخطاب، وإن لم يكن لهم نصيب لا قدَّر الله تعالى في الهداية، فإنَّ ذمَّتنا تصبح بريئة بين يدي الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ الله تعالى كلَّفنا بوقايتهم من النار بالموعظة الحسنة، عندما قال لنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

اللهم ارزقنا الحكمة والموعظة الحسنة، واجعلنا هاديين مهديين، ومثل ذلك لأصولنا وفروعنا وأحبابنا، واحفظنا جميعاً يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أيها الأب! لا تكن متناقضاً في شخصيتك[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إن الله سائل كلَّ راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل على أهل بيته» رواه النسائي. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه» رواه البخاري.

أيها المسلم! ضع هذا الحديث والسابق في أذنك، واعلم أنك مسؤول عنه أمام الله عزَّ وجلَّ، وأمام الأجيال، وأمام طفلك عندما يكبر.

من المسؤول عن ضياع الشباب والشابات؟

أيها الإخوة شبابنا في ضياع وشاباتنا في ضياع، وكلُّنا يعاني من ضياع الشباب والشابات، من منا لا يشكو من ولده وبنته؟ الكلُّ يشكو إلا من رحم الله عزَّ وجلَّ من ضياع الشباب والشابات، فمن المسؤول عن ضياعهم؟

المسؤول عن ضياعهم كلُّ أب وأم، فالأب عندما يكون مشغولاً بتجارته، مشغولاً بعمله، مشغولاً بأصدقائه، مشغولاً بسهراته مع خلَّانه، والأم

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢٠/١٠/١٤٣٠هـ، ٩/١٠/٢٠٠٩م.

مشغولة بجمالها، مشغولة باستقبالاتها، مشغولة بسهراتها، مشغولة بأجهزة الإعلام من مسلسل إلى مسلسل، ومن مسرحية إلى مسرحية، هما السبب في ضياع الأبناء والبنات.

ومن الذي يربي الأولاد؟ الذي يربي الأولاد أجهزةُ الإعلام، الذي يربي الأولاد أناس من غير جلدتنا، الخادمات اللواتي أقبلن من إندونيسيا وأثيوبيا، من هنا ومن هناك، لا تعرف العربية، ولا تعرف ماذا نريد لأولادنا، وهذا الأمر تفشى في المجتمع، وأسأل الله تعالى أن يحفظ هذه البلدة وسائر بلاد المسلمين من هذا الشرِّ المستطير، وإذا أردتم أن تعرفوا حقيقة هذا الأمر فاسألوا عنه في الأحياء الراقية في محافظاتكم، فاسألوا عنه دول الخليج، لقد صار الشباب والشابات لا يعرفون إلا الميوعة والغناء والرقص، ووالله لقد سألني بالأمس سائل عن رجل ماذا يفعل مع ابنته الشابة التي بلغت من العمر أكثر من عشرين عاماً، لها أصدقاء كثر، انحرفت عن جادة الصواب، وقعت في الفاحشة، ضيَّق عليها أبوها فهدَّدته بالرحيل عن بيته، وفعلاً هربت من البيت أياماً عديدة حتى وصل إليها أبوها وهي خارج القطر، فعادت مستأسدة بكلِّ وقاحة وجرأة ستبقى على ما هي عليه، وأخذت تؤثر على أختها وإخوتها، هل يجوز قتلها؟

قلت: لقد قتلها أبوها قبل أن يقتلها، لقد قتلها أبوها بسوء اختيار أمها، لأنه نسي: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد قتلها أبوها لأنه أسلمها لأجهزة الإعلام.

لقد قتلها أبوها لأنه أسلمها إلى الخادمة لتربيتها.

لقد قتلها أبوها لأنه كان حريصاً على أن يُلبسها أجمل الثياب وأحلاها من الثياب الضيقة الرقيقة القصيرة.

لقد قتلها أبوها عندما لم يدرِّبها على لباس الحشمة والوقار، عندما لم يأمرها بالصلاة وهي بنت سبع سنين، ولم يضربها عليها وهي بنت عشر سنين.

لقد قتلها أبوها عندما سمع كلام أمها وهي تقول له: إنها صغيرة لا تضيِّق عليها من أجل الصلاة، إنها صغيرة لا تضيِّق عليها من أجل الحجاب، دعها أن تتنفس لتذهب إلى المطاعم والمنتزهات من أجل التسلية.

لقد قتلها أبوها عندما أهمل تربيتها وسمع كلام أمها أن يشتري لها هاتفاً خاصاً بها ـ هاتف الجوال والنقال ـ لأنَّ مثيلاتها عندهنَّ الجوالات.

نعم لقد قتلها أبوها ودمَّرها تدميراً وهي على قيد الحياة.

كن قدوة صالحة لأبنائك:

أيها الأب الكريم! كن واعظاً لأبنائك، وصدِّر موعظتك بالكلمة الطيبة، بكلمة الحب والعطف والحنان، صدِّر موعظتك بكلمة ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [لقمان: ١٣].

أيها الأب الكريم! كن قدوةً صالحة وأسوة حسنة لأبنائك، لأنَّ الإنسان بالتقليد قد يتعلَّم في يوم واحد ما لا يستطيع أن يتعلَّمه طوال شهر، تعلَّم هذا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم القائل: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي» رواه الإمام أحمد عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه. كن مصلّياً أمام أبنائك وبناتك، لا تكن تاركاً للصلاة.

تعلَّم من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن تكون قدوة صالحة وأسوة حسنة لأبنائك وبناتك القائل بشأن الحج: «خذوا عني مناسككم» رواه مسلم عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما.

ما رسخ بالتقليد منذ نعومة الأظفار من أعمال وعادات وسلوك فمن العسير جداً أن يتخلَّى عنه الإنسان في كبره، ولو كانت الأعمال غيرَ صالحة، بل ولو كانت ضارة.

وإذا أردت مصداقيَّة هذا فانظر إلى المشركين، لما غلبتهم الحجة العقلية بأنَّ ما هم فيه من شركٍ أمرٌ باطلٌ لا خيرَ فيه، ويعرِّضهم لعذاب الله، تذرَّعوا لإصرارهم على الاستمرار بما هم فيه من شرك وأعمال غير صالحة بقولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣].

نعم الولد منذ نعومة أظفاره ينظر إلى أبيه، والبنت تنظر إلى أمها، وكلٌّ منهما يحاكي والده ووالدته بأفعالهما، ولقد قلت لكم بأنَّ مدرِّساً في المرحلة الابتدائية يقول لطلابه: الدخان حرام، فقال له تلميذ: لا يا أستاذ الدخان ليس بحرام، فقال له: لم؟ قال له: إن أبي يدخِّن، فلو كان حراماً ما دخَّن أبي.

كن مربِّياً بحالك قبل قالك:

أيها الأب الكريم: كن مربِّياً لأبنائك بحالك قبل قالك، لا يجوز أن يسمع ولدك منك كلمة نابية، ولا فعلاً ناقصاً، ولا خُلُقاً سيئاً، ولا مخالفة شرعيَّة، لأنك قدوته إن شئت وإن أبيت، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣]. أي على طريقة وخلق وسيرة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾. فأنت إمامه وهو مأموم، فكن على طريقة وخلق وسيرة حسنة لأنك إمام لأبنائك.

إما أن يكون لك الأجر، وإما أن يكون عليك الوزر:

أيها الأب الكريم: أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فعُمل بها بعده، كُتِبَ له مثلُ أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة فعُمل بها بعده، كُتِبَ عليه مثلُ وِزْرِ من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء» رواه الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

أيها الأب: كن طائعاً لله في بيتك حتى تكون أسوة صالحة لأبنائك.

أيتها الأم الكريمة: كوني طائعة لله في بيتك حتى تكوني أسوة صالحة لبناتك، وإياكِ وإياكِ من معصية الله أمام الأبناء والبنات، لأنهم سيتبعونكما في الأفعال والأقوال، ومن ثَمَّ إما أن يكتب لكما الأجر، وإما أن يكتب عليكما الوزر.

لا تكن متناقضاً في شخصيتك:

أيها الأب الكريم: لا تكن متناقضاً في شخصيَّتك السلوكيَّة والقوليَّة، لتكن أفعالك مطابقة لأقوالك، فإن قلت لولدك: لا تكذب، فكن أنت أولاً صادقاً، فإن قلت لولدك: لا تدخِّن، فكن أنت أولاً غير مدخِّن، وإن قلت لولدك: صلِّ، فكن أنت أولاً مصلِّياً، فإن قلت لولدك: اقرأ القرآن، فكن أنت أولاً قارئاً القرآن الكريم، وقس على ذلك سائر الأوامر والنواهي.

لأنَّ ولدك ينظر إليك ويسمع لكلامك ويجعل موازنة بينهما، وكن على ثقة بأنَّ الراجح عنده هو فعلك لا قولك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. سمة الإنسان المسلم أنَّ باطنَه كظاهره، سمة الإنسان المسلم تطابقُ فعله مع قوله، لأن الإنسان المسلم سمع قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. وهذا شأن اليهود، وسمع قوله الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: ٨١]. وهذا شأن المنافق الذي قال فيه مولانا كذلك: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الأب الكريم: أنت أمين على أولادك وبناتك أن تربِّيهم على منهج

الله عزَّ وجلَّ بسلوكِكَ قبل أقوالِك، فلا تكن ممن يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، وأنتِ كذلك يا أيتها الأم الكريمة.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يكرمنا بالاستقامة على شرعه ظاهراً وباطناً، وأن نكون أسوة صالحة لأبنائنا وبناتنا وللمسلمين، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كُنْ مُصلِحاً لا صالحاً فقط[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

الإنسان اجتماعي بطبعه، ولا يستغني عن احتكاكه بالآخرين، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيَّن لنا طبيعة الإنسان ـ ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ بقوله: «كلُّ بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون» رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه.

وعلى الإنسان المؤمن الصالح أن يكون صبوراً عند معاشرته للآخرين، وأن يتحمَّل أذاهم ويصبر عليهم ويغفر لهم زلاتهم، وذلك لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه.

كما يبيِّن لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأنَّ خير العباد من يصبر على أذى الآخرين ويبدؤهم بالسلام إن هجروه، فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٩/١٠/١٤٣١هـ، ١٧/٩/٢٠١٠م.

رواه مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. وهذا الأمر يحتاج إلى أن يكون العبد صابراً صبوراً، بل صبَّاراً.

كن مُصلحاً لا صالحاً فقط:

أيها الإخوة الكرام: إسلامنا العظيم ما أراد من أتباعه أن يكونوا صالحين فقط، بل كلَّفهم بالإصلاح بين الآخرين، وحمَّل العبد الصالح الصبور هذه المهمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحُجُرات: ١٠]. وقال جلَّت قدرته: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

كما كلَّف ربُّنا عزَّ وجلَّ العبد الصالح أن يُصلح بين الأزواج إذا حصل نشوز بينهما، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. فبيَّن ربنا عزَّ وجلَّ أن الصُّلح بكلِّ صُوره وأشكاله خيرٌ ما دام مبنياً على أساس من الكتاب والسنة.

وبيَّن لنا ربنا عزَّ وجلَّ بأنه لا خير في أحاديث النجوى إلا إذا كانت بإرادة خير ومعروف وإصلاح بين الناس، فقال تبارك وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

فيا أيها العبد المؤمن الصالح الصابر المتحمِّل أذى الآخرين، لا تقتصر على صلاحك، بل كن مصلحاً بين عباد الله تعالى حتى تكون صمام أمان لأهل بلدتك، وتذكَّر قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

وقد روى البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها، قال: فقال: يا رب إنَّ فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين، قال: فقال: اقلبها عليه وعليهم، فإنَّ وجهه لم يتمعَّر فيَّ ساعة قط».

وفي رواية للبيهقي أيضاً عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: «إن الله عزَّ وجلَّ أمر بقرية أن تُعذَّب، فضجَّت الملائكة، قالت: إنَّ فيهم عبدك فلاناً، قال: أسمعوني ضجيجه، فإنَّ وجهه لم يتمعَّر غضباً لمحارمي».

لذلك يا عباد الله الصالحين لا تقتصروا على صلاح أنفسكم فقط، بل كونوا مصلحين في المجتمع، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

صفات العبد المُصْلِح:

يا عباد الله: إنَّ العبد المُصْلِحَ في المجتمع لا يكون مُصْلِحاً إلا إذا كان مصطلحاً هو مع الله تعالى، وإلا إذا كانت صلته مع الله تعالى ممزَّقة فهذا عبد فاسد، والعبد الفاسد لا يكون مُصلحاً، لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه.

لذلك فالعبد الصالح هو من أصلح الحال فيما بينه وبين الله تعالى، ثم أصلح فيما بينه وبين خلق الله تعالى، حتى لا يكون متناقضاً مع ذاته، كيف يُقدِم على الإصلاح بين الآخرين وهو متصارم متدابر متقاطع مع الآخرين؟

الذي لا يُصلح فيما بينه وبين الآخرين لا يستطيع أن يُصلح بين الآخرين، لأنَّ الناس ينظرون إلى سلوكه قبل أقواله، فإذا شاهدوا فيه التناقض سخروا منه، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. ويقول جلَّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

﴿ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]. فالمصلح صلته مع الله تعالى جيدة، وصلته مع الآخرين جيدة، المصلح أصلح الحال بينه وبين الله تعالى، وأصلح الحال بينه وبين الآخرين حتى صار أهلاً للإصلاح بين الآخرين، فالمصلح منسجم مع ذاته لا تتناقض أقواله مع أفعاله.

درجة المصلح عند الله تعالى:

أيها الإخوة الكرام: إذا كان العبد صالحاً بذاته ولم يكن مُصلحاً في مجتمعه، فهذا خيره لازم لنفسه، والإسلام يريد من العبد الصالح أن يكون خيره متعدِّياً للآخرين، لا أن يكون خيره لازماً لنفسه فقط، لأنَّ من تمام الخير نقل الخير للغير.

من هذا المنطلق كانت درجة المصلح بين الناس أعلى من درجة الصائم المصلي المتصدِّق، كما بيَّن ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة»؟ قالوا: بلى، قال: «صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة». قال أبو عيسى هذا حديث صحيح، ويروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال: «هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» رواه الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

الكذب حرام إلا في الإصلاح:

أيها الإخوة الأحبة: نحن على يقين بأن الإسلام أمرنا بالصدق وحضَّنا عليه، وحذَّرنا من الكذب، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم: «عليكم بالصدق، فإنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً. وإيَّاكم والكذبَ، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً» رواه مسلم عن عبد الله رضي الله عنه.

ولكن هل تعلمون يا عباد الله بأن الله عزَّ وجلَّ رخَّص بالكذب من أجل الإصلاح بين العباد ما لم يترتب على ذلك ضياع حقوق؟

أخرج الإمام البخاري عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «ليس الكذَّاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً».

ويقول بعض العلماء: إن الله عزَّ وجلَّ أحبَّ الكذب في الإصلاح، وأبغض الصدق في الفساد.

واقعنا المرير:

أيها الإخوة الكرام: إنَّ واقعنا مرير جداً حيث نرى الفساد والإفساد قائماً بين العباد إلا من رحم الله تعالى، هناك من يفسد بين الأزواج، وبين الآباء والأبناء، وبين الإخوة والأخوات، وبين الشركاء، وبين الجيران، وبين الأحباب والأصدقاء، وبين الحكَّام والمحكومين.

ويا حبذا لو أن الفاسد اقتصر على فساده، ولكن أبى إلا أن يكون مُفسداً لغيره والعياذ بالله تعالى، لذلك لزم علينا أن نكون صالحين مُصلحين، وكلَّما عظم الإيمان في قلب المؤمن ازداد حرصاً على إصلاح الآخرين، وكلَّما عظم الفساد في قلب الفاسد ازداد حرصاً على إفساد الآخرين.

الله تبارك وتعالى يُصلح بين عباده يوم القيامة:

أيها الإخوة الكرام: اسمعوا وصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عندما يقول: «اتَّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإنَّ الله تعالى يُصلح بين المسلمين» رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه.

فإذا كان الحق جلَّ جلاله يُصلح بين عباده يوم القيامة، فعلينا أن نكون من المُصلحين، واسمعوا إلى ما يحدِّثنا به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربِّ العزَّة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي».

أيها الإخوة الكرام: قولوا للعبد الظالم تذكَّرْ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. تذكَّرْ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]. تذكَّرْ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

قولوا للعبد الظالم والمظلوم: هذه الحياة الدنيا دار عمل لا جزاء، والآخرة دار جزاء لا عمل، فاصبر أيها المظلوم، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣].

يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربِّ العزَّة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من

أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري»، قال: وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالبكاء، ثم قال: «إن ذاك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يُحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك فانظر في الجنان، فرفع رأسه، فقال: يا ربِّ أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مكلَّلة باللؤلؤ، لأيِّ نبيٍّ هذا؟ أو لأيِّ صِدِّيقٍ هذا؟ أو لأيِّ شهيدٍ هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله عزَّ وجلَّ: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة». فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عند ذلك: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يُصلح بين المسلمين» رواه الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله: كلَّما عظُم الإيمان في قلب العبد ازداد صلاحاً وإصلاحاً وكلما عظم الفساد في قلب العبد ازداد فساداً وإفساداً، فكونوا يا عباد الله صالحين مُصلحين، لأنَّ مجتمعنا بحاجة إلى الصالحين المُصلحين، لأنَّ الصالح إذا لم يصلح ذات البين، فإنَّ فساد المفسدين قد يناله.

عبادَ الله: إنَّ المجتمع اليوم كاد أن يصبح الكلُّ عدواً للكلِّ ـ إلا من رحم الله تعالى ـ بسبب إفساد المفسدين، فكونوا صالحين مُصلِحين، أصلحوا بين الأزواج، وبين الآباء والأبناء، وبين الإخوة والأخوات، وبين الشركاء والأصحاب والأصدقاء، وأصلحوا بين الحكَّام والمحكومين، أصلحوا ذات

البين حتى يكون المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وإن لم نكن صالحين مصلحين فإنَّ فساد المفسدين قد ينالنا لا قدَّر الله تعالى.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ورِّث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لورثتك[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

مما لا شكَّ فيه بأنَّ كلَّ مؤمن ومؤمنة حريص على أن يكون من المفلحين يوم القيامة، ولولا ذاك لما كان كلُّ واحد منهما مؤمناً بالاختيار.

والعبد إذا أراد أن يصل إلى الغاية التي ينشدها فإنه يجب عليه شرعاً أن يسلك الطريق الموصل إلى غايته التي يريد من فلاح ونجاح في الدنيا والآخرة، والذي يرشدنا إلى هذا السبيل ويضمن لنا الوصول إلى تلك الغاية هو القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل من سبل الفلاح:

أيها الإخوة الكرام: تعالوا لننظر في كتاب الله عزَّ وجلَّ لنتعرف من خلاله على السبل التي توصلنا إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، من هذه السبل سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣٢/١/١٨هـ، ٢٠١٠/١٢/٢٤م.

ربنا عزَّ وجلَّ يبيِّن لنا في هذه الآية الكريمة بأنَّ سبيل الفلاح يكون في دعوة الناس إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن صدق في طلب الفلاح فعليه بهذه الآية الكريمة.

وصف المؤمن أنه آمر بالمعروف وناهٍ عن المنكر:

أيها الإخوة المؤمنون: بل بيَّن لنا ربنا عزَّ وجلَّ بنصِّ القرآن الكريم بأنَّ المؤمن الحقَّ آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ربنا عزَّ وجلَّ أخَّر وصف الإيمان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنعلم بأنَّ هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولكن ليس من منطلق الإيمان، بل لغاية في نفسه، فإذا كان هناك من يفعل ذلك لغاية في نفسه فالمؤمن من باب أولى وأولى أن يكون هو السبَّاق لذلك، فإذا كان أصحاب الغاية الدنيوية قد يفعلون ذلك، فكيف لا يفعل ذلك المؤمن الذي يريد الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة؟

أيها الإخوة الأحبة: ربنا عزَّ وجلَّ قدَّم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان، لأنهما أَدَلُّ وصفٍ وأصدق دليل على صحة إيمان العبد، وبذلك تكون الخيريَّة، فأصدق دليل على إيمان العبد هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الإنسان في خسر إلَّا...:

يا عباد الله، المؤمن الحقُّ هو على يقين بأنَّ الإنسان جنس الإنسان في خسارة، إلا من استثناهم ربنا عزَّ وجلَّ في القرآن العظيم في قوله: ﴿وَالْعَصْرِ

﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

ربُّنا عزَّ وجلَّ أقسم بأنَّ الإنسانَ جنسَ الإنسان في خسارة لآخرته ودنياه إلا من تحقَّق بصفات أربع: الإيمان أولاً، ثم العمل الصالح، ثم التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وما التواصي بالحق وبالصبر إلا صورة من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ورِّث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لورثتك:

أيها الإخوة الكرام: الإسلام لم يرضَ منا أن نكون آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر فقط، بل حرَّضنا على أن نورِّث ذلك لورثتنا من بعدنا، وورثتنا لمن بعدهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وحتى يتحقَّق قولُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم مَنْ خَذَلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه.

الإسلام حرَّضنا على توريث ذلك لذريتنا حتى يكون ذلك امتداداً لنا بعد موتنا، كما أنَّ وُرَّاثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم امتداد لحضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء» رواه الترمذي عن قيس بن كثير رضي الله عنه.

لا تفرح يا أخي أن تكون آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر فقط، بل ليكن فرحك بأن تورِّث ذلك لورثتك من بعدك، وهذا خير ميراثٍ لهم منك، وبذلك يكون امتداداً لك، لا يكن أحدنا أبتر لا عقب له، فهذا سيدنا زكريا عليه السلام يخبرنا عنه مولانا عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى

وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥-٦]. أراد العقب له ليحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بعده.

احرص على أن تورِّث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لورثتك، وتعلَّم ذلك من قصة سيدنا لقمان الحكيم رضي الله عنه الذي ورَّث ذلك لولده، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

فإذا ورَّثنا ذلك لأبنائنا كانوا بإذن الله تعالى من الصالحين، وتحقَّق لنا الامتداد لأعمالنا، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له» رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ليكن فهمنا صحيحاً للقرآن العظيم:

أيها الإخوة المؤمنون: يجب علينا أن نفهم القرآن العظيم فهماً صحيحاً، وأن نحذر الفهم الخاطئ، وذلك بالسؤال لأهل العلم، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

كم من مهتدٍ عندما تذكِّره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول لك: مالي ومال الناس، كلٌّ واحد مسؤول عن نفسه، لا أريد أن أجعل عداوة بيني وبين أحد من الناس، كلٌّ واحد ينزل في قبره لوحده، كلٌّ واحد مسؤول عن نفسه لا عن غيره، من هذه الكلمات الكثير الكثير، وإن سألته على أيِّ أساس تتكلَّم هذا، يقول لك من خلال قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

هذا فهم خاطئ لهذه الآية، تعالوا لنسمع ما أخرجه الإمام الترمذي عن أبي أميَّة الشعبانيِّ رضي الله عنه قال: أتيت أبا ثعلبة الخشنيَّ فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية، قال: أيّة آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥].

أيها الإخوة الكرام: كأنَّ أبا أمية وقع في إشكال بين هذه الآية الكريمة وقوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وقوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

آية تأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآية تقول: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]. ماذا فعل أبو أمية؟

لقد سأل عنها أهل العلم، لذلك قال له أبو ثعلبة: (أما والله لقد سألتَ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحّاً مطاعاً، وهوىً متَّبعاً، ودنيا مُؤثَرَة، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصَّة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً؛ الصبرُ فيهنَّ مثلُ القبض على الجمر، للعامل فيهنَّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم»، قال عبد الله بن المبارك: وزادني غير عتبة: قيل يا رسول الله أجر خمسين منّا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم».

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا، هذه وظيفة العبد المؤمن، ليس عليه خلق الهداية، لأنَّ خلق الهداية على الله تعالى، قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. هذا من حيث خلق الهداية، أما من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. فإذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فبعد ذلك عليك بقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. ودع عنك أمر العامة، كما قال الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمة:

أيها الإخوة المؤمنون: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الأمة، بقضِّها وقضيضها، واجب على الحاكم والمحكوم، على الرجال والنساء، وليس مقصورا على طلبة العلم الشرعي، وذلك لقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «مَنْ رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم عن طارق بن شهاب رضي الله عنه.

هذا الحديث الشريف يشمل الأمة كلَّها إذا رأى فرد من أفرادها المنكر، ولا يعفي أحد نفسه من هذا الأمر، وذلك لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته» رواه مسلم عن نافع بن عمر رضي الله عنه.

إياكم والتقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أيها الإخوة الكرام: إذا لم تأمر الأمة بالمعروف وتنهى عن المنكر فربما أن تعرِّض نفسها لسخط الله عزَّ وجلَّ، ولقد ذكر لنا مولانا عزَّ وجلَّ بني إسرائيل حيث استوجبوا اللعنة بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وفي هذا إشارة واضحة لأصحاب العقول النيِّرة ولأولي الألباب أن لا يصلوا إلى ما وصل إليه هؤلاء.

أيها الإخوة: المعاصي في مجتمعنا كثيرة، ومن أعظمها انتشاراً الربا والرشوة والسفور والاختلاط، فأين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟

لا أقلَّ أيها الإخوة أن يكون الإنسان مذكِّراً وآمراً وناهياً في دائرة بيته وأسرته وعائلته.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

يا عباد الله، لنترجم عن صحة إيماننا، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالأسلوب الذي علَّمنا إياه مولانا عزَّ وجلَّ في كتابه العظيم، من خلال قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وطوبى لعبد تشرَّف فقام مقام الأنبياء والمرسلين، ومقام الأولياء والصالحين، والعلماء المرشدين من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يشرِّفنا في ذلك، وأن نورِّث فروعنا وأحبابنا هذا الأمر والشرف العظيم.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أي بنيَّة: احذري صاحب القلب المريض[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ لينَ القولِ والكلمةَ الطيِّبة الحسنة الممزوجة بالعاطفة والمحبة والإخلاص لها أثر كبير في قلب السامع، ومن هذا المنطلق قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الكلمة لها تأثير في القلوب حباً أو كراهية، فكلَّما لانت الكلمة وطابت جذبت قلبَ السامع للمتكلِّم وأصغى إليه القول، ومن هذا المنطلق قال تعالى لسيدنا موسى ولأخيه هارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

الكلمة الطيبة الممزوجة باللطف والحنان لها تأثير كبير في نفس السامع بحيث يتمكَّن المتكلِّم من السامع ويوجِّهه حيث يشاء، ومن هذا المنطلق خاطب الله عزَّ وجلَّ الأزواج بقوله: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]. والموعظة لا شك أنها كلمة لطف وطيب وحنان تؤثر في قلب السامع.

لذلك قالوا: من لانت كلمته وجبت محبته، والمحبُّ أسير لمحبوبه.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/٢/١٤هـ، ٢٠١٠/١/٢٩م.

فلا تخضَعْنَ بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبه مرض:

أيها الإخوة المؤمنون: من هذا المنطلق يجب على وليِّ الفتاة قبل أن يُزوِّج ابنته، وبعد زواجها، أن يذكِّرها بقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. والخضوع بالقول هو لين الكلام مع الرجل الأجنبي، قل لها: أي بنيَّة هذا النهي من الله تعالى ليس اتِّهاماً لك، إنما هو خشية عليك من أصحاب القلوب المريضة، وأنت لا تعلمين المخاطَب هل هو مريض القلب أم لا؟

قل لها: أي بنيَّة، هذا توجيه من الله تعالى الذي خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]. فالذي يعلم ما في الصدور إنما هو الله تعالى وحده، لذلك يجب عليكِ أن تأخذي بالأحوط لدينك عند الحديث مع الرجال الأجانب.

لمن يكون لين القول؟

أيها الإخوة الكرام: إنَّ لين القول يكون من الرجل للرجال، ومن الرجل لمحارمه، ومن الرجل لزوجته، كما يكون من المرأة للنساء، ومن المرأة لمحارمها، ومن المرأة لزوجها.

أما لين القول من الرجل للمرأة الأجنبية، ومن المرأة للرجل الأجنبي فهو مَفْسَدة لدين الرجال والنساء.

لين القول من الرجل للمرأة الأجنبية عنه قد يُفسِد عليها حياتها الزوجية، ويؤدي الأمر إلى طلاقها، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «ليس منا مَنْ خبَّب امرأةً على زوجها» رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكم من رجل لان بقوله مع المرأة الأجنبية، فأفسد عليها حياتها الزوجية، فوقعت إمَّا في خيانة زوجية، وإمَّا في الطلاق ثم تزوَّجها هذا الرجل.

وكم من امرأة لانت بقولها مع الرجل الأجنبي فاستدرجها لأنه كان صاحب قلب مريض، فوقعت في شباكه وخدعها، فإن كانت متزوِّجة خانت زوجها، وإن كانت بكراً جرَّت العار لأهلها والعياذ بالله تعالى.

لذلك يجب علينا أن نعلِّم أبناءنا بأنَّ لين القول يجب أن يكون من الرجل إلى محارمه ونسائه لا مع النساء الأجنبيات عنه. هذا إذا أردنا طهارة المجتمع.

حرص الإسلام على طهارة البيوت:

أيها الإخوة: من هذا المنطلق كان الإسلام حريصاً على سلامة البيوت، وكان حريصاً على سلامة الحياة الزوجية، وكان بالمرصاد لأصحاب القلوب المريضة، فحذَّر المرأة من الخضوع بالقول مع الرجل الأجنبي، فقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

مريض القلب لا يخاف الله تعالى، مريض القلب لا يراعي حرمات الناس، مريض القلب لا يبالي بالنتائج مهما كانت، مريض القلب لا يتقي الله في نساء المؤمنين، مريض القلب همُّه شهوته ووَطَرُه، مريض القلب فاسد ومفسد في المجتمع.

لذلك حرَّم الإسلام على المرأة الخضوعَ بالقول مع الرجال الأجانب خشيةً عليها من أصحاب القلوب المريضة، الذين يمزِّقون الحياة الأسرية، وما أكثر الحوادث من هذا النوع. كم من امرأة طُلِّقت من زوجها بهذا السبب؟ كم من طفل عاش بعيداً عن أمه بهذا السبب؟ كم من امرأة قُتِلت بهذا السبب؟

لذلك يجب علينا أن نحذِّر بناتنا من الخضوع بالقول مع الرجال

الأجانب من أجل سلامتها وسلامة أسرتها، وسلامة شرفها، وخاصة في زمن ركَّزت فيه أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية على خضوع القول من المرأة مع الرجال الأجانب.

أجهزة الإعلام تركِّز على خضوع القول من المرأة مع الرجل الأجنبي، والفظاظةِ والغلاظةِ مع زوجها ومحارمها، كما تُعلِّم الرجلَ لينَ القول مع المرأة الأجنبيَّة، والفظاظةَ والغلاظةَ مع زوجته ومحارمه، فهل تنبَّه الناس إلى هذا؟ هل عرف الناس ماذا تريد أجهزة الإعلام من الأسرة المسلمة؟

إنهم يريدون أن تعيش الأسرة المسلمة كما تعيش الأسرة الغربية حيث التحلُّل من القيم والأخلاق وفساد الضمائر والقلوب وفساد الحياة الزوجية.

هذا تشريعُ الذي يعلم السرَّ وأخفى:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نعلم ونُعلِّم أبناءنا بأنَّ هذا التشريع من أوامر ونواهٍ إنما هو تشريعُ الذي يعلم السر وأخفى، تشريع ربٍ يقول: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. فتشريعه لنا هو سرُّ سعادتنا.

يا من يريد سعادة الدنيا والآخرة لنفسه ولزوجه ولمحارمه أَلْزِمْ أهلك هذه الآية: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. والتزم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. واعلم بأنَّ هذه الأحكام من أجل سلامة المرأة من كيد أصحاب القلوب المريضة، ومن أجل طهارة قلوب الرجال والنساء.

احذر وحذِّر محارمك من المغالطات:

أيها الإخوة: هناك من يغالط الناس بهذه الآيات الكريمة، فيقول هذه

الآية: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾. والآية: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾. إنها آيات خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وليست عامة لكلِّ المسلمات.

غباءٌ ما بعده غباء إذا صدَّق أحد هذا القول، لأنَّ صاحب هذا القول كأنه يقول: لا حرج من لين القول من المرأة للرجل الأجنبي، ولو طمع فيها صاحب القلب المريض، ولا حرج من سؤال المرأة الأجنبية بدون حجاب.

طبعاً صاحب هذا القول لا يريد طهارة القلوب، ولا يريد سلامة البيوت، بل يريد قضاء الوطر من النساء.

إذا كان الحق عزَّ وجلَّ حذَّر نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم من الخضوع بالقول مع الرجل الأجنبي، حتى لا يطمع فيهنَّ صاحب القلب المريض، مع أنَّهنَّ أمهات المؤمنين، فهل من المعقول أن يُباح خضوع القول من عامة نساء المؤمنين مع الرجال الأجانب، وخاصة في زمن كثر فيه أصحاب القلوب المريضة؟

وإذا كان الحقُّ عزَّ وجلَّ حذَّر الرجال من سؤال أمهات المؤمنين إلا من وراء حجاب لأنَّ ذلك أطهر لقلوب الفريقين، فهل من المعقول أن يُباح هذا لغير أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مع عامة النساء؟

أيُّ مجنون يقول هذا القول؟ احذروا أيها الإخوة من هذه المغالطات، فقدوتنا أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وقدوة نسائنا أمهات المؤمنين، اللهم اجعلنا كذلك.

إنَّ أبي يدعوك:

أيها الإخوة: ذكِّروا بناتكم بالآية الكريمة التي وُجِّهت لنساء النبي صلى

الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. علِّمها كيف يكون أسلوب الكلام مع الرجل الأجنبيِّ، لا لين فيه ولا خضوع، ولا هذر ولا هزل ولا مزاح، ولا كلام لا يرضي الله تعالى، وعلِّمها كيف يكون الموضوع، يجب أن يكون موضوع الحديث موضوعاً شرعيّاً يجيزه الشرع ولا ينكره، وعلِّمها سيرة بنت سيدنا شعيب عليه السلام؟ كما قال تعالى عنها: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]. مشيتها على استحياء ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

مشية المرأة المسلمة على استحياء، وحديثها مع الرجل الأجنبي على استحياء، وباختصار، ومنضبط بضوابط شرعية، حيث لا يمكن لعقل وفكر المخاطب أن يشرد يمنةً أو يسرةً: ﴿إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. ما قالت: تفضل إلى البيت ليجزيك والدي أجر ما سقيت لنا، قطعت الخاطر على الرجل الأجنبي من بدايته، وبأسلوب مختصر مأخوذ بكلِّ وسائل الحيطة من أجل سلامة القلوب.

إنَّني معكما أسمع وأرى:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا أن نتدرَّب على مراقبة الله عزَّ وجلَّ، وأن ندرِّب أبناءنا على ذلك، وأن نذكِّرهم بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. ونذكِّرهم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]. ونذكِّرهم بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. ونذكِّرهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

يا أختاه تذكَّري هذه الآيات وراقبي الله عزَّ وجلَّ، وتذكَّر يا أخي الكريم هذه الآيات، فإذا قلَّ حياء المرأة وخضعت بالقول معك تذكَّرْ بأنَّ الله رقيب عليك وعليها، فقلَّة حيائها لا تبيح لك قلَّة الحياء، وقلة خشيتها من الله تعالى لا تبيح لك قلة الخشية من الله تعالى. لنحذر الله جميعاً: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إذا أردنا حياةً زوجيَّة سعيدة لبناتنا فلنذكِّرْهُنَّ بهذه الآية: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. ليكن لين القول وكلمةُ اللطف والحنان والحبِّ منها لزوجها، لا للرجل الأجنبي عنها، حتى لا يطمع فيها فيفسد عليها دنياها وآخرتها، وأن لا تكون كلمتها قاسية جافَّة لزوجها.

وكذلك أنتم يا معشر الرجال لتكن كلمة اللين وكلمة اللطف والحنان والحبِّ منكم لنسائكم، لا لامرأة أجنبية، لا أن تكون الكلمة القاسية الجافَّة لنسائكم.

اجعلوا كلامكم الليِّن الحسن في الحلال، ولا تجعلوه في الحرام إذا أردتم سعادة الدنيا والآخرة. اللهم اجعلنا كذلك آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ[1]

مقدِّمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يجب على المرأة قبل زواجها أن تعلم: ما هو واجبها نحو زوجها؟ وما هي الغاية من الزواج؟ فالغاية الأساسية من الزواج هي واجب إعفاف كلٍّ من الزوجين للآخر.

ويجب على المرأة أن تعلم أيضاً أنه يحرم عليها أن تخضع بالقول أمام الرجال الأجانب، حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، وأن يكون لين كلامها مع زوجها، كما يجب أن يكون لين كلام الرجل مع زوجته، لا مع النساء الأجنبيات عنه.

النساء مأمورات بلزوم البيت:

أيها الإخوة الكرام: يجب علينا وعلى كلِّ وليٍّ فتاة أن يعلِّم ابنته الواجب الذي أوجبه الشرع عليها، **من هذه الواجبات وجوبُ ملازمة البيت**، وألَّا تخرج من البيت إلا لأمر ضروري، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ [الطلاق: ١]. والعبرة

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/٢/٢١هـ، ٢٠١٠/٢/٥م.

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقال تعالى آمراً الرجال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦]. والأمر بالإسكان نهي عن الخروج.

يقول الإمام القرطبي عن هذه الآية: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. (الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقد دخل غيرهنَّ فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخصُّ جميع النساء، فكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهنَّ، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة).

لماذا قرار المرأة في بيتها؟

أيها الإخوة الكرام: قد تسأل المرأة: لماذا القرار في البيت؟ وقد يعترض المعترضون على هذا القرار، ويتساءلون لما تقرُّ المرأة في بيتها؟

الجواب على ذلك:

أولاً: للتحقُّق بالعبودية لله عزَّ وجلَّ:

أيها الإخوة! إنَّ قرار المرأة في بيتها هو تحقيق لعبوديتها لله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]. ولا يسع العبدَ إلا طاعةُ المعبود، ما دام المعبود أمر، فلا بدَّ من السمع والطاعة، لأنه تبارك وتعالى تفضَّل على خلقه بالأجر العظيم إن هم أطاعوه.

ونحن ما خُلقنا إلا للعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة يجب أن تكون مطلقة من قبل العابد نحو المعبود، ولا يمكن للعبد أن يناقش سيِّده ومعبوده فيما أمر.

لذلك من الخطأ بمكان أن تناقش إنساناً لا يؤمن بالله واليوم الآخر في

فروع الشريعة، لأنَّ هذه التكاليف يقبلها من رضيَ بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نبياً ورسولاً.

فإذاً يجب على المرأة المؤمنة أن لا تناقش هذا الأمر على الإطلاق، وإلا فقد ضلَّت ضلالاً بعيداً والعياذ بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. فلتكن المرأة المؤمنة على حذر من ضلال وإضلال الآخرين، وذلك من خلال أجهزة الإعلام، حيث يحرِّضون المرأة على الخروج من البيت وعدم القرار فيه، وهذا أمر طبيعي عند المرأة الغربية؛ لأنها لا صلة لها بالسماء.

أما المرأة المسلمة فعزُّها وكرامتُها وافتخارُها بامتثال أمر ربها، لأنها تطمع برحمة ربها ودخولِ جنته.

بلزوم البيت تدرك عمل المجاهدين:

أيها الإخوة المؤمنون: حديثنا مع المرأة المؤمنة التي عرفت الغاية من خلقها، وطمعت بجنة الله تعالى، وليس حديثنا مع غير المؤمنة لأنها لا تفكِّر بالدار الآخرة.

وهذا ما فقهته المرأة المؤمنة، أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان وأبو يعلى والبزار عن أنس رضي الله عنه قال: (جِئْنَ النساءُ إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، قلْنَ: يا رسول الله، ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله، أفما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «مهنةُ إحداكنَّ في بيتها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله»).

فما دام العبد يطمع بالجنة فلينظر ماذا كلَّفه المعبود الذي وعده بالجنة، كلَّف الله الرجال بالجهاد فقالوا: سمعنا وأطعنا، وكلَّف المرأة بالقرار بالبيوت فيجب عليها أن تقول: سمعت وأطعت.

فإذاً الغاية من قرار النساء في البيوت هو امتثال أمر الله تعالى أولاً، ولو لم يكن من ذلك فائدة إلا طاعة المعبود لكفى.

ثانياً: لتحقيق السكن الذي أراده الله تعالى:

إن سُئِلت المرأة المسلمة: لماذا القرار في البيت؟ لكان جوابها: حتى أحقِّق السكن الذي أراده الله تعالى للزوج، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١].

المرأة التي تُكثر الخروج من البيت لا يمكنها أن تحقِّق السكن لزوجها كما أراده الله تعالى، لأنَّ خروجها من البيت للعمل سوف يُرهق المرأة ويُتعبها، فإذا رجعت إلى بيتها رجعت وهي تريد السكن والراحة، والرجل أمر طبيعي أن يخرج من البيت، فإذا رجع إلى البيت رجع وهو يبحث عن السكن والراحة، فمن الذي يحقِّق السكن والراحة للآخر؟

لذلك من العبث في الحياة أن يخرج الرجل وأن تخرج المرأة من البيت، الإسلام دين نظام متكامل، فهو أمر الرجل بالخروج للعمل والكسب، وأمر المرأة بالقرار لتهيِّئ الجوَّ والسكن لزوجها إذا رجع، وإلا حلَّت الفوضى وهذا واقعنا يصدِّق هذا المبدأ.

انظروا إلى الرجل وإلى المرأة إذا خرجا للعمل سوية كيف تكون حياتهما؟ ويجب أن يكون الجواب بصدق لا بالتعليلات التي لا معنى لها.

حجَّة واهية لا قيمة لها:

أيها الإخوة المؤمنون: نسمع بين الحين والآخر حجَّة من بعض النساء

اللواتي يردن الخروج من البيت بقصد العمل، وتقول هذه المرأة: نحن نخاف من غدر الزمان، نحن نريد أن نضمن مستقبلنا، نحن نخاف من الطلاق، نحن نخاف من الضياع، فلا بدَّ من الخروج للعمل.

أيها الإخوة: مثل هذا الكلام إذا صدر من المرأة الغربية فهو أمر طبيعي، أما أن يصدر من امرأة مؤمنة فهذا لا يليق بها، لأنَّ الآمر لها بالقرار في البيوت هو الذي ضمن لها النفقة، فأوجبها الإسلام على الأب أولاً، ثم على الزوج ثانياً، ثم على الولد ثالثاً.

الغرب عبيد للمادة، والمسلم عبد لله تعالى، ما خُلق المسلم في الحياة الدنيا لجمع الدينار والدرهم، الدينار والدرهم عنده وسيلة وليست غاية، أما عند الغرب فهي معبود وغاية، لذلك هم يأكلون كما تأكل الأنعام، والنار مثوى لهم.

لذلك لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتقدَّم بهذه الحجة الواهية ما دامت اختارت صاحبَ الدين والخُلُق، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وصاحب الدين والخلق يعرف بأنَّ النفقة واجبة عليه، ولكن عندما نخالف أمرَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فأمر طبيعي أن نرى العواقب الوخيمة: «إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». وصدق الله القائل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

كثرة خروج المرأة مَفْسَدة:

أيها الإخوة المؤمنون: إنَّ ملازمة المرأة لبيتها هو الأصل، وخروجها

حالة طارئة استثنائية، فمن أكثرت الخروج من بيتها فقد أفسدت حياتها الزوجية، بسبب شياطين الإنس والجن، أما إذا لازمت بيتها فإنها تكون في رحمة الله عزَّ وجلَّ.

أخرج الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان فتقول: ما رآني أحد إلا أعجبته، وأقرب ما تكون إلى الله إذا كانت في قعر بيتها».

كثرة خروجها مفسدة وخاصة في هذا الزمان، لأنَّ هذا الخروج يفضي إلى الاختلاط بالرجال، وخاصة بين رجال ما عرفوا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

من كثرة خروجها من بيتها أفسدت دينها، وإذا فسد دينها فسدت العلاقة بينها وبين زوجها، وإذا فسدت العلاقة الزوجية بينهما طمع أصحاب القلوب المريضة بهذه البيوت الفاسدة.

ثالثاً: للقيام بتربية الأبناء:

أيها الإخوة: إن سُئِلت المرأة المؤمنة: لماذا القرار في البيت؟ لكان جوابها: حتى أقوم بالواجب الذي عليَّ نحو أولادي، فأنا مسؤولة عن البيت ورعايته، يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيَّتها» رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية عظيمة تحتاج إلى تفرُّغ كبير من أجل رعاية الأطفال بعد تحقيق السكن لزوجها.

المرأة التي تخرج من بيتها وتُكثر الخروج منه بقصد العمل أو غيره، من الذي يحتضن هؤلاء الأطفال؟ إما أمُّ الزوج أو أمُّ الزوجة، وإما أخت الزوج أو أخت الزوجة، وإما الحاضنات والمربِّيات والخادمات.

يضيع هؤلاء الأطفال بين جدة وجدة، وبين عمة وعمة، وخالة وخالة، وخادمة وحاضنة، هؤلاء الأطفال لا يشعرون بحنان الأم ولا بعاطفتها، على حساب من؟ على حساب خروج المرأة من بيتها، لأن الغرب هكذا يريد لنسائنا.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: إنَّ قرار المرأة في مكان عملها لا ينكره إلا فاقد عقل، وإلا مريد الفساد للمرأة، لأنَّنا ما سمعنا ولا أحد سمع بأنه يُنكر على مسؤول أو ضابط أو تاجر عندما يلازم مكان عمله، بل على العكس من ذلك تماماً، مَنْ يُلازم مكان عمله فهو كبير في أعين الناس، حتى سمعنا بأنَّ كثيراً من الوزراء والمسؤولين عندهم غرف خاصة بهم في مكاتبهم من أجل النوم فيها، فهل أحد ينكر عليهم هذا؟ أبداً لا، إذاً فلماذا الإنكار على المرأة إذا أُلزمت مكان عملها؟

قل يا ولي الفتاة لابنتك: أَيْ بُنَيَّة لا تكوني كبعض النساء اللواتي لا تستطيع الحياة بدون خروجها من البيت، البعض يرى خروجها من البيت في كلِّ يوم حتماً مقضياً. أَيْ بُنَيَّة! إنَّ كثرة خروج المرأة من البيت سببٌ لفسادها وفساد الأسرة، سبب من أسباب الطلاق الذي كثر في هذه الأيام.

قل لها: أي بُنيَّة! عليكِ أن تعشقي تكليف الله تعالى لك، والذي من جملته: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. واحذري من كراهية ما أنزل الله

تعالى، لأنَّ هناك من كره ما أنزل الله من الفسقة الفجرة، هؤلاء الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٩].

اللهم استر أعراضنا، وآمن روعاتنا، واختم بالباقيات الصالحات آجالنا وأعمالنا يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

❊❊ ❊❊ ❊❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

آية الحجاب لمن؟[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

فقد ذكَّرني بعض الحضور بأني تكلَّمت قبل عيد الأضحى المبارك عن بعض الواجبات على الزوج نحو زوجته من وجوب المهر ووجوب تأمين السكن الشرعي لها، وعن وجوب رعاية الزوجة وذلك من أجل سلامتها يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ولقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته». وعدَّ منها: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته» رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ومن هذا الرعاية لها من أجل سلامة آخرتها أن يأمرها بالحجاب الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن يأمر به نساءه وبناته ونساء المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقلت: بأنَّ مسألة أمرِ الرجال لنسائهم بالحجاب فرضٌ عليهم وواجبٌ

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/١/٩هـ، ٢٠٠٩/١٢/٢٥م.

شرعي سيسألون عنه يوم القيامة، وجعلت مقدِّمة لهذا الموضوع خطبة كاملة عن رعاية الإسلام لمجتمعنا حتى يبقى طاهراً من الرذيلة، وسليماً من انتشار الفاحشة.

نساؤنا لمن تقلِّد؟

أيها الإخوة المؤمنون: جاء الأمر من الله تعالى صريحاً بنصِّ القرآن بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

العجيب من البعض عندما يقول صراحة على أجهزة الإعلام: هذا الأمر خاصٌّ بزوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وليس عاماً لنساء المؤمنين. وأنا أقول: لو سَلَّمْنا جدلاً لصاحب هذا القول مقولته: نساؤنا وبناتنا ومحارمنا على قدم من يَسِرْنَ؟ أليس من اللائق بِهِنَّ والشرف لهنَّ أن يَسِرْنَ على خُطا أمهاتنا أمهات المؤمنين، اللواتي هنَّ أطهر خلق الله، وأقدس خلق الله من النساء؟

والمرأة التي لا تعتبر هذا شرفاً لها لا خير فيها، ولا تصلح أن تكون أمَّاً مربِّية صالحة لأبنائنا ما دامت تتطلَّع لغير الكاملات من أزواج سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أمهات المؤمنين، وما أظنُّ أنَّ امرأة مؤمنة لا تعتزُّ ولا تفتخر بأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كيف لا تعتز المرأة بأمهات المؤمنين وهنَّ زوجات نبيها وحبيبها المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

الأمر واحد، والمأمور ثلاثة أصناف:

أيها الإخوة المؤمنون: لنرجع إلى الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ

وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. ولنتدبَّر الآية جيداً، الأمر في الآية واحد ألا وهو: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾. والمأمور ثلاثة شرائح من النساء.

الشريحة الأولى: زوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الشريحة الثانية: بنات النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الشريحة الثالثة: نساء المؤمنين.

فالمأمور بإدناء الجلباب عليهنَّ، نساءُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبناتهُ ونساءُ المؤمنين، فكيف أخرج البعض نساء المؤمنين من الآية وجعلها مقصورة على نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لا أدري؟ والأمر أوضح من نار على علم.

هل نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم غَطَّينَ وجوهَهُنَّ؟

أيها الإخوة: تعالوا لنتساءل هل نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم غَطَّينَ وجوهَهُنَّ بعد نزول آية الحجاب أم لا؟

الجواب: ـ بالاتفاق وبدون نكير ـ نعم غَطَّينَ وجوهَهُنَّ، ولا أحد يستطيع أن ينكر هذا إلا رجل عنده الجرأة على تكذيب أصدق كتاب بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ ألا وهو كتاب صحيح البخاري رحمه الله، ومن ورائه كتب الصحاح.

أولاً: أخرج البخاري ومسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تحدِّث حادثة الإفك قالت: (فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرَّس من وراء الجيش فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، **وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليَّ**، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، **فخمَّرت وجهي بجلبابي**).

أيها الإخوة: تنبَّهوا إلى كلام أُمِّنا السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث: (**وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب**) وقولها: (**فخمرت وجهي بجلبابي**). ألا نفهم من كلامها رضي الله عنها بأنَّ آية الحجاب تعني ستر الوجه؟

ثانياً: روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان الركبان يمرُّون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم محرمات، فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه).

وأنتم تعلمون بأنَّ إحرام المرأة أثناء الحج والعمرة هو كشف وجهها وكفَّيها فقط، ولو كان الوجه والكفان مكشوفين قبل الإحرام فماذا يعني الإحرام بالنسبة لها إذاً؟

فأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كنَّ يَسْدُلن على وجوهِهِنَّ وهنَّ محرماتٌ إذا حاذاهم الرجال، فإذا جاوزوهنَّ كشفْنَ عن وجوههنَّ، ويا حبذا لو أنَّ المسلمات المعتمرات والحاجَّات يَتَأَسَّينَ بأمهات المؤمنين بذلك، وخاصة إذا كانت إحداهُنَّ شابةً.

أما نساء الصحابة، نساء المؤمنين رضي الله عنهن:

أيها الإخوة الكرام: أما نساء الصحابة رضي الله عنهنَّ، فقد روى الإمام الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (كنا نغطي وجوهنا من الرجال). **هذا أولاً**.

ثانياً: أخرج أبو داود في سننه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (لما نزلت: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساء الأنصار كأنَّ على رؤوسهنَّ الغربان من الأكسية).

ثالثاً: والأعجب من هذا ما رواه أبو داود في سننه عن ثابت بن قيس ابن شمّاس رضي الله عنه قال: (جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، يقال لها: أم خلاد، وهي متنقِّبة، تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقِّبة؟ فقالت: إن أُرزَأ ابني فلن أُرزَأ حيائي، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ابنك له أجر شهيدين»، قالت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «لأنه قتله أهل الكتاب»). ومعنى قولها: (إن أُرْزَأ ابني فلن أُرزَأ حيائي) أي: إن أصبت بابني وفقدته فلن أصاب بحيائي.

هكذا كان نساء المؤمنين في الصدر الأول من الإسلام، هكذا كان نساء المؤمنين في أطهر العصور وأطهر القرون بشهادة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما جاء في الحديث الشريف: «إنَّ خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» رواه البخاري ومسلم.

الآية طُبِّقت في خير القرون:

أيها الإخوة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. طُبِّق في خير القرون من قبل نساءِ وبناتِ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن قبل نساءِ المؤمنين اللواتي رَبَّيْنَ رجالاً فتحوا الدنيا من أقصاها إلى أقصاها، رَبُّوْا رجالاً تفتخر الدنيا بهم إلى قيام الساعة، لأنهنَّ امتثلن قول الله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. من أجل تربية الجيل، فإذا خرجن لبعض حوائجهن خرجن بالحجابِ

مُسْدِلاتٍ على وجوهِهِنَّ، وما منعهنَّ الحجابُ من العلم والعمل، وانظروا إلى التاريخ فإنكم تجدون مصداق ما أقول.

أما اليوم:

أيها الإخوة الكرام: أما اليوم فقد خُدِعت المرأةُ المسلمة فخرجت من البيت، واختلطت بالرجال، وكشفت عن وجهها، وأبدت زينتها، ومشت مع ركب الحضارة، مع ركب التقدُّم والرُّقيِّ كما يُقال لها، فماذا كانت النتيجة؟

ضاع الجيل، وفسد المجتمع، وانتشرت الرذيلة، وانتشرت الفاحشة، وكثر الزنى، وكثر اللُّقَطاء، وكثر الطلاق، وكثرت الخيانة، حتى بدأ الناس يسمعون بزنى المحارم والعياذ بالله تعالى.

اليوم مجتمعنا يدفع ثمن هذا التفلُّت من دين الله عزَّ وجلَّ، ومع أن ذلك معلومٌ عند الجميع، فلا نزال نسمع بمن يقول: الحجاب خاصٌّ بأمهات المؤمنين، وممن يقول: تغطية وجوه النساء ليست من الدين، والبعض الآخر يقول: لا يجوز تغطية الوجه، والبعض الآخر يقول: الحجاب عادة وليس بعبادة، والبعض الآخر يتحدَّى علماء المسلمين بأن يعطوه دليلاً على وجوب ستر الوجه، مع أن جميع الفقهاء قالوا: إذا خُشِيَتْ الفتنة فيجب على المرأة سترُ وجهها، ولا أدري أيها الإخوة هل الفتنة موجودة اليوم أم لا؟

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: أذكِّر نفسي وإياكم بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته». وعدَّ منها: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيَّته» رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما. فمن الواجب على الزوج تجاه زوجته أن يأمرها بالحجاب وبعدم إبداء

الزينة، وأجمل شيء في المرأة وجهها، فيجب عليها أن تستر وجهها وخاصة في زمن قلَّ فيه حياء الكثير من الرجال، في زمن لم يُمتثلُ فيه قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

أيها الإخوة: يجب ستر وجه المرأة حتى لا تكون فتنةً لشباب المسلمين، وحتى لا يكونوا هم فتنة لها كذلك، وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

اللهم استر أعراضنا، وآمن روعاتنا، واختم بالباقيات الصالحات آجالنا وأعمالنا. آمين. آمين. آمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هل ثيابك ثياب تقوى؟[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

ما زال حديثنا عن واجباتنا نحو بناتنا من حيث التربية، وأنَّه يجب على المرأة أن يكون بيتها هو مقرُّها ومكان عملها، وإذا أرادت المرأة أن تكون ناجحة في عملها فعليها بالقرار في بيتها. لذلك ألزم الله تعالى النساء بالقرار في البيوت، فقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ويجب على المرأة أن تعلم بأنَّ الفرار يوم القيامة من الأولاد سببه التقصير في الواجب الذي على المرأة نحو أبنائها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

فالمرأة التي تكثر الخروج من البيت فإنه يكون على حساب عملها في بيتها، وبذلك تَفْسُد وتُفْسِد. لذلك وجب عليها القرار، وإلا ندمت دنيا وأخرى لا قدر الله تعالى.

ومن الطبيعي أنَّ هناك فئة من الناس لا ترضى بهذا الكلام، ولا تحبُّه، وتكره قرار المرأة في بيتها، فهذا القسم من الناس لا يهمُّنا، ليرضَ من شاء، وليسخطْ من شاء، نحن عبيد لله عزَّ وجلَّ، والعبد من الرجال والنساء لا يسعه

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/٢/٢٨هـ، ٢٠١٠/٢/١٢م.

إلا أن يقول: سمعت وأطعت، فنحن عبيد، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

نحن لا علاقة لنا مع غير المؤمن، لا علاقة لنا مع الذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، لا علاقة لنا مع الذي لا يرجو لقاء الله واليوم الآخر، لأنَّ الحديث مع هؤلاء يجب أن يكون مركَّزاً أولاً على جوانب الإيمان بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم نبياً ورسولاً، فإن آمن وآمنَتْ فعند ذلك يقرؤون قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ما رآني أحد إلا أعجبته:

أيها الإخوة المؤمنون: الأصل في المرأة هو قرارها في بيتها، وأن لا تخرج إلا لأمر ضروري، وما ذاك إلا للتحقُّق بالعبودية لله عزَّ وجلَّ، وللقيام بواجبها نحو زوجها وأولادها.

فإذا أرادت الخروج من البيت لأمر ضروري فعلِّمها هذا الحديث الشريف: «إنَّ المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، فتقول: ما رآني أحد إلا أعجبته، وأقرب ما تكون إلى الله إذا كانت في قعر بيتها» رواه الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

علِّم هذا الحديث لزوجتك ولبناتك ولأخواتك ولمحارمك، وقل لها: أيتها الزوجة الكريمة، أي بنيَّة، يا أختاه، تذكَّري هذا الحديث الشريف قبل خروجك من البيت، واعلمي بأنَّ الله مطَّلع على خفايا نفسك، يعلم السر وأخفى، احذري عند خروجك من البيت حديثَ النفس الأمارة بالسوء: «ما رآني أحد إلا أعجبته».

هذا حديث بعض النساء مع أنفسهنَّ عندما تخرج الواحدة منهنَّ من بيتها وتمشي في الشارع، ونفسها تحدِّثها: «ما رآني أحد إلا أعجبته»، إذا دخلت مكانَ عملها ووظيفتها هذا حديث نفسها، ومن أكثرت من ذكر هذا الحديث النفسي فسدت وأفسدت والعياذ بالله تعالى.

قل: أي بنيَّة، أيَّتها الزوجة الكريمة، أيَّتها الأخت الغالية: لقد حدَّثنا الصادق المصدوق بأنَّ المرأة قد يخطر ببالها هذا الخاطر: «ما رآني أحد إلا أعجبته»، فراقبي الله عزَّ وجلَّ واعلمي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

لباس المرأة المسلمة:

أيها الإخوة الكرام: يجب على المرأة أن لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، وأن يكون خروجها للدراسة أو العمل مدروساً دراسة صحيحة، بحيث أن لا تكون الفترة طويلة، وأن لا يكون هناك اختلاط مع الرجال الأجانب، وأن يكون الطريق مأموناً من الرجال مرضى القلوب، وأن تخرج باللباس الشرعي لباس التقوى.

أيها الإخوة: علِّموا بناتكم ونساءكم ومحارمكم هذه الآية الكريمة: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

لماذا قال تعالى: ﴿يا بني آدم﴾:

أيها الإخوة: يجب علينا أن نقرأ القرآن الكريم بتدبُّر، لماذا قال مولانا: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل يا أيها الناس؟

الجواب ـ والله تعالى أعلم ـ: حتى يتذكَّر كلُّ واحد منا ـ وخاصة المرأة ـ بأنَّ العداوة بيننا وبين إبليس هي عداوة قديمة من زمن سيدنا آدم عليه

السلام، حيث وسوس إبليس لسيدنا آدم ولزوجه وسوسة بها أخرجهما من الجنة، ونزع عنهما لباسهما، وبدت سوآتهما، وهذه العداوة مستمرَّة إلى أن تخرج أرواحنا من أجسادنا، وقد علَّمنا ربُّنا عزَّ وجلَّ قصة هذه العداوة بقوله تعالى مخبراً عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]. اللهمَّ اجعلنا من المخلَصين.

وسوسة الشيطان لابن آدم، وسماع ابن آدم لتلك الوسوسة، سببٌ للغواية، ومن جملة هذه الغواية نزع اللباس وكشف العورة.

ربُّنا عزَّ وجلَّ أنزل علينا لباساً يواري سوآتنا، وطلب منا ستر العورة، وعورة الرجل من السرة إلى الركبة، والمرأة كلُّها عورة أمام الرجال الأجانب، وجاء دور الشيطان ليوسوس لنا، فمن أصغى لتلك الوسوسة وعمل بها نزع اللباس وكشف العورة من الرجال والنساء ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

هناك بعض الرجال يكشف عن عورته في الشارع، وفي بيته أمام أبنائه وبناته، وهناك بعض النساء كشفت عن عورتها أمام الرجال الأجانب، بدأت المرأة بكشف وجهها، ثم عن شعرها، ثم عن عورتها التي يجب عليها سترها أمام النساء ـ وهي من السُّرَّة إلى الركبة ـ فكشفت عن هذه العورة أمام الرجال الأجانب، ونسيت هذه المرأة عداوة إبليس لها ولأبيها وأمها حواء منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء، ففسدت المرأة وأفسدت، وهذا ما يريده إبليس اللعين ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، وهل هناك غواية أكثر من هذه الغواية؟ وهذه الغواية هي التي يريدها شياطين الإنس الذي تعلَّموا هذه الغواية من أستاذهم إبليس.

لذلك ربُّنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، تذكَّر أيها الرجل وأيتها المرأة عداوة إبليس لنا، تذكَّروا بأنه يجب علينا رجالاً ونساء ستر العورة.

فيا أخي الكريم: خاطب ابنتك وزوجتك ومحارمك بهذه الآية، وركِّز لهنَّ على قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾.

هل ثيابك ثياب تقوى؟

أيها الإخوة الكرام: ركِّزوا على قول الله تعالى: ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾. ليس كلُّ لباس ساتر للعورة هو لباس تقوى، قد يكون اللباس الساتر للعورة لباس فجور، لأنَّ بعض النساء قد تتوهَّم بأنَّ لبس البنطال وإن كان ضيِّقاً هو ساتر لعورتها، والبعض الآخر تلبس الثياب الرقيقة وهي تظنَّ نفسها بأنها ساترة لعورتها.

أيها الإخوة: يجب أن يكون اللباس الساتر للعورة هو لباس تقوى بحيث لا يصف ولا يشفَّ، يجب أن يكون عريضاً سميكاً، وأن لا يكون بحدِّ ذاته زينة.

ولتسمع المرأة حديث سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلْنَ الجنة، ولا يجدْنَ ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم.

كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة، لضيقها أو لرقَّتها، هذا هو لباس الفجور، وليس لباس تقوى.

لذلك قل لنسائك: عليكنَّ بلباس التقوى لا بلباس الفجور، وقل لهنَّ:

تساءلن مع أنفسكنَّ: هل لباسك لباس تقوى أم لباس فجور؟

المؤمنة التقيَّة يجب أن يدلَّ مظهرها على مخبرها، ظاهرها يدل على باطنها بأنها امرأة ترجو الله واليوم الآخر، يجب أن يسطع نور الإيمان من كلِّ تصرُّفاتها وأحوالها، فتعرف أنها من أهل القرآن حتى لا تؤذى من أصحاب القلوب المريضة.

المرأة المسلمة يجب أن تكون متميِّزة عن غيرها، تتنبَّه إلى جلبابها في الشارع أن لا يكون ضيِّقاً، وأن لا يكون رقيقاً، وأن لا يكون مزركشاً، بل يكون لباس وجلباب تقوى، وهذا يدلُّ على أنَّ هذه المرأة لا تحدِّث نفسها عند خروجها من بيتها بحديث المرأة غير الملتزمة: «ما رآني أحد إلا أعجبته».

المرأة المسلمة حريصة على نفسها من شرِّ الذئاب البشرية الذين يظنُّون أنَّ كلَّ امرأة صيد لهم، فلباس التقوى لا يجعل فيها طمعاً من قبل الفاسقين، على العكس من لباس الفجور الذي يجعل مطمعاً في النفوس المريضة والعياذ بالله تعالى.

أي بنيَّة! سلي نفسك هذا السؤال:

أيها الإخوة: هناك من هي حريصة على لباس الثياب الضيِّقة والرقيقة والقصيرة، ليسأل الرجل هذه البنت وهذه الزوجة وهذه الأخت: ما هي الغاية من هذا اللباس؟ وليقل لها: أي بنيَّة سلي نفسك هذا السؤال: ما هي الغاية من لبس هذه الثياب الضيِّقة أو الشفافة أو الرقيقة، أو العباءة الرقيقة أو المزركشة؟ إن لم تجب على هذا السؤال، فقل لها: كوني على حذر من حديث النفس: «ما رآني أحد إلا أعجبته»، قل لها: لا تكوني ضحيَّة لهؤلاء الذئاب البشرية. قل لها: هذه ليست ثياب تقوى، إنما هي ثياب فجور ذهب ضحيَّتها الكثير من النساء، فهناك من ذهبت ضحية هذه الثياب مع أخيها، أو مع خالها، أو عمِّها،

والعياذ بالله تعالى، فضلاً عمَّن ذهبت ضحيَّةَ هذه الثياب مع الرجال الأجانب.

من المسؤول؟

أيها الإخوة: من المسؤول عن لبس النساء هذه الثياب؟ هل الشرق أم الغرب؟ أم شياطين الإنس الذين يقولون: اجعل هذا في رقبتنا؟ أم المرأة التي تقول: أنا مسؤولة عن ذلك يوم القيامة؟

المسؤول هو كلُّ راع، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم» رواه البخاري ومسلم.

فمن قصَّر في هذه المسؤولية سوف يفرُّ يوم القيامة أمام صاحبه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

تابعوا نساءكم وبناتكم وأخواتكم، راقبوا لباسهنَّ، وحرِّضوهنَّ على لباس التقوى، ورحم الله القائل:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التُّقى ... تقلَّب عرياناً وإن كان كاسياً

وخيرُ لباس المرء طاعةُ ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصياً

هل لباس نسائنا لباس تقوى؟ انظر إلى محارمك وزوجتك، هل تقف أمام المرآة قبل خروجها من بيتها وهي تنظر إلى عباءتها وجلبابها وتهتمُّ بشكله ولونه وضيقه؟ ذكِّروهن بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: إن المرأة الصالحة هي التي تلبس ثياب التقوى لا

ثياب الفجور، ولا خير في امرأة تلبس ثياب الفجور إذا لم تتب إلى الله تعالى.

المرأة التي تصرُّ على لبس ثياب الفجور والعياذ بالله تعالى، من ثياب ضيِّقة أو رقيقة أو قصيرة، هي في الحقيقة عبدة لثيابها، وهذه مدعوٌّ عليها من قبل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» رواه البخاري. عبد الخميصة: هو عبد الثياب.

المرأة التي تصرُّ على ثياب الفجور لا تصلح أن تكون زوجة صالحة، ولن تكون أماً تربي أبناءها على الكتاب والسنة بحيث ترى ثمرة تربيتها من خلال قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

هذه الأم لن ترى هذا النتيجة، بل سترى نتيجة هذا الأمر كالذي تراه الأم الغربية والعياذ بالله تعالى، حيث تكون في نهاية عمرها في دار العجزة.

أيها الإخوة: صلاح الأمة لن يكون إلا من خلال الالتزام بكتاب الله عزَّ وجلَّ رجالاً ونساء، وإذا رأينا أكثر الناس هلكى لا قدر الله تعالى فعلينا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، لنكن من القليل الذين قال الله عنهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ولا نكن من الكثيرين الهلكى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

جرأة المرأة على التبرُّج[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ جرأة المرأة المسلمة على التبرُّج، وعلى الخروج من بيتها كاسية عارية، مميلة مائلة، رأسها كسنام الجمل، لأمرٌ عجيب، المرأة الغربية الكافرة إذا خرجت سافرة متبرِّجة كاسية عارية فليس ذلك بغريب عليها، لأنَّ اعتقادها فاسد، ولأنَّ شكَّها في دينها قائم، وليس عندها ارتباط بيوم القيامة. ولكن المشكلة في المرأة المسلمة التي آمنت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبالقيامة مآلاً، وبأنَّ الجنَّة حقٌّ، وبأنَّ النار حقٌّ، أمر عجيب من هذه المرأة أن تخرج سافرة، متبرِّجة، كاسية عارية، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول في حقِّ هذه النسوة: «لا يدخلْنَ الجنة ولا يجدْنَ ريحها وريحها يوجد من مسيرة خمس مئة عام» [رواه الإمام مالك في الموطأ].

من المسؤول؟

من المسؤول عن ذلك؟ المسؤول عن ذلك هو من يشهد الجمعة، ومن يحضر مجالس العلم. المسؤول عن ذلك هو الذي قال فيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: «كلُّكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل ـ وأنت رجل ـ

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٨/٦/٧هـ، ٢٠٠٧/٦/٢٢م.

راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته» [رواه البخاري ومسلم]. والله يخاطبك بنص القرآن ببيان واضح: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

جرأة المرأة على التبرُّج أثرها خطير على المجتمع:

يا عبادَ الله: إنَّ جرأة المرأة أن تخرج من بيتها، وتنسى الأسوة الصالحة من بنات الأنبياء والمرسلين، وتنسى الأسوة الصالحة من نساء أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وتنسى الأسوة الصالحة من النساء الصالحات، وتنسى نفسها أن تكون من الصالحات، تنسى قول الله عزَّ وجلَّ وهو يحدثنا عن بنات سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣]. جرأة في المرأة أن تخرج متبرِّجة، والجرأة الأكثر أن تحتك مع الرجال، وأن تتكلم مع الرجال، وأن تخلو بالرجال، إن كان في الأسواق، وإن كان في المؤسسات، وإن كان في الجامعات، وإن كان في المدارس، وفي الشوارع والطرقات، والجرأة عندها أشد وأعظم عندما تخرج متبرِّجة على أجهزة الإعلام بكلِّ صورها.

هذه الجرأة أثرها خطير علينا نحن الرجال، ولعلك أن تتنبَّه إذا كنت حريصاً على مستقبلك في الآخرة، كن على حذر من جرأة هذه المرأة، لأنَّ جرأتها سوف تحطم مستقبلك في الآخرة، سوف تجعلك نادماً في الحياة الدنيا قبل الآخرة، جرأة المرأة بهذا الشكل، وبدون أن تسمع أمراً بمعروف، ونهياً عن منكر، شرٌّ مستطير على الأمة كلِّها، شرٌّ مستطير على المجتمع كلِّه، لأنَّ مولانا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥] وشرٌّ مستطير على المجتمع كلِّه، لأنَّ مولانا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ

ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

هذه الجرأة على التبرُّج، مع سكوتنا عن هذا المنكر، خطرها على رجالنا، وعلى شبابنا، وعلى أسرنا، ألم يحدِّثنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «ما تركت بعدي فتنة هي أضرُّ على الرجال من النساء». طبعاً أيها الإخوة كلُّنا يصدق رسول الله في ذلك، ومن منا يستطيع أن يكذب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي قالت عنه أعداؤه: ما جرَّبنا عليك كذباً قط. الذي قال عنه أعداؤه: أنت الصادق الأمين، وواقع الأمة بعد أعوام عدة يصدق كلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

هذه الجرأة من أسباب الخلاف الزوجي:

أيها الإخوة: خروج المرأة ـ وأي امرأة؟ بنتي وبنتك، زوجتي وزوجتك، أختي وأختك، عمتي وعمتك، خالتي وخالتك، وبنات هؤلاء ـ خروج هذه المرأة، وجرأتها على الاختلاط والخلوة في المحلات التجارية، وفي مكاتب العمل، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يحذِّرنا من ذلك بقوله: «لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» [رواه الترمذي]. إنها لظاهرة خطيرة.

هذه الجرأة ظهر أثرها في أسرنا، تنبَّهوا أيها الإخوة، وابحثوا في الخلاف الأسري بين الزوجين، وفي الأسرة كلِّها، ما سبب هذا الخلاف؟ ومن أين دخل هذا الخلاف بين الزوجين؟ وقد اختار كلُّ واحد من الزوجين الآخر على أساس من الدين والخلق، لتربية الأبناء على الدين وعلى الخلق،

ما الذي أدخل المشكلة إلى الزوجين وانتقلت إلى الأبناء؟ لو دقَّقنا لوجدنا بأنَّ سبب الخلاف الزوجي أنَّ امرأة أجنبيَّة دخلت على الخط، ونفذت إلى قلب هذا الرجل، وإذا استثير الإنسان في شهوته ـ وهذا ثبت علمياً ـ أفرز الدماغ مادة عطَّلت محاكمة الإنسان العقلية، وعندما انطلق في محاكمة الأمور من منطلق شهوانيٍّ حطَّم نفسه، وحطَّم أسرته، وحطَّم في النتيجة المجتمع كلَّه، والعياذ بالله تبارك وتعالى.

أيها الرجل! راقب محارمك قبل الخروج من البيت:

هل بوسعنا أيها الإخوة أولاً أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر؟ هل بوسعنا أن يراقب كلٌّ منا بناته وزوجته ومحارمه، وخاصة إذا أرادت المرأة الخروج؟ هل بوسعنا إذا لم تمتثل المرأة أمر الله عزَّ وجلَّ أن نمتثل نحن أمر الله عزَّ وجلَّ من أجل سلامتنا، ومن أجل سلامة دنيانا، ومن أجل سلامة أسرتنا، ومن أجل سلامة العلاقة الزوجيَّة مع نسائنا، ومن أجل سلامة أبنائنا؟ هل بوسعنا أن نمتثل أمر الله عزَّ وجلَّ؟

أيها الإخوة: مشكلة النساء مشكلة عظمى، المرأة لا تتعلَّم ولا تتفقَّه ولا تشهد الجمعة والجماعات، والزوج مهمل ولا يبالي ولا يأمر ولا ينصح، وأجهزة الإعلام تبثُّ سمومها من أجل تبرُّج تلك المرأة، وتحقق هذا أيها الإخوة، وما زالت بلدتنا بحمد الله محافظة، فهل بوسعنا أن نتدارك أنفسنا؟ فإنَّ الشرَّ مستطير، وإنَّ دمار الأسر قائم على قدم وساق يهدِّد أسرنا وعلاقاتنا الزوجيَّة، ويهدِّد بضياع أبنائنا، فهل بوسعنا أن ننتبَّه إلى بناتنا، وأن نمتثل أمر الله عزَّ وجلَّ في أنفسنا؟

روى الإمام مسلم في صحيحه عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله

عنه قال: قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ الدنيا حلوة خضرة، وإنَّ الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»، الله ينظر إلينا كيف نعمل، استخلفنا الله في هذه الدنيا من أجل عمارتها، وعمارة الدنيا لا تكون إلا من خلال البيع والشراء، وطلب العلم، والاحتكاك مع بعضنا البعض، ولكنَّ احتكاك الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء، لا احتكاك الرجال مع النساء. عمارة الدنيا لا تتحقَّق إلا إذا قام كلٌّ من الرجال والنساء بعمله كما أمر الله عزَّ وجلَّ. ولكن إذا احتك الرجال بالنساء واختلط الرجال بالنساء فلا عمارة في هذه الحياة الدنيا، وانظروا واقعنا، هل هناك عمارة في واقعنا الدنيوي، على كلِّ المستويات وضعُنا في تدنٍّ، والمؤشر خطير لأننا نسينا أوامر الله عزَّ وجلَّ.

أول فتنة لليهود كانت في النساء، فضربت عليه الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، ولُعنوا على لسان عيسى عليه السلام، وعلى لسان داود عليه السلام، لأنَّهم فتنوا بالنساء.

أرجع فأقول: انظروا في مشاكلنا في أسرنا، واصدقوا مع أنفسكم، فإنكم تجدون أنَّ السبب في تلك الفتنة والمشكلة في أسرنا أنَّ امرأة دخلت إلى قلبك والعياذ بالله تبارك وتعالى.

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم:

أيها الإخوة: ربُّنا عزَّ وجلَّ أمرنا ببيان واضح بنصِّ القرآن العظيم فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] إذا المرأة لم تمتثل أمر الله فامتثل أنت أمر الله، إذا اجترأت المرأة على التبرُّج، وضحَّت بمستقبلها في الآخرة، وخرجت متبرِّجة، والله هي السبب في فتنة الرجال، والشيطان

استغلها، الشيطان يريد منا الغواية، ويريد منا اتباع الأهواء والشهوات، فجنَّد الشيطان هذه المرأة من أجل غوايتك، فهل أنت على حذر من ذلك؟ ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال لك ببيان واضح: «لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان» [رواه الترمذي]. وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لسيدنا علي: «يا علي لا تُتْبِع النظرةَ النظرة، فإنَّ لك الأولى وليست لك الآخرة» [رواه الترمذي]. النظرة الثانية هي عليك وليست لك، أما نظرة الفجأة لتلك المرأة التي اجترأت، فإنها لا تضرُّك، ولكنَّك إن نظرت ثانية أضرَّتك تلك النظرة، وفتكت في قلبك فتك السهم المسموم، فأفسدت عليك إيمانك، وإذا فسد الإيمان فلا غرابة أن تفسد الأسرة، ولا غرابة بعد ذلك أن يفسد المجتمع. لذلك خذ قول الله عزَّ وجلَّ وهو يخاطبك بقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] لم يا رب؟ قال بعضهم:

كلُّ الحوادثِ مَبداها من النظر ... ومُعظم النارِ من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتكَ السهام بلا قوس ولا وَتَر
والمرء ما دام ذا عين يقلِّبها ... في أعين الغِيدِ موقوفٌ على خطر
يسرُّ مُقْلَتَهُ ما ضرَّ مُهْجَتَهُ ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

نظرة تسرُّ مقلتك وتدمِّر بيتك، نظرة تسرُّ مقلتك وتوردك إلى نار جهنم. نظرة تسرُّ مقلتك وتفسد عليك دينك وإيمانك، فيبيع ذلك العبد دينه بعرض من الدنيا قليل. بئست تلك النظرة.

أيها الإخوة: لنتق الله عزَّ وجلَّ، لنتق الله في أسرنا، لنتق الله في شبابنا، لنتق الله في رجالنا، لنراقب بناتنا، ولنراقب محارمنا.

أيها التجار اتقوا الله!

وأقول للإخوة التجار: اتقوا الله يا تجار، وخاصة تجار الألبسة النسائية،

وخاصة تجار الزينة، اتقوا الله في شبابنا، اتقوا الله في أعراضنا، اتقوا الله في مجتمعنا، اتقوا الله في أمَّتنا، والله إنَّ عرضكم لتلك الأزياء على تلك التماثيل وهي مبثوثة في الشوارع وفي الجامات، ويمرُّ الشباب والرجال وينظرون إلى تمثال تلك المرأة حيث ألبست تلك الثياب وتلك الزينة، وشبابنا لا يجدون سبيلاً إلى الزواج وإلى إعفاف أنفسهم، أما كفانا أجهزة الإعلام من القنوات الفضائية التي تُبث في الدنيا؟ أما يكفي شبابنا ضياعاً من خلال هذه القنوات. أنت أيها التاجر من أجل دريهمات ومن أجل ترويج السلعة، ولو على حساب شباب المسلمين! والله إنني على ثقة بأن الله لن يبارك لك في هذا المال، وإنني على ثقة والله بأن الانتقام عاجل غير آجل، لأنك سبب في هذا الفساد، ومن كان سبباً في فساد شبابنا فليتذكر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ٦-١٣].

أيها التاجر: والله قد تكون أنت السبب في دمار بلدنا ومجتمعنا، ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة، وأنت تقرأ صباحاً ومساء قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

أيها التاجر: المرأة بحاجة إلى اللباس، وبحاجة إلى الزينة، فسوف تشتري إن شاءت وإن أبت، وإن شئتَ وإن أبيتَ، لأنَّها من الضروريات للحياة، فلا تعرض اللباس بهذا الشكل فتكون سبباً لفتنة الشباب، وتكون سبباً للغواية، فوربِّ الكعبة سيسألك الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: هل من تائب؟ هل من مصطلح مع الله؟ أين المصلح في مجتمعنا؟ فلنكن من المصلحين، لأنَّ الله لا يعذِّب أمة فيها المصلحون، ولكن قد يعذِّب الله أمة فيها الصالحون، لأنَّ الصالح إن لم يكن مصلحاً قد يبدأ العذاب به، لنكن صالحين، ولنكن مصلحين، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم [1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إنَّ جرأة المرأة في تبرُّجها، وجرأة المرأة في سفورها، وجرأة المرأة في الاختلاط مع الرجال، مؤشِّر خطير للمجتمع الذي نعيشه، هذه الجرأة تؤدي إلى دمار الدنيا والآخرة بالنسبة للإنسان المؤمن، إذا لم يكن في حصن حصين مما أمر الله عزَّ وجلَّ ونهى. إذا اجترأت المرأة على أن تتبرَّج، وأن تختلط بالرجال قلَّ حياؤُها، وقلَّ خوفها من الله عزَّ وجلَّ، فكن أنت أيها الرجل ـ وخاصة وأنت في مقتبل عمرك، وخاصة وأنت في أيام شبابك، وخاصة وأنت كما يقال في أيام مراهقتك ـ كن على حذر من أجل طهارتك في الدنيا قبل الآخرة، كن متيقِّظاً من فتنة المرأة، لأنها أعظم الفتن التي تُركت للأمة بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

كن رجلاً:

أيها الإخوة: ينبغي علينا أن نكون رجالاً، ممن قال الله عزَّ وجلَّ فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، أن تكون رجلاً في غضِّ البصر وأنت ممتثل قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٢٨/٦/١٤هـ، ٢٠٠٧/٦/٢٩م.

[النور: ٣٠] ، فإذا ما امتثلت أمر الله بغضِّ البصر أشعرك الله وأذاقك حلاوة الإيمان التي قال فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ذاق طعم الإيمان» [رواه مسلم] . الإيمان له طعم وذوق ، ومن ذاق طعم الإيمان لو قُطِّع إرباً إرباً ما اجترأ على معصية الله ، لأنه ما من لذَّة يتذوَّقها الإنسان أعظم من نعمة الإيمان ، أسأل الله ألا يحرمنا إياها .

بغضِّ البصر تذوق حلاوة الإيمان:

غُضَّ من بصرك من أجل أن تذوق حلاوة الإيمان ، وإن ذقت حلاوة الإيمان أقبلت على الله ، وإذا أقبلت على الله أصبحت محبوباً عند الله ، وإذا أصبحت محبوباً عند الله أصبحت ولياً من أولياء الله ، وإذا أصبحت ولياً من أولياء الله قال الله عزَّ وجلَّ في حقِّك وفي حقِّ أمثالك من الأولياء: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» [رواه البخاري] ، صار الله بجانبك ، صار الله معك ، فإذا أحبَّك الله قال مولانا عزَّ وجلَّ في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينَّه ولئن استعاذني لأعيذنَّه» [رواه البخاري] .

أيها الإخوة: بغضِّ البصر نذوق حلاوة الإيمان ، يقول ربُّنا جلَّ وعلا في الحديث القدسي: «إنَّ النظرة سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه» رواه الطبراني والحاكم وصحَّحه .

وبغضِّ البصر يجمع الله أمرنا ويوحِّد الله عزَّ وجلَّ همَّنا ، فيجعل همَّنا هماً واحداً ألا وهو: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي .

وأما إذا ما أطلقنا البصر ، وإذا خلونا مع المرأة من غير محارمنا ، وانتهكنا حرمات الله في خلواتنا ، وظنَّ الواحد بأنَّ الله عزَّ وجلَّ ليس رقيباً عليه ، صار الخطر في إيمانه ، وإن كان يظنُّ بأنَّ الله رقيب عليه كيف يجعل

هذا العبد ربَّه أهونَ الناظرين إليه؟ إن كنت تعتقد أنَّ الله لا يراك فالخلل في إيمانك، وإن كنت تعتقد بأنَّ الله يراك فلا تجعل الله أهون الناظرين إليك. لا تستح من المخلوق وتقلِّل الحياء مع الله عزَّ وجلَّ.

تذكر دائماً: ﴿إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾:

هذه المرأة المتبرِّجة، التي عرَّضت رجالنا وشبابنا للفتنة، والتي هدمت كثيراً من البيوت العامرة، الله عزَّ وجلَّ لها بالمرصاد إذا لم تتب إلى الله عزَّ وجلَّ.

وأما أنت أيها الإنسان المؤمن، أيها الشاب التقي، أيها المرتبط بالله عزَّ وجلَّ، فكن على حذر، لأنَّ ربَّنا عزَّ وجلَّ يقول لنا في القرآن العظيم: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] سوف ينبِّئك الله بما قدَّمت وأخَّرت، عندما كنت في مكتبك أثناء العمل، وعندما كنت في محلك أثناء العمل، وعندما كنت في جامعتك ومدرستك أثناء الدراسة، وعندما كنت تمشي في الطرقات، وعندما كنت في خلواتك، يقول الله عزَّ وجلَّ لنا جميعاً: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ كيف ينبأ هذا العبد؟ ينبأ هذا العبد من خلال قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] إن كنت قارئاً وإن كنت غير قارئ في حياتك الدنيا، وإن كنت متعلِّماً أو أمِّيّاً لا تعرف القراءة والكتابة في الدنيا، في يوم القيامة سيعلِّمك الله، بمجرد أن يقول لك ربنا: اقرأ، ستصبح قارئاً وإن كنت أمياً.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ ما هذا الكتاب يا رب؟ الذي قلت لك فيه وأنت في الدنيا: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ سأخرج لك هذا الكتاب الذي كنت في

غفلة عنه، وأنا الذي قلت لك في القرآن العظيم: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] ملك عن يمينك وآخر عن يسارك، قعيد قاعد معك، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] رقيب: حافظ لا يغيب عنك، يحصي عليك أقوالك وأفعالك، فإذا ما خلوت لا تقل ما عليَّ رقيب، رقيب عليك وأنت لا تراه، ولكنَّ الله من محبته فيك أنه أعلمك بأنَّ هناك ملكين موكَّلين عليك ليحفظا عنك ما تفعل وما تقول.

يُخرج لك ربُّنا هذا الكتاب، وإذا كان الإنسان مجرماً في حقِّ نفسه قبل أن يكون مجرماً في حقِّ غيره، فليتدبَّر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] الصغيرة والكبيرة أحصيت عليك وأخرجت لك في يوم قال فيه مولانا عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٣-٢٦].

انظر إلى هذا المجرم ـ وأرجو الله ألا يكون فينا مجرم ـ عندما يقول: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، هذا العبد يفاجأ بأعماله وسيئاته ونظراته الخائنة في حقِّ المرأة المتبرِّجة. إن تبرَّجت هي واجترأت على معصية الله، كيف تجترئ أنت على النظرة إليها؟ كيف تجترئ أنت أن تخلو معها؟ وإذا ما خلوت معها كان الشيطان ثالثكما، وإذا كان الشيطان ثالثكما وقعت الفتنة إلا من رحم ربي.

هذا العبد كما قال مولانا عزَّ وجلَّ في حقِّه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠] أي كذلك محضراً.

بالله عليك يا أخي، بالله عليك يا أختاه، بالله عليك أيها المسؤول من خلال منزلتك، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية ومسؤولة عن رعيتها» [رواه البخاري ومسلم]. أيها المسؤول ماذا ستقول لربك يوم القيامة وأنت لا قدر الله لك نظرات خائنة؟ والله عزَّ وجلَّ حذرك بقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ماذا ستقول لربك الذي قال لك: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]؟ ما هو الجواب؟ وأنت لا قدر الله تنتهك حرمات الله، أتيت بأعمال صالحة وأنت تنتهك حرمات الله، في محلك التجاري، في بيتك، في مكان ما، أنت تنتهك حرمات الله، مع صلاتك، مع صيامك، مع تلاوتك للقرآن، مع شهودك للجمعة والجماعات، ولكنَّك خلوت فعصيت، وارتكبت الإثم وانتهكت حرمات الله، ماذا ستقول لربك يوم القيامة؟ ألك عذر؟ إن قلت: المرأة هي التي فتنتني، سيقول لك ربي عزَّ وجلَّ: وأنا قلت لك: غُضَّ من بصرك، واحفظ فرجك، واصبر لأنني ما خلقتك إلا للعبادة، والعبادة فعل المأمور وترك المحظور، فإن لم توجد المرأة السافرة كيف يكون التزام الأمر؟ هذا هو الابتلاء والاختبار، كن رجلاً، وقل كما قال ذاك الرجل الذي هو في ظلِّ عرش الرحمن: إني أخاف الله رب العالمين، «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله» [رواه البخاري ومسلم] فكيف بامرأة دون ذلك؟ حرقت مستقبلك لا قدر الله في الآخرة من أجلها.

ليكن شعارك: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي:

أيها الإخوة: لنحفظ قول الله جلَّ وعلا: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ فما

أنت قائل لربك؟ هل لك من عذر؟ هل لك من تبرير؟ إن قلت: أنا ضعيف. يقول لك الله: وأنا القوي، ومن الذي احتمى بالله ولم يحمه الله عزَّ وجلَّ؟

أيها الشاب، أيها الرجل، أيها الموظف، أيها التاجر، دخلت عليك امرأة فقلت: أنا ضعيف فوقعت في الفاحشة، يقول لك مولانا عزَّ وجلَّ: أما ضربت لك مثلاً في القرآن الكريم عن يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، عندما فعلت امرأة العزيز ما فعلت، ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣]، الله عزَّ وجلَّ أحسن إلينا، علَّمنا من بعد جهل فينا، والله عزَّ وجلَّ عرَّفنا على ذاته وقال لنا: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] أتخاف من الفتن؟ من فتنة النساء والمال؟ نعم، ففروا إلى الله، وإذا فررت إلى الله فأنت في حرزه وأمانه، ووالله إن الله يحفظك من الفتن مهما كانت قوية، كما حفظ الله سيدنا إبراهيم عندما ألقي في النار ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

أيها الشباب، أيها الرجال: لنتَّق الله في النساء، اتقوا الله في الدنيا، واتقوا الله في النساء، لنتَّق الله من أجل سلامتنا.

وأخيراً أسوق لكم حديثاً شريفاً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أختم به هذه الخطبة المباركة إن شاء الله.

لعلك أن تتدبَّر يا رائد بيت الله، يا أيها المصلي، يا أيها الصائم، يا أيها الشاب، يا أيها المؤمن، يا أيتها المؤمنة، تدبَّر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما يروي ابن ماجه، يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لأعلمنَّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً، فيجعلها الله عزَّ وجلَّ هباء منثوراً». ـ نسألك يا رب أن تحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ـ.

فقال سيدنا ثوبان رضي الله عنه: يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أما إنَّهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنَّهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها».

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: حافظوا على صلواتكم، حافظوا على شبابكم، حافظوا على طاعاتكم، وكونوا على حذر من المرأة المتبرِّجة، لأنه ما دُمِّرت البيوت في الحياة الدنيا إلا بسبب المرأة المتبرِّجة، وما خُرِّب المستقبل في الآخرة إلا بسبب هذه المرأة، إلا من رحم الله عزَّ وجلَّ.

أرجو الله أن يوقظني الله وإياكم من غفلتنا، وأن يلهمني الله وإياكم رشدنا، إنه سميع مجيب.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أسباب انتشار الفضائح الجنسيَّة[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

اعلم يا عبد الله أنَّ كلَّ قول وفعل مسطَّر عليك، وسيُخرج الله عزَّ وجلَّ لك يوم القيامة ذلك الكتاب، فإما أن يبيضَّ الوجه، وإما أن يسودَّ الوجه والعياذ بالله، وربنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤-١٥].

الفضائح قسمان: جنسيَّة وماليَّة:

وإن فضائحنا اليوم لا تتعدَّى فضيحتين اثنتين: إما فضيحة جنسيَّة، وإما فضيحة ماليَّة، إما أن يفضح العبد والعياذ بالله من حيث الجنس، من حيث علاقته مع النساء، وإما أن يفضح بأمور ماليَّة. فضائح المجتمع لا تتعدَّى هاتين الفضيحتين، وانظروا في واقعنا تجدون مصداق ذلك.

هذه الفضيحة الجنسيَّة عندما تحدَّثنا عن مضارها في الأسابيع الماضية، علينا أن ندرك بأنه من فضح في الدنيا ـ وأسأل الله أن يديم الستر علينا،

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢١/٦/١٤٢٨هـ، ٦/٧/٢٠٠٧م.

وأسال الله الذي سترنا فيما مضى من أعمارنا أن لا يهتك الستر عنا فيما بقي منها ـ فإنه قد عرَّض نفسه ـ إن لم يسرع إلى التوبة الصادقة النصوح لله عزَّ وجلَّ ـ للفضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد والعياذ بالله، وعندها ينادي ـ ويا ليت ينفعه الندم ـ ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩]، والنتيجة ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢]. هذا كلام ربِّنا عزَّ وجلَّ.

الفضيحة تكون مع الإصرار:

أيها الإخوة: خذوها قاعدة: العبد لا يُفضح في الدنيا بارتكاب المخالفة للمرة الأولى، لا أبداً، سواء كان في علاقة جنسيَّة، أو في أمور ماليَّة، ربُّنا عزَّ وجلَّ أرحم وأكرم من أن يفضح العبد في المرة الأولى إذا ارتكب المعصية. رفعت قضية سرقة إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، فجاءت أمُّ السارق مستشفعة وقالت: يا أمير المؤمنين، إنَّ ابني هذا لم يسرق إلا هذه المرة. فقال لها: اسكتي، فإنَّ الله لا يفضح العبد في المرة الأولى.

ولكنَّ العبد إذا أصرَّ فإنه عرَّض نفسه للفضيحة، فإن فضح في الدنيا فعاد إلى الله وآب ورجع، فإنَّ الحقَّ يعيد الستر عليه مرة ثانية، ويُنسي ربنا عزَّ وجلَّ القوم تلك الجريمة. ولكنه إذا أصرَّ والعياذ بالله، ومات وهو مصرٌّ على ذلك فُضح يوم القيامة.

أسباب هذه الفضائح:

أولاً: جُرأة المرأة:

أيها الإخوة: الفضائح في مجتمعنا اليوم، وخاصة الفضائح الجنسيَّة ما

جاءت من فراغ، لا وربِّ الكعبة، إنما جاءت من جُرأة الرجل والمرأة على معصية الله عزَّ وجلَّ، هذه الفضائح جاءت من جُرأة المرأة في أن تخرج إلى الشارع متبرِّجة، جاءت من خلال جُرأة المرأة أن تسافر بدون محرم، وما أكثر السفر بالنسبة للنساء بدون محرم، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام حذَّر من ذلك فقال: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم» [رواه البخاري]، وإنكم تسمعون بعض الفتاوى في جواز سفر المرأة بدون محرم، إلى حج وإلى عمرة، ولكن الذي يفتي بهذه الفتوى كأنَّه لا ينظر إلى واقعنا، وخاصة في سفر المرأة براً، كم وكم من مخاطر الطريق؟ وكم وكم من حوادث؟ وكم وكم من تعطيل المركبات؟ وهذا الرجل يأذن للمرأة أن تسافر بدون محرم.

كما جاءت هذه الفضائح من جُرأة المرأة على أن تتكلَّم مع الرجال بلين القول وخضوع القول، فيطمع الذي في قلبه مرض. جرائم الجنس والفضائح ما جاءت من فراغ، إنما جاءت من جُرأة المرأة، عندما تجترئ المرأة أن تخلو برجل في عملها، وفي وظيفتها، وفي عيادة الطبيب، وفي مكتب التاجر، عندما تكون المرأة عندها تلك الجرأة فقد عرَّضت نفسها للفتنة، وعرَّضت نفسها للفضيحة الجنسية والعياذ بالله.

ثانياً: جُرأة الرجل:

وعندما تكون الجُرأة في الرجل كذلك أن يطلق بصره، وأن يصغي بسمعه لحديث المرأة التي تخضع بالقول وتلين الكلام، وتكون الجرأة عند الرجل أن يخلو مع المرأة، وأن يغلق باب محله التجاري، وأن يغلق باب مكتبه أثناء الوظيفة، هذه الجرأة هي التي أوقعت الرجال والنساء في تلك الجريمة والفاحشة، مما أدى إلى فضائح في مجتمعنا والعياذ بالله.

هذه الجرأة على ارتكاب معصية الله، واللهِ ما جاءت إلا بسبب غفلتنا عن الله، إلا بسبب غفلتنا عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]. ما جاءت هذه الجرأة إلا من خلال نسياننا لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ولقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١١]. في حالة غفلة عن الله، ولا يُذَكِّر بعضنا بعضاً.

أيها المؤمن! ابتعد عن مواطن الفتن:

أيها الإخوة: علينا أن نتَّقي مواطن الفتن، يا أيها الإنسان الكريم، الطاهر، الشريف، العفيف، يا أيها الإنسان الذي تكاد أن توصف بأنك ملك في طهرك وعفافك وأدبك وأخلاقك، اتَّق مواطن الفتن، لأنَّ من حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، اتَّق مواطن الفتن من أجل صيانة عرضك، وحتى لا تتهم، ينبغي عليك يا أيُّها الرجل الطاهر العفيف، ويا أيَّتها المرأة الطاهرة العفيفة أن تتقي مواطن الفتن، لأنَّ من جعل نفسه في مواطن التهم فلا يلومنَّ إلا نفسه إذا تحدَّث الناس عنه، وما هي مواطن التُّهم، التي ينبغي على الإنسان أن يتقيها؟

مواطن التهم ما أكثرها في مجتمعنا، الكثير منا ـ وأنا أقصد ما أقول ـ من يذهب إلى مواطن الريب، وإلى مواطن الفتن، ثم يناشد الناس أن يحسنوا الظنَّ به، من هذه المواطن: السواحل، المنتزهات العامة التي يتقصَّدها رجالنا ونساؤنا إلا من رحم ربي، أين تذهب؟ إلى مواطن الاتهام والفتن والريب، تلك السواحل، وتلك الشواطئ التي تُنتهك فيها حرمات الله والعياذ بالله، وعند هذا الإنسان المسلم الجرأة أن يذهب ويقول مبرِّراً لنفسه ولعياله: أن آخذ زاوية متطرِّفة لا أختلط فيها مع النساء، ونسائي لا يختلطن مع الرجال.

جنِّب نفسك مواطن الريب، ومواطن المعصية لله عزَّ وجلَّ.

أيها الإخوة: من مواطن الريب المطاعم وخاصة خارج منطقتنا، أن يذهب إلى بعض المطاعم التي يدخل فيها النساء والرجال، والنساء السافرات المتبرِّجات، أين تذهب؟ أين عقولنا عندما يتقصَّد بعضنا أن يسافر من بلدته إلى محافظة من المحافظات ليتناول الطعام في مطعم من المطاعم، لأنَّ هذا المطعم كبير فيه الأشجار والمياه والمسابح وفيه وما فيه، ولكن أنسيت يا عبد الله أنَّ تلك المواطن إنما هي مواطن فتنة حيث يختلط الرجال بالنساء؟ وأنت تجعل نفسك في مواطن التهمة والريب، ويشار إليك ويشكُّ في شأنك.

وأشدُّ من ذلك المسابح التي فيها كشف للعورات، وبكلِّ أسف جُلُّ المسابح ـ إن لم أقل كلُّها ـ فيها كشف للعورات، ولو لم يكن فيها الاختلاط، كشف عورات الرجال أمام بعضهم البعض، ولعن الناظر والمنظور إليه والعياذ بالله، يريد أن يذهب ويتعلَّم السباحة، ودرء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح، والألعن من هذا أن تكون المسابح عائليَّة، وبكلِّ وقاحة ترى الدعايات إلى المسابح العائلية، هؤلاء أقوام جعلوا على رؤوسهم القرن، هل يا ترى الإنسان المسلم الطاهر العفيف يرتاد تلك المسابح وتلك المطاعم وتلك الشواطئ؟

كن رجلاً محافظاً على طهارتك حتى لا تفتن، لأنه لا قدَّر الله لو فتن العبد فربما أن يفضح، ومن فُضح في الدنيا فربما أن يُفضح في الآخرة، وسيندم ولا ينفعه الندم والعياذ بالله.

أيها الإخوة: اتَّقوا مواطن التُّهم ومواطن الريب، وانظروا إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما يروي الإمام البخاري ومسلم، كان صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم معتكفاً في مسجده الشريف، وجاءت أمنا السيدة صفية رضي الله عنها لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، فجلست مع رسول الله ساعة، ثم قامت تنقلب إلى بيتها أي ترجع،

فقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم معها حتى وصل إلى باب المسجد، فمرَّ رجلان من الأنصار فسلَّما على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فردَّ عليهما السلام، وقال: «على رِسْلِكُما، إنها صفيَّة أمُّكم»، فنظر الرجلان وقالوا: سبحان الله يا رسول الله، استعظموا هذا الأمر، أنشكُّ فيك يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّ الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً». خشي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أن يقذف الشيطان في قلبيهما شيئاً من سوء الظن، بمن؟ بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهو الطاهر، وأصحابه الأطهار الأبرار، ولكنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

جنِّبوا أنفسكم مواطن الريب، كم وكم من إنسان اتُّهم مع طهارته، من أين جاء هذا الاتهام؟ من جعل نفسه في مواطن الريب.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: لنرجع إلى الله، ولنبتعد عن مواطن الفتن والريب، ولنبتعد عن الأحاديث مع النساء، وعن النظر إلى النساء، وعن الخلوة بغير محارمنا، ينبغي علينا أن نكون على حذر، إياك ثم إياك من مزاحك مع بنت عم أو بنت خال، أو زوجة عم أو زوجة خال، إياك ثم إياك من خلوة مع زوجة أخ لك، وإياك ثم إياك من حديث مع زوجة أخيك، اتقوا مواطن الفتن، ومواطن الريب، لنسلم على ديننا، أعمارنا قصيرة، والموت يعمُّنا، والقبر يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله يفصل بيننا، أسأل الله ألا يسوِّد وجوهنا يوم القيامة.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الله يغار، وإن المؤمن يغار[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

النساء سبب لفتنة الرجال، والرجال سبب لفتنة النساء، ولكنَّ الخطاب للرجال، فأقول أيها الإخوة: كلُّ مؤمن غيور، والنبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بيَّن هذا في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمامان البخاري ومسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: «إنَّ الله يغار، وإنَّ المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم عليه».

الأصل في الإنسان المؤمن أنه غيور، ولولا الغيرة التي جُبل عليها الإنسان المؤمن لما دافع أحد عن عرضه أبداً، وانظروا أيها الإخوة إذا فقد الإنسان الغيرة فإنه لا يدافع عن عرضه، بل ربما هو الذي يدفع عرضه والعياذ بالله لارتكاب الفاحشة. فالمؤمن غيور، وإذا ما رأى المؤمن أحداً يقترب من عرضه ويمسُّ هذا العرض بسوء، فإنَّ هذا الإنسان المؤمن يغلي كغليان القدر على المرجل، وهذا أمر طبيعي، لأنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: «إنَّ الله يغار، وإنَّ المؤمن يغار»، وقال في حديث آخر:

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ٢٨/٦/١٤٢٨هـ، ١٣/٧/٢٠٠٧م.

«أتعجبون من غيرة سعد، فوالله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» [رواه البخاري ومسلم].

كن غيوراً على أعراض المسلمين:

فيا أيها الإنسان المؤمن الغيور، هذه الغيرة التي جُبِلت عليها وفُطرت عليها، هل هي مقصورة على عرضك وعلى محارمك فقط؟ تغار على عرضك وعلى محارمك، وهذا من حقِّك، ولكن هل أنت تغار على أعراض المسلمين وعلى محارم المسلمين، وتعاملهم معاملة عرضك؟ إن قلت: لا، فأقول لك: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفِّفين: ١-٦]. وإن قلت: نعم، أنا أغار على أعراض المسلمين كما أغار على عرضي، فأقول: الخير كلُّ الخير فيك، وبك انعقدت الآمال على صلاح هذه الأمة، وإن الخير في هذه الأمة إلى قيام الساعة بإذن الله عزَّ وجلَّ.

إذا ابتليت بالاختلاط فتذكَّر أنَّ لك أعراضاً:

فيا أيها الإنسان المؤمن الغيور على عرضه وعلى محارمه، اسمع ماذا أقول لك وأرجوك أن تنتبَّه: إذا ابتليت بالتعامل مع النساء في متجر، وابتليت بالتعامل مع النساء في عيادة طبية فكنت طبيباً، أو كنت مصوِّراً شعاعياً، أو كنت ممرِّضاً، يا من ابتليت بالتعامل مع النساء في مكتب من المكاتب، في عمل وظيفي، ويا من ابتليت بالاختلاط بالنساء في الجامعات والمدارس، تذكَّر يا أخي قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، تذكَّر أيها التاجر، أيها الطبيب، أيها الطالب، أيها الموظف، بأنَّ لك عرضاً، بأنَّ لك أماً، وبنتاً، وأختاً، وخالة، وعمة، وبنت عم، وبنت خال، وقس على ذلك

من محارم، ومن أقارب ومن عصبات من النساء، تذكَّر يا من ابتليت بالاختلاط، ويا من ابتليت بالتجارة مع النساء، ويا من ابتليت بالطبِّ، ويا من ابتليت بالدراسة وأنت تحتَكُّ مع النساء، تذكَّر بأنَّ لك عرضاً، فإن صنت أعراض الناس صِين عرضك، وإن انتهكت أعراض الناس انتُهك عرضك وربِّ الكعبة، وهذا قسم شرعي.

عامل الناس بما تحبُّ أن يعاملوك فيه:

أيها المبتلى ـ ونسأل الله العفو والعافية ـ تذكَّر قول سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»، وتذكَّر أيها المسلم بأنَّ هناك إلهاً أعطاك شيئاً من الاختيار في حياتك الدنيا، ثم قال لسيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢١-٢٦].

أيها المسلم! إن ابتليت بالاحتكاك بالنساء فعامل أعراض المسلمين كما تحبُّ أن يُعامَل عرضك إذا ابتلي بالاختلاط بالرجال، وتذكَّر قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كما يروي الإمام البخاري ومسلم عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»، وجاء في الأثر: لا يؤمن أحدكم حتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه.

إن ابتليت فدخلت عليك امرأة، وأسأل الله الحفظ والسلامة، اعلم يا

أخي أنَّ هذه المرأة إنما هي أم، أو بنت، أو أخت، أو زوجة لأخ لك في الإسلام، فاحذر الإيذاء، واعلم بأنَّ الله رقيب عليك، واسمع ماذا يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، كما يروي الإمام الترمذي عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم المنبر فقال بأعلى صوته ـ لأنَّ الأمر الذي سيتحدَّث عنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم جِدُّ خطير، ولأنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إذا أراد أن يتكلَّم بكلام مهمٍّ، نادى مناد: الصلاة جامعة، فيجتمع الناس لأنَّ هناك كلاماً مهمّاً يريد أن يتكلَّم به الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ـ: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنه من تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

إيذاء المسلم من وصف المنافق، وتعيير المسلم من وصف المنافق، وتتبُّع عورات الناس من وصف المنافق، فالمؤمن لا يؤذي أحداً من المسلمين على الإطلاق، وأنا لا أشكُّ في إسلامك وإيمانك أيها التاجر والطبيب والموظف والطالب، ولكن انتبه إلى نفسك ألا تنزلق قدمك، مهما أغرتك المرأة فكن على حذر، المرأة التي تغريك هي امرأة مريضة، هي بنت أخ لك مسلم، وهي أخت مسلم هو أخ لك، هذه المريضة ينبغي عليك أن ترعاها بالنصح والتذكير، وإياك أن تخون المسلم في عرضه، لأنَّ خيانة المسلم في عرضه إيذاء له، وإيذاء المؤمن إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وإيذاء رسول الله إيذاء لله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه.

قال سيدنا سلمان رضي الله عنه: والله لأن أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم

أنشر، ثم أموت ثم أنشر، أحبُّ إلي من أن أرى عورة الرجل أو يراها مني [رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق]. والمرأة هي عورة الإنسان المسلم، كيف تجترئ أن تتطلَّع إلى عورة الإنسان المسلم؟

إذا كانت المرأة لا تستحي من الله، ألا تستحي أنت من الله؟

انظروا أيها الإخوة إلى واقعنا، انظروا إلى تجارنا وأطبائنا وأبنائنا من الطلبة، وقدِّموا لهم النصيحة، وذكِّروهم بالله، وأعلموهم بأنَّ لهم أعراضاً، فمن آذى مسلماً في عرضه، أوذي عرض المؤذي وربِّ الكعبة.

فيا أيها الطبيب اتَّق الله في عورات المسلمين، لا تنظر إلى جسد المرأة إلا بالمقدار الذي أباحه لك الشرع، وإياك أن تتعدَّى، فإنَّك في حالة ابتلاء شديد، وأنت معرَّض للفتنة، فإذا أبحت لنفسك أن ترى ما لم يأذن لك به الشرع، فأنت عرَّضت نفسك للفتنة، وعرَّضت عرضك لا قدر الله لأن ينتهك.

وكذلك أنت أيها التاجر، يا أيها التجار، يا من ابتليتم ببيع الأقمشة والألبسة النسائية، وبيع أدوات التجميل والعطورات للنساء، اتقوا الله إذا ما دخل إلى محلِّكم بعض النساء المسلمات، راقبوا الله عزَّ وجلَّ، واعلموا بأنَّ الله عزَّ وجلَّ رقيب عليكم، فاتقوا الله في الدنيا، واتقوا الله في النساء، وإن الله عزَّ وجلَّ بصير بنا جميعاً.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة: لنتَّق الله في أعراضنا، ولنتق الله في أعراض المسلمين، لأنَّ إيذاء المسلم في عرضه إيذاء لعرضك والعياذ بالله تبارك وتعالى، أرجو الله أن يوقظنا من غفلتنا، وأن يجعل الغيرة في قلوبنا على أعراضنا.

ومن تمام الغيرة على عرضك وعلى أعراض المسلمين ألا تعرض الألبسة النسائية هذا العرض المهين، بكلِّ أسف أيها الإخوة، الغيرة بدأت

تـذوب فـي مجتمعنـا، عنـدما تـأتي بتمثـال والتمثـال مُـزَيَّن، وتعـرض الألبـسة النسائية على هذا التمثال، أما تستحي من الله؟ بالله عليك أترضى لعرضك أن يدخل إلى محل تجاري للنساء، ويقول صاحب المحل لزوجتك أو لبنتك أو لأختك: ما رأيك بهذا الثوب على هذا الجسد؟ وهذا الحديث أنتم تعلمون ماذا يستتبع من ورائه!

اتق الله عزَّ وجلَّ أيها التاجر، وراقب الله، وكن على ثقة بأنَّ رزقك مقسوم وربِّ الكعبة، ولا تظنَّنَّ أنَّ رزقك سوف يُمنع عنك إذا لم تضع تلك التماثيل، لنتق الله أيها الإخوة، لنتَّق الله في شبابنا الذين لا يجدون سبيلاً إلى الزواج، ولنتق الله في أبنائنا، وفي أعراضنا، هذه وصية أخ لكلِّ تاجر ولكلِّ طبيب ولكلِّ طالب، لنتَّق الله في أعراض المسلمين حتى تُصان أعراضنا، وإلا لا قدر الله هتكت أعراضنا، وربُّنا عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: أمانة في أعناقكم، من أجل متابعة أعراضنا، ومن أجل الغيرة على نسائنا وعلى محارمنا، راقبوا بناتكم وزوجاتكم ومحارمكم، ومن جملة هذه المراقبة في دائرة النفوس، عند استلام الهوية أو عند تبصيم المحارم على الهوية، إن لم تكن هناك موظفة لتبصيم هذه المرأة، فتقدَّم بلطف إلى الموظف وقل له: يا أخي علِّمني كيف آخذ بيد عرضي وأضع البصمة على هذه الورقة، حتى لا تمسَّ يدُ الموظف يدَ محارمك.

إن لم تكن هناك موظفة، فقم أنت بأخذ يد محارمك من أجل هذه

البصمة، وإنَّ مسَّ يد الرجل الأجنبيِّ للمرأة الأجنبيَّة معصية لله عزَّ وجلَّ، إذا كان الإسلام حرَّم علينا النظر، فكيف يبيح لنا أن نمسَّ يد امرأة لا تحلُّ لنا؟ فإن اعتذر إليك الموظف قل له: بالله عليك أترضى لو لم تكن موظفاً أنت في دائرة النفوس لأمك أو لأختك أو لابنتك أو لزوجتك أن يمسَّ يدها رجل آخر؟ والله أنا على ثقة أنه سيقول لك: والله لا أرضى، قل له: طالما أنَّك لا ترضى فعلِّمني، ما هذه المشكلة الصعبة، لا نعرف كيف توضع الأصبع على الورقة من أجل البصمة؟!

علينا أيها الإخوة أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر، لأنه والله ما حلَّت الطامة في مجتمعنا إلا لأننا سكتنا عن المنكرات، والمنكرات تنتشر في المجتمع؛ لنتَّق الله في ذلك أيها الإخوة.

وأرجو الله عزَّ وجلَّ أن يكون في السجل المدني هناك امرأة مخصصة للتعامل مع النساء في غرفة مستقلة، وإن لم تكن موجودة فاطلب من الموظف هذا، وأرجو الله أن يكون القائمون على هذا الأمر في دائرة النفوس ممَّن يتجاوب مع أحكام الشريعة.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يا صاحب الجوال! ماذا ستقول لربك غداً؟[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فأستفتح بالذي هو خير:

يقول مولانا في كتابه العظيم: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠-٢٨]. صدق الله العظيم.

يا عباد الله: إنَّ العبد لا يقع في معصيةٍ لله عزَّ وجلَّ، ولا يترك طاعةً لله عزَّ وجلَّ إلا إذا غابت الآخرة عن فكره وقلبه وعقله، لأنَّ المستحضر للآخرة عند كلِّ قول أو فعل أو حركة أو سَكَنة يكون منضبطاً بضوابط ذلك، وذلك خشيةً من ربه عزَّ وجلَّ.

خطورة يوم القيامة:

أيها الإخوة الكرام: يوم القيامة يوم خطير وخطير جداً، لأنَّ ذاك اليوم له بداية وليس له نهاية، على عكس يوم الدنيا الذي له بداية ونهاية.

---

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١/١١/١٤٣١هـ، ٨/١٠/٢٠١٠م.

يوم القيامة يوم خطير وخطير جداً، لأنَّ الله تعالى قسم عباده فيه إلى فريقين، فقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]. والحياة فيهما حياة خالدة لا فناء فيها.

ولخطورة ذاك اليوم شاء ربُّنا عزَّ وجلَّ أن يذكِّرنا بذلك صراحةً وإشارةً مرات عديدة، حتى لا تكاد صفحة من كتاب الله عزَّ وجلَّ تخلو من ذكر يوم القيامة.

الآخرة عالم مُشاهَد للمؤمن:

أيها الإخوة الكرام: شاء ربنا عزَّ وجلَّ أن يذكر لنا الآخرة وأحداثها، ونعيمها وعذابها في كتابه العظيم حتى تصبح كأنَّها مُشاهَدة عند الإنسان المؤمن، من صورها التي ذكرها ربنا عزَّ وجلَّ في القرآن العظيم:

أولاً: النفخ في الصور، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]. وهذه هي النفخة الثانية، حيث يخرج الناس من أجداثهم ـ قبورهم ـ حُفاةً عُراةً غُرْلاً، كما حدَّثنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: يخرج كلُّ إنسان من قبره فإذا بجانبه سائق وشهيد، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. ما من أحد خلقه الله تعالى من زمن سيدنا آدم عليه السلام إلى آخر مولود يولد في الدنيا إلا وينشقُّ عنه القبر ويجد السائق والشهيد، وهما اللذان أشار الله تعالى إليها بقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]. السائق كاتب الحسنات، والشهيد كاتب السيئات.

المؤمن مشتاق لذلك اليوم:

أيها الإخوة الكرام: أمر طبيعيٌّ بالنسبة للإنسان المؤمن بأنه لن يفاجأ بأحداث يوم القيامة، لأنه على بصيرة من أمره، بل هو يوم يتطلَّع إليه بشوق،

لأنَّه عشق النعيم الذي وعده الله إياه، حيث ما لا عين رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، حيث يساق إليها سوق تكريم، وتُزْلَف إليه الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

فالمؤمن يشتاق الآخرة، ويعيش معها في حياته الدنيا، ويسأل عن يومها، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه (أنَّ رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم عن قيام الساعة، وأقيمت الصلاة، فلما قضى صلاته قال: «أين السائل عن الساعة؟» فقال الرجل: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: «وما أعددت لها فإنها قائمة؟» قال: ما أعددت لها من كثير عمل، غير أني أحبُّ الله ورسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «أنت مع من أحببت»).

اسمعوها يا شباب هذه الأمة: غير أني رجل أحبُّ الله ورسوله، لمن حُبُّكَ في الدنيا؟ اعلم بأنك تُبعث يوم القيامة مع من أحببت، فانظر إلى حبيبك في الدنيا وأنت تتذكَّر قول الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزُّخرُف: ٦٧].

هذا الرجل حافظ على الفرائض واجتنب النواهي، وقصَّر في صلاة وصيام النافلة، إما لشيخوخة أو لعجز أو لمرض أو لأمرٍ ما، إلا أن قلبه مُفْعَمٌ بحبِّ الله تعالى ورسوله، فلا يراه الله تعالى حيث نهاه.

المؤمن لا يفاجأ يوم القيامة بأحداثها لأنه صدَّق الله فيما قال، وأما غير المؤمن الذي كان يقول في حياته الدنيا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨٣]. فهذا العبد سوف يندم ولا ينفعه الندم، ويبدأ ندمه عند سكرات الموت كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ

﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

فكِّروا في ذلك يا شباب وشابَّات الأمة، فكِّروا في ذلك أيها الحكَّام، أيها الرجال، أيها النساء، أيها الأغنياء، أيها الفقراء، فكِّروا في ذلك في حياتكم الدنيا حتى تستقيموا ولا تندموا.

ثالثاً: كلُّ إنسان له قرينان، وهذه حقيقة يعلمها العبد المؤمن لذلك لا يفاجأ يوم القيامة بذلك، أما غير المؤمن فإنه يفاجأ بأنَّ له قريناً من الملائكة وقريناً من الجن، يقول الله تعالى عن قرين الملائكة: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]. أي هذه صحيفة أعماله حاضرة، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]. وكما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. المؤمن عندما يرى عمله الحسن يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠]. وغير المؤمن يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧].

أما قرين الجن فيقول الله تعالى مخبراً عنه: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ [ق: ٢٧]. تبرَّأ المتبوع من التابع، كما يتبرَّأ المتبوع من الإنس من أتباعه، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ

كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

يا صاحب الهاتف الجوال:

أيها الإخوة المؤمنون: من خلال ما تقدَّم أقول لكلِّ واحد فينا عنده هاتف جوال: هاتفك معك جوَّالٌ، أينما حللت وأينما نزلت هو معك، في حلِّك وترحالك، في خلوتك وجلوتك، وهذا الهاتف من أعظم نعم الله عزَّ وجلَّ علينا، إن استخدمناه في طاعة الله أُجِرنا، وإن استخدمه العبد في معصية الله فقد كفر بنعمة الله عزَّ وجلَّ.

والملاحظ أيها الإخوة أنَّ هذه النعمة نعمة الجوَّال استُخدِمت في معصية الله كثيراً، حتى أفسدت الكثير من الشباب والشابات، وهدَّمت البيوت، فكم من امرأة طُلِّقت بسبب الهاتف الجوَّال؟ وكم من رجل انحرف بسبب الهاتف الجوَّال؟ وكم من شباب وشابات انحرفوا بسبب الهاتف الجوَّال؟ وذلك من خلال الرسائل والصور ومقاطع الفيديو.

أيها الإخوة الكرام: كم من قلوب أُدميت بعد دمع العيون من آباء وأمهات حريصين كلَّ الحرص على تربية أولادهم التربية الصالحة، حريصين كلَّ الحرص على تنشئة أبنائهم في ظلال القرآن العظيم وهدي النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

نعم لقد أُدميت القلوب ودمعت العيون من قلوب الصالحين والصالحات عندما شاهدوا أولادهم وبناتهم انحرفوا بسبب إجرام أصحاب المحلات التي تسجل وتنزل على الهواتف النقَّالة من رسائل وصور ومقاطع فيديو يندى لها جبين البهائم والحيوانات، فضلاً عن جبين الأحرار، هؤلاء أصحاب

المحلات، هؤلاء العابثون الذين يرسلون الرسائل والصور، هؤلاء المجرمون الذين يضحكون من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [المطفِّفين: ٢٩]. هؤلاء الذين أجرموا في حقِّ أنفسهم أولاً، ثم في حقِّ شباب هذه الأمة، نقول لهؤلاء: يا هؤلاء اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في أعراضكم، اتقوا الله في شباب وشابات الأمة، ولا تحسبوا أنَّ الله غافل عنكم، ولكنه يُمْهِل ولا يُهْمِل.

وإني أتوجَّه إلى كلِّ أخ مسؤول غيور على دينه وعرضه وسلامة وطنه لأقول له: تابعوا ولاحقوا ودقِّقوا خلف أصحاب هذه المحلات التي عاثت في الأرض فساداً، فإنَّ محلاتهم معلومة عندكم، هؤلاء يدعون إلى الفسق والفجور جهاراً نهاراً.

لقد ضاع الكثير من الشباب والشابات وضيَّعوا دينهم، وخرَّبوا دنياهم وآخرتهم بسبب اتباع الشهوات، بسبب الفساد الذي لحقهم من خلال الهواتف الجوَّالة.

ماذا ستقول لربك غداً يوم القيامة يا صاحب الجوال؟

أيها الإخوة الكرام: إني أتوجِّه إلى كلِّ واحد فيكم وهو حامل الهاتف الجوال لأقول له: استحضر وقوفك بين يدي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة، استحضر الموقف في أرض المحشر، عندما يقول القرين من الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]. ويقول القرين من الجن: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧]. استحضر قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

أخي الكريم: ارجع إلى جوالك وانظر ماذا يوجد فيه من صور ورسائل ومقاطع فيديو، هل ما يوجد فيه يبيِّض الوجه أم يسوِّد الوجه؟ فماذا ستقول لربك يوم القيامة إذا كان فيه ما يسوِّد الوجه؟

يا صاحب الجوَّال: هل جعلت هذا الهاتف سبباً في زيادة الحسنات أم السيئات؟ رسالة واحدة يُكتب لك أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة، ورسالة واحدة يُكتب عليك وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

تذكر يا صاحب الجوَّال حديثَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيِّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه الإمام مسلم عن جرير رضي الله عنه.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الكرام: ختاماً أتوجَّه إلى كلِّ أب غيور وإلى كلِّ أمٍّ غيورة: راقبوا جوالاتكم أنتم أولاً، ثم راقبوا جوالات أبنائكم، ثم تساءلوا فيما بينكم وبين أنفسكم: ما هي الغاية والفائدة من حمل هؤلاء الشباب الجوَّالات؟ لماذا الجوَّال للشباب في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية؟

الجوالات ضيَّعت الشباب والشابات، وضيَّعوا دراستهم بسببها، امنعوا هذه الجوالات عن أبنائكم ـ في سنِّ المراهقة خاصة ـ من أجل سلامة دينهم، والله إني لكم ناصح أمين.

وأما أنتم يا أصحاب الجوَّالات! فتذكَّروا الآيات التي افتتحتُ بها خطبة الجمعة، واجعلوا هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة حاضراً أمام أعينكم،

احفظوا جيداً قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [ق: ٢٠-٢٤].

اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا، واحفظ أصولنا وفروعنا وأزواجنا كذلك يا أرحم الراحمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

** ** **

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصايا للشباب[1]

مقدمة الخطبة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

لكلِّ إنسان قرينان:

أيها الإخوة الكرام: كلُّ واحد منا له قرينان، قرين من الملائكة، وقرين من الجنِّ، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «ما منكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير» رواه مسلم. وفي رواية للترمذي: «ولكن الله أعانني عليه فأسلمُ ـ يعني أسلم أنا منه ـ». فإما أن شيطانَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أسلمَ، وإما أنَّ سيدَنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يسلمُ منه.

أيها الإخوة المؤمنون: في أرض المحشر يقول قرين الإنسان من الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣]، هذا سجل أعماله من المخالفات والمعاصي والمنكرات، ولا مجال لإنكار هذا، لأنَّ الملك كاتب كريم، كما

(١) خطبة الجمعة بتاريخ: ١٤٣١/١١/٨هـ، ٢٠١٠/١٠/١٥م.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وإضافة إلى ذلك تشهد جوارح العبد الكافر الفاسق الفاجر عليه، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، وكما قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَت: ١٩-٢٢].

ويشهد عليه كذلك الأرض التي تُقلُّه، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

عند ذلك يريد هذا العبد الكافر الفاسق الفاجر أن يجعل الأمر في رقبة قرينه من الجن، فيقول كما يخبرنا المولى جلَّ جلاله عنهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ولكنَّ قرين الجن يقول لربنا عزَّ وجلَّ: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧]، فيحسم ربُّنا هذه الخصومة فيقول لهما: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٨-٢٩].

ونتيجة الموقف يتوجَّه الخطاب للملائكة الكرام في حقِّ هذا المجرم الكافر الفاسق الفاجر: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق: ٢٤-٢٦].

أيها الإخوة الكرام: تصوَّروا هذا المشهد الذي يخبرنا الله عزَّ وجلَّ عنه،

عندما يدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، ويُقضى الأمر، يقف الشيطان ليتبرَّأ من أتباعه، فيقول الله تعالى مخبراً عنه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

هذه حقيقة يجب أن لا تغيب عنا، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾، ليس له سلطان قوة، ولا سلطان حجة، إلا الدعوة إلى الفسق والفجور، فإذا بهذا العبد يترك داعي الله ويتبع داعي الشيطان، الله تعالى يدعو إلى دار السلام، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، والشيطان يدعو للنار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

تأكيد لأصحاب الجوالات:

عباد الله: أرجع فأركِّز على الهواتف الجوالة، اتقوا الله تعالى في هذه النعمة، وإياكم ومعصية الله تعالى فيها، انظروا إلى رسائلكم والصور التي فيها، ومقاطع الفيديو هل تبيِّض وجه العبد يوم القيامة، أم تسوِّد الوجه لا قدر الله؟

وأؤكِّد على أصحاب المحلات أن يتَّقوا الله في أنفسهم وفي أعراضهم، لأنَّ الفساد إذا حلَّ سوف ينالهم لا محالة والله تعالى أعلم، وليعلم أصحاب هذه المحلات أنَّ كسبهم من حرام إذا كانوا ينزلون على الهواتف ما يسخط الربَّ عزَّ وجلَّ، راقبوا الله يا عباد الله، واستحضروا الوقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر.

المعين لك على الاستقامة هي الصحبة الصالحة:

أيها الإخوة الأحبة: لقد أصبحنا في زمن قلَّ فيه النُّصَّاح، وقلَّ فيه المذكِّرون بالله تعالى، وكثر فيه الفساد والمفسدون، فعليكم يا شباب هذه الأمَّة بالصحبة الصالحة، لأنَّها المُعين على الاستقامة، فانظر إلى جليسك وخليلك وصاحبك في المدرسة، وفي الجامعة، وفي الشارع، وفي مكان عملك، هل هو من الصالحين أم من الأشرار الفُجَّار الفُسَّاق؟

تذكَّروا يا شباب هذه الأمة وصايا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وهو يحثُّكم على الصحبة الصالحة:

أولاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم مَنْ يُخالل» رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

ثانياً: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ**﴾ [الزُّخرُف: ٦٧]، سوف يتبرَّأ كلُّ متبوع بغير حقٍّ من تابعه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ**﴾ [البقرة: ١٦٧]، لذلك سوف تنقلب الخُلَّة إلى عداوة بسبب هذا التبرُّؤ.

ثالثاً: يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «مثل الجليس الصالح والسّوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحْذِيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة» [رواه البخاري ومسلم]. هذا ضرب مثل من الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي هو أولى بنا من أنفسنا، فهل يصدِّق العبد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أم لا؟

العجيب في شبابنا اليوم أنَّك ترى الواحد منهم حريصاً على طهارة ونظافة ثوبه، وحريصاً على اللقمة النظيفة السليمة، وكلُّ ذلك من أجل سلامة جسده، وتراه حريصاً على الابتعاد عن المرضى الذين أصيبوا بمرض مُعدٍ، ولا تراه حريصاً على الصحبة الصالحة، بل ربما أن يلقي بنفسه وباختيار منه في صحبة الأشرار، ولو ضيَّع دينه وخرَّب مستقبله في الآخرة، وتراه غير مبالٍ في هذا الجانب، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا من رحم الله تعالى.

يا شباب هذه الأمة! كونوا حذِرين من الضالِّين المضلِّين، من الفاسدين المفسدين، من الذين يحدِّثونكم عن النساء وعن الأهواء والشهوات، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]، قولوا لهؤلاء: إنا نخاف الله رب العالمين، ودوموا على طهارتكم الحسية والمعنوية.

رابعاً: يقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوۡمٗا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ٢٦ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٦-٢٩]، هذا العبد لا يعضُّ أصبعه ولا أصابعه ولا يده، بل يديه من شدَّة الحسرة، عندما يرى جهنم، كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦]، وقال: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣-٢٤].

تشتدُّ حسرة هذا العبد عندما يرى أصحاب اليمين يساقون إلى الجنة سوقَ تكريم، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزُّمَر: ٧٣]، وعندما يرى الجنة وهي تزلف لأهلها، كما قال تعالى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ

ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق: ٣١-٣٤].

وصايا للشباب:

أيها الأحبة ! يا أحباب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: أتوجَّه إلى شباب هذه الأمة ببعض الوصايا حيث عزَّ وجود الناصح الأمين إلا من رحم ربي عزَّ وجلَّ:

أولاً: صونوا أسماعكم وأبصاركم وأيديكم وأرجلكم وفروجكم عن معصية الله عزَّ وجلَّ، فوالله ما هذه الدنيا إلا ساعة، فاجعلوا طاعة لله عزَّ وجلَّ، فاصبروا يا شباب وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، واحذروا فسق الفاسقين وفجور الفاجرين وفساد المفسدين، لقد عمَّ الفساد وطمَّ إلا من رحم الله تعالى. وسوف يتبرَّأ المتبوع من التابع يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

ثانياً: يا شباب عليكم بالصحبة الصالحة التي تذكِّركم إذا غفلتم، وتشحذ من هممكم إذا فترتم، لأنَّ سرَّ سعادتنا أن تدوم صحبتنا وصداقتنا من الدنيا إلى أرض المحشر، وحتى نكون ممن قال فيهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه» وعدَّ منهم: «ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه» رواه البخاري ومسلم.

من سرِّ سعادتنا أن لا يتبرأ المتبوع منا يوم القيامة، وهل يكون هذا لغير الصالحين؟ من سرِّ سعادتنا الصحبة الصالحة، لأنَّ الصاحب الصالح له شفاعة

يوم القيامة. اللهم أكرمنا بشفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثالثاً: أكثروا يا شباب هذه الأمة من الدعاء في كلِّ يوم وليلة، قولوا في دعائكم: اللهم اجعلنا عند سكرات الموت فرحين مسرورين ضاحكين مستبشرين قائلين: واطرباه غداً نلقى الأحبة محمداً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وصحبَه.

اللهمَّ لا تجعلنا من النادمين المتحسِّرين الذين يسألون الرجعة عند سكرات الموت، فيقول أحدهم: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، ولا تجعلنا يا ربنا من القائلين عند سكرات الموت: ﴿رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]. آمين.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها:

أيها الإخوة الأحبة الكرام: لنستحضر أحداث يوم القيامة، ولنكثر من ذكر الموت، كما أمرنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله: «أكثروا ذكر هاذم اللَّذَّات ـ يعني الموت» رواه الإمام أحمد والترمذي.

لنراقب الله عزَّ وجلَّ الذي هو رقيب علينا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، وعلينا بالصحبة الصالحة التي تُصلح لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا، اللهمَّ أكرمنا بذلك. آمين.

أقول هذا القول، وكلٌّ منا يستغفر الله، فيا فوز المستغفرين.

** ** **

محتويات الكتاب

المقدِّمة ٥

١ـ وأنكحوا الأيامى منكم ٩

٢ـ فاظفر بذات الدِّين تربت يداك ١٧

٣ـ الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة ٢٥

٤ـ ولدك استمرار لك، فأحسن اختيار أمه ٣١

٥ـ كيف ينظر الإسلام إلى عقد الزواج؟ وكيف يفهمه شبابنا؟ ٣٧

٦ـ المفهوم الإسلامي لمهر الزوجة ٤٥

٧ـ تأمين المسكن الشرعي حقٌّ للمرأة ٥٥

٨ـ أيها العابد! أين أخلاقك؟ ٦٥

٩ـ يا صاحب الخلق الحسن! أين عبادتك؟ ٧١

١٠ـ أنسيت أيها الزوج الظالم؟! ٧٧

١١ـ صور من ظلم المرأة(١) ٨٣

١٢ـ صور من ظلم المرأة(٢) ٨٩

١٣ـ واجب الزوج نحو زوجته لسلامة آخرتها ٩٥

١٤ـ ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ ١٠٣

١٥ـ أيها الزوج! فكِّر بالواجب الذي عليك أولاً! ١١١

١٦ـ ليكن فعلك مطابقاً لقولك ١١٩

١٧ـ عند الخلاف الزوجي استحضر أموراً أربعة(١) ١٢٥
١٨ـ عند الخلاف الزوجي استحضر أموراً أربعة(٢) ١٣٣
١٩ـ مشاكل أسريَّة يكون الزوج فيها سبباً(١) عدم الاهتمام بالزوجة،
والمَنُّ عليها، وتهديها بالطلاق ١٤١
٢٠ـ مشاكل أسريَّة يكون الزوج فيها سبباً(٢) عدم غضِّ الطرف عنها،
وعدم الاهتمام برأيها، ومنعها من مشاركة أهلها في مناسباتهم..... ١٤٩
٢١ـ مشاكل أسريَّة يكون الزوج فيها سبباً(٣) احتقار الزوجة أمام
أولادها أو أهله ١٥٧
٢٢ـ مشاكل أسريَّة يكون الزوج فيها سبباً(٤) عدم التثبُّت من الأخبار .. ١٦٣
٢٣ـ من المشاكل الأسرية التي يكون الزوج فيها سبباً: انحراف الزوج .. ١٦٩
٢٤ـ طاعة الزوجة لزوجها فريضة شرعيَّة..... ١٧٧
٢٥ـ لا تؤدي حقَّ ربِّها حتى تؤدي حقَّ زوجها(١)..... ١٨٥
٢٦ـ لا تؤدي حقَّ ربِّها حتى تؤدي حقَّ زوجها(٢) ١٩١
٢٧ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(١) عدم الإحسان لوالدي
الزوج ١٩٧
٢٨ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٢) الاستعلاء على الزوج .. ٢٠٣
٢٩ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٣) كثرة خروج المرأة
من البيت..... ٢٠٩
٣٠ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٤) كثرة الكلام على الهاتف. ٢١٥
٣١ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٥) عدم الاهتمام بالنظافة .. ٢٢٣
٣٢ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٦) تقصير الزوجة في حقِّ

زوجها من حيث الفراش ٢٣١
٣٣ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٧) اعتراض المرأة على
تعدُّد الزوجات..... ٢٣٩
٣٤ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٨) طلب طلاقها أو
طلاق ضرَّتها ٢٤٧
٣٥ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(٩) تدخُّل الزوجة في شؤون
زوجها المالية ٢٥٣
٣٦ـ مشاكل أسريَّة تكون الزوجة فيها سبباً(١٠) سوء الظنِّ بزوجها ... ٢٥٩
٣٧ـ كيفية معالجة نشوز المرأة(١) ٢٦٥
٣٨ـ كيفية معالجة نشوز المرأة(٢) ٢٧١
٣٩ـ كيفية معالجة نشوز المرأة(٣) ٢٧٧
٤٠ـ لا تُخرجوهنَّ من بيوتهنَّ ولا يخرجْنَ ٢٨٥
٤١ـ عقوق الوالدين ٢٩١
٤٢ـ الوالد أوسط أبواب الجنة ٢٩٩
٤٣ـ عيد الأمِّ لمن؟ ٣٠٧
٤٤ـ الغاية من صلة الأرحام..... ٣١٥
٤٥ـ العدل بين الأولاد..... ٣٢٣
٤٦ـ أيها الأب! كن واعظاً وإلا٠٠٠ ..... ٣٢٩
٤٧ـ أيها الأب! صدِّر موعظتك بكلمة حبٍّ ٣٣٧
٤٨ـ أيها الأب! لا تكن متناقضاً في شخصيَّتك ٣٤٥
٤٩ـ كن مُصلِحاً لا صالحاً فقط ٣٥١

٥٠- ورِّث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لورثتك ٣٥٩
٥١- أي بنيَّة: احذري صاحب القلب المريض ٣٦٧
٥٢- وَقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ ٣٧٥
٥٣- آية الحجاب لمن؟ ٣٨٣
٥٤- هل ثيابك ثياب تقوى؟ ٣٩١
٥٥- جرأة المرأة على التبرُّج ٣٩٩
٥٦- قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم ٤٠٧
٥٧- أسباب انتشار الفضائح الجنسيَّة ٤١٥
٥٨- إن الله يغار، وإن المؤمن يغار ٤٢١
٥٩- يا صاحب الجوال! ماذا ستقول لربك غداً؟ ٤٢٩
٦٠- وصايا للشباب ٤٣٧
محتويات الكتاب ٤٤٥

** ** **